

النص الكامل

نظمها القديس الأول والوحيد شفا القديس

انخافا كريستي



جَرِيْمَة فِي الْقَرْيَة



الأجيال
للترجمة والنشر
بالتعاون مع

١٢



Agatha Christie



The Murder at the Vicarage



جريمة في القرية

كان الكولونيل ميتا.

لم يكن في الأمر شك. هناك مكان
مبسطاً ماداً ذراعيه على المكتب في
وضع مربع غير طبيعي. استجمعت
نفسي وانتهجت إليه. اليد الباردة التي
رفعتها سقطت هامدة بلا حياة!

المشكلة أنني كنت أقول - قبل
ذلك بساعات فقط - إن أي شخص
يقدم على قتل الكولونيل بروثير
سيقدم خدمة جليلة للعالم.
وقد فعل أحدهم ذلك... في مكثي!

رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة
التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من
حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها
من نسخ. وهي - بلا جدال - أشهر من
كتب قصص الجريمة في القرن العشرين
وفي سائر العصور وقد تُرجمت رواياتها

للمزيد من الكتب والروايات

www.ebooksworld.net



ASTAL Publishers

Volume 111 - 14 stories

Available at www.ebooksworld.net

الفصل الأول

أجد صعوبة في تحديد نقطة البداية لفصتي هذه، ولكنني قررت البدء من واقعة غداء في بيتي في أحد أيام الأربعاء. ورغم أن الحديث الذي دار وقتها لم يكن يمتُّ إجمالاً لموضوع القصة، إلا أنه انطوى على بعض الإشارات الموحية التي أثرت على التطورات اللاحقة.

كنت قد أنهيت لتوي تقطيع بعض اللحم المسلوق (الذي كان -بالمناسبة- قاسياً جداً)، ولدى عودتي إلى مقعدي قلت بطريقة لا تناسب أبداً ثياب رجل الدين التي أرتديها إن من شأن امرئ يقتل الكولونيل برونيرو أن يقدم بذلك خدمة للعالم بأسره.

قال دينيس، ابن أخي الشاب، على الفور: إن قولك هذا سيُتخذ دليلاً ضدك إذا ما عُثر على الرجل قتيلاً يسبح في دمه. وسوف تشهد مارى ضدك، أليس كذلك يا مارى؟ ومستصف لهم كيف لوححت بسكين تقطيع اللحم بطريقة توحى بحب الانتقام.

أما مارى -التي تعمل خادمة في بيتنا ريثما تحصل على فرصة أفضل- فقد أكدت بأن قالت بصوت عملي مرتفع: "الحضار"، ورمت إليه بالطبق بأسلوب عدائي.

قالت زوجتي بأسلوب بنم عن التعاطف: أكان مزعجاً جداً؟

لم أحبها فوراً، لأن ماري -وقد ألفت يطبق الخضار بقوة على المائدة- تقدمت لتدس تحت أنفي طبقاً من الزلاية اللزجة التي أمقتها. قلت لها: "شكراً، لا أريد"، فأعادت إلقاء الطبق على المائدة بشدة وغادرت الغرفة.

قالت زوجتي بنبرة أسف حقيقي في صوتها: من المؤسف أن أكون ربة بيت سيئة جداً.

كنت أميل للاتفاق معها في ذلك. زوجتي اسمها غريزelda، وهو اسم يلائم زوجة رجل دين، لكن العلامه تنتهي عند هذا الحد؛ فهي أبعد ما تكون عن الطاعة والامتثال.

لقد كنت دوماً من الذين يرون أن على رجل الدين البقاء دون زواج، وما زلت حائراً في معرفة السبب الذي دفعني إلى الإلحاح على غريزelda لكي تتزوجني بعد أربع وعشرين ساعة فقط من تعارفنا. لقد آمنت دوماً بأن الزواج مسألة جدية لا ينبغي دحولها إلا بعد طول تفكير وتدبر، وأن تلازم الأمزجة والميول مسألة في غاية الأهمية.

تصغرتي غريزelda بنحو عشرين سنة. وهي جميلة جداً بذهل المرء عن نفسه، لكنها عاجزة عن التعامل بجدية مع أي أمر؛ فهي تفتقر إلى الكفاءة بكل معانيها، والعيش معها عملية مضنية تماماً. إنها تتعامل مع الأبرشية وكأنها صرح ليس له من هدف إلا تسليتها. وقد سعت إلى إعادة صياغة تفكيرها وفشلت، وإنني مقتنع اليوم أكثر من أي وقت مضى بأن العزوبة أفضل لرجل الدين، ولطالما لمحت بذلك لغريزelda، ولكنها كانت تكفي بالضحك.

قلت لها: يا عزيزتي، لو أنك تُبدين فقط قليلاً من الاهتمام...

- إنني أهتم أحياناً، ولكنني أظن -عموماً- أن الأمور تسوء أكثر عندما أحاول ذلك. يبدو واضحاً أنني لست ربة بيت بطيعة. أجد أن من الأفضل ترك الأمور لماري وتوطين النفس على تقبل وضع مزعج ومأكولات كريهة.

قلت مؤنباً: وماذا عن زوجك يا عزيزتي؟ ألم يقل رجال الدين القدامى إن على المرأة أن تتقن شؤون بيتها..؟

قاطعتني غريزelda بسرعة قائلة: فكّر كم أنت محظوظ إذ لم تلق مصيرهم فتقطعك الأسود إرباً، أو تُشوى في النار. إن الطعام السيء وكثرة الغبار والحشرات الميته في البيت ليست أسوأ تستحق كل هذه الشكوى. أخبرني أكثر عن الكولونيل بروثيرو... إن رجال الدين القدامى محظوظون لأنهم -على الأقل- لم يعرفوا أمثاله.

قال دينيس: إنه متوحش مغرور. لا عجب أن امرأته الأولى هربت منه.

قالت زوجتي: لا أراها كانت قادرة أن تفعل غير ذلك.

قلت بحدة: غريزelda... لا أريدك أن تتحدثي بهذا الشكل.

قالت زوجتي بمحبة: أخبرني عنه يا عزيزي... أين كانت المشكلة؟ أكانت بسبب إيماءات هاووز وإشاراته المتكررة؟

هاووز هو مساعد الكاهن الجديد عندنا، وقد بدأ عمله منذ ثلاثة أسابيع. وهو ذو آراء تولي أهمية كبرى للطقوس في حين أن

الكولونيل بروثيرو من أشد معارضي الطقوس أياً كان نوعها.

قلت رداً على سؤال زوجتي: لم يكن هاوز هو السبب هذه المرة. لقد أشار بروثيرو إليه إشارة عابرة، ولكن المشكلة كلها كانت بسبب جنه السيدة برايس ريديلي المشؤوم.

كانت السيدة برايس ريديلي من الأتباع المخلصين في أبرشيتي. وقد حدث - أثناء حضورها صلاة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لوفاة ابنتها - أن وضعتُ جنيتها في صندوق التبرعات. ولدى قراءتها لاحقاً لقائمة التبرعات آلمها أن تلاحظ أن أكبر فئة من النقود تم ذكرها هي عشرة شلنات!

وفد اشتكت لي بخصوص ذلك، فقلت لها بطريقة معقولة إنها ربما كانت قد توهمت في مقدار ما تبرعت به، وقلت - بلباقة - في محاولة لتبرير الأمر: إننا - جميعاً - لم نعد صغاراً كما كنا، ويجب أن ندفع ضريبة التقدم بالعمر.

ولكن الغريب أن كلماتي لم تفلح إلا في زيادة غضبها. قالت إن الأمور تبدو غريبة جداً، وإنها مندهشة لأنني لا أرى ذلك أيضاً. ثم ذهبت وأفضت بشكوكها - كما أفطن - إلى الكولونيل بروثيرو، وهو من أولئك الذين يجدون متعة في إثارة قضية كبرى بمناسبة ودون مناسبة. وقد أثار قضية بالفعل، والمؤسف أنه أثارها في يوم أربعاء. وأنا أعطي دروساً في مدرسة الكنيسة صباح أيام الأربعاء، وهو ما يسبب لي ضيقاً حاداً ويجعلني قلقاً إلى آخر النهار.

قالت زوجتي وكأنها تحاول تلخيص الموقف بنجرد: حسناً، لقد حصل على بعض المتعة دون شك. فلا أحد بطريه أو يشي عليه

أو يهديه مغلزات أو جوارب هدايا لعيد الميلاد، كما أن زوجته وابنته كلتيهما ضاقتا به ذرعاً. أحسب أن من دواعي سعادته أن يشعر بالأهمية في مكان ما.

قلت بشيء من الغضب: ولكن لا ميرر لأن يتصرف بشكل مسيء. لا أظنه أدرك تماماً مضامين ما طرحه من أقوال. إنه يريد مراجعة كل حسابات الكنيسة بحشية وجود عبث بالأموال... نعم، تلك هي العبارة التي استعملها: العبث بالأموال! أترأه يشتبه في اختلاسي لأموال الكنيسة؟

قالت غريزلدا: لا أحد يشتبه بك لأي سبب يا عزيزي. إنك من الشفافية بحيث ترقى فوق أية شبهات، الأمر الذي يشكل حقاً فرصة رائعة للاختلاس. لئيك تختلس أموال الجمعية التبشيرية؛ فأنا أكره الجمعيات التبشيرية... كنت دوماً أكرهها.

كان من شأني أن أوبخها على مشاعرها هذه، ولكن ماري دخلت في تلك اللحظة حاملة فطيرة أرز لم تنضج بعد. وقد اعترضتُ باحتجاج بسيط، ولكن غريزلدا قالت إن اليابانيين يأكلون دوماً أرزاً غير ناضج ولذلك فإن لهم عقولاً مندهشة. ثم أضافت قائلة: أحسب لو أنك تناولت فطيرة أرز كهذه كل يوم وصولاً إلى يوم الأحد فإنك ستلقي أكثر المواعظ روعة.

قلت مرتعداً: "لا سمح الله!"; ثم أضفت: سيأتي بروثيرو مساء غد، وسراجع الحسابات معاً. عليّ أن أنهى عطاياي الذي سألقيه اليوم أمام جمعية رجال كنيسة انكلترا. لقد استغرقت - وأنا أبحث في أحد المراجع - في قراءة مقالة "الواقع" التي كتبها كانون شيرلي

بحيث لم أمضِ في مقالتي كما ينبغي. ماذا لديك عصر اليوم يا غريزelda؟

- لدي واجبي... الشاي والغبة في الساعة الرابعة والنصف!

- من سيأتيك؟

عددت غريزelda ضيفاتها على أصابعها قائلة: السيدة برايس ريدلي، والأنسة وذري، والأنسة هارتيل، وتلك السيدة الفظيعة: الأنسة ماربل.

- تعجبني الأنسة ماربل، إن لديها - على الأقل - روح دعابة.

- إنها أسوأ امرأة في القرية. وهي تعرف دوماً كل كبيرة وصغيرة تحدث، وتستنتج من كل حادثة أسوأ ما يمكن استنتاجه.

لقد سبق لي أن قلت إن غريزelda تصغرنى كثيراً، والمرء - في مثل عمري - يعرف بأن الأسوأ عادةً ما يكون صحيحاً.

قال دينيس: حسناً، لا تتوقعي حضوري جلسة الشاي يا غريزelda.

قالت غريزelda: لييم!

- لقد دعنتي أسرة برونيو فعلاً للعب التنس اليوم.

قالت غريزelda ثانية: لييم!

انسحب دينيس بتعقل ومضيت أنا وغريزelda معاً إلى مكسي.

قالت غريزelda وهي تجلس على طاولة كتابتي: لا أدري ماذا أقدم مع الشاي. أظن أن الدكتور ستون والأنسة كرام وربما السيدة ليسترينج سيحضرون. وبالمناسبة فقد زرت السيدة ليسترينج بالأمس، ولكنها

كانت خارج البيت. نعم، إنني واثقة أن السيدة ليسترينج ستأتي لجلسة الشاي. ألا ترى أن من الغامض جداً وصولها إلى هنا بهذا الشكل واستحارها بيتاً لا تخرج منه إلا لعماماً؟ إن ذلك يجعل المرء يفكر بالقصص البوليسية حيث تجد تساؤلات مثل: "من هي تلك المرأة الغامضة ذات الوجه الجميل الشاحب؟ ما هو ماضيها؟ لا أحد يعرف. إن فيها مسحة شر خفية". أظن أن الدكتور هيدوك يعرف شيئاً عنها.

قلت بيروود: إنك تقرأين الكثير من القصص البوليسية يا غريزelda.

- وماذا عنك أنت؟ لقد بحثتُ أمس في كل مكان عن رواية "دماء على الدرج" عندما كنت أنت هنا تكتب موعظة. فماذا وجدتُ أخيراً عندما دخلت لأسألك عنها؟

احمرُّ وجهي وقلت: لقد أخذتها عن الرفِّ دون قصد. لفتت انتباهي جملة عابرة...

- إنني أعرف تلك الجملة العابرة.

ثم أخذت تمثّل دور من يقرأ في كتاب قائلة: "... وبعدها حدث شيء بالغ الغرابة... فقد نهضت غريزelda وعبّرت الغرفة وقبّلت زوجها الكهل بكل حب". ثم قامت بتطبيق ما قالته، فسألتها: وهل هذا بالغ الغرابة؟

- طبعاً بالغ الغرابة. ألا ترى يا لين أنه ربما كان بمقدوري أن أتزوج وزيراً أو باروناً أو صاحب شركة غنياً أو واحداً من ثلاثة ضباط أو رجلاً حسن الأخلاق فاشلاً، ولكنني اخترتك أنت بدل ذلك؟ ألم يذهلك ذلك كثيراً؟

-- لقد أذهنتني في حينه. لطالما تساءلت عن سبب اختيارك لي!

- لأن ذلك جعلتني أشعر أنني جدٌ قوية. لقد رأى فيّ الآخرون مجرد امرأة رائعة، وكان يسعدّهم أن أكون لهم. أما أنت فإنني أحسّد لك كل ما تكرهه وتشجيه، ومع ذلك لا تستطيع مقاومتي! وخيلاتي -بدورها- لم تستطع مقاومة هذه المنزلّة! إنني أبلغ في إزعاجك وإثارتك والتأكيد عليك طوال الوقت، ومع ذلك فإنك تحبني بحنون. أنت تحبني بحنون، أليس كذلك؟

- أنا أحبك طبعاً يا عزيزتي.

- بل إنك محنون بي. أتذكر ذلك اليوم الذي بقيتُ فيه في المدينة وأرسلت لك برفقة لم تستلمها أنت لأن أخت مأمورة البريد كانت تلد توأماً فنسبتُ إيصالها إليك؟ أتذكر الحالة التي أصابتك، واتصالك بشرطة سكوتلانديارد والضجة الفظيعة التي أترتها؟

لكل امرئٍ أشياء يكره أن يذكرها بها أحد. لقد تصرف -حقاً- بحماقة فظيعة في تلك المناسبة. قلت لها: إذا سمحت يا عزيزتي، أريد أن أكمل خطابي أمام تلك الجمعية.

تهتدت غريزلدا بانزعاج بالغ ونفشت شعري حتى أوقفته، ثم عادت فمسدته وقالت: أنت لا تستحقني... لا تستحقني حقاً!

قلت بهدوء: لقد قضى الأمر!

ضحكت غريزلدا وأرسلت لي قبلة في الهواء وغادرت الغرفة.

* * *

الفصل الثاني

إن غريزلدا امرأة شديدة الإزعاج. كنت قد أحسست لدى قيامي عن طاولة الغداء بأنني في مزاج رائع يسمح لي بتحضير خطاب قوي فعلاً، أما الآن فإنني أشعر بالقلق والانعراج. وفيما أنا أنهياً للالتكباب على الخطاب دخلت ليتيس بروثيرو نائبة إلى مكنتي.

إنني أستخدم كلمة "نائبة" عن قصد! فقد قرأت روايات تصف الشباب بأنهم يتدفقون حيوية وتحدث عن نضارتهم وتألفهم... إلّا أنني -شخصياً- وجدت في كل من التقيتهم من الشباب شيئاً أقرب إلى الأشياح الحيوانية. وقد كانت ليتيس في هذا المساء أشبه بشبح. إنها فتاة جميلة، بالغة الطول، بيضاء البشرة، يصعب -تماماً- فهمها وتصنيفها. دخلت نائبة من خلال الباب الزجاجي، ونزعت بشيء من الشرود قبعتها الصفراء، وتمتمت بغموض وبدهشة من أتى من عالم آخر: "أوه! هذا أنت".

يمتد عبر الغابة طريق من منزل "أولد هول" ليفضي إلى بوابة حديقةنا، بحيث أن أغلب القادمين من هناك يدخلون من تلك البوابة ويأتون عبر الحديقة إلى الباب الزجاجي لمكنتي بدل أن يأخذوا الطريق

الطويل - حول البيت وصولاً إلى الباب الأمامي. ولذلك لم يدهشني قدوم ليتيس بهذا الشكل، ولكنني استأثت قليلاً من عبارتها؛ فإني إن أتيت إلى بيت الكاهن لا بد أن تتوقع وجود كاهن فيه.

دخلت مكثي وألقيت بنفسها كومة واحدة على أحد الكراسي الضخمة، ثم عثت بشعرها لاهية وهي تحديق في السقف وقالت: هل دينيس هنا ؟

- لم أره منذ الغداء. فهمت أنه ذهب ليلعب التنس عندكم.

- أوه، أرجو ألا يذهب؛ إنه لن يجد أحداً هناك.

- لقد قال إنكم دعوتموه لذلك.

- أظنني دعوته فعلاً. ولكن كان ذلك يوم الجمعة، واليوم هو الثلاثاء.

- بل هو الأربعاء.

- أوه، يا لفظاعة ذلك! هذا يعني أنني نسيت للمرة الثالثة الذهاب لتناول الغداء مع أناس أعرفهم.

ولكنها لم تبتئذ متزعجة كثيراً لذلك. قالت: وهل غريزدا هنا ؟

- أظنك ستجدينها في المرسوم في الحديقة... جالسة أمام لورنس ريدنغ.

- لقد حدثت لي مع أبي مشكلة كبرى بشأنه... إن أبي فقطيع.

- وما سبب تلك المشكلة ؟

- بسبب رسمه لي؛ فقد اكتشف أبي ذلك.

سكنت ليتيس قليلاً ثم مضت قائلة: إنه لمن السخف - حقاً - أن يمتنع أبي شاباً من دخول المنزل. لقد ملأنا الدنيا صياحاً أنا ولورنس بسبب ذلك. سوف أتى وأدعه يرسمني هنا في مرسمكم.

- كلا يا عزيزتي، لا تفعل ذلك إن كان أبوك لا يسمح به.

تهددت ليتيس وقالت: أوه، كلا. يا للسام الذي يثبته الجميع! أشعر بالشتات تماماً. لو كان عندي - فقط - بعض المال لسافرت، ولكني لا أستطيع السفر دون مال. ولو أن والدي يتصرف بشرف ويموت لكنت أنا في أحسن حال.

- لا ينبغي لك أن تقولي أشياء كهذه يا ليتيس.

- إن كان لا يريدني أن أتعنى موته فإن عليه أن لا يكون مقترراً بهذا الشكل. أنا لا أستغرب هروب أبي منه. أتعرف أنني كنت أظن لسنوات أنها قد ماتت.. كيف كان ذلك الشاب الذي هربت معه؟ أكان لطيفاً ؟

- كان ذلك قبل أن يأتي والدك للعيش في هذا المكان.

- إنني لأتساءل ماذا حل بها. أما أن فلا أظن إلا أنها تكرهني. صحيح أنها منصفة معي، ولكنها تكرهني. إنها تنقدم بالعمر، وتشاء من ذلك. هذا هو العمر الذي ينهار فيه المرء.

تساءلت في سري إن كانت ليتيس ستفضي عصر اليوم كله في مكثي. وما لبثت أن سألت: ألم ترَ اسطواناتي ؟

- يا للإزعاج! أعلم أنني تركتها في مكان ما. كما أنني أضعت الكلب... وساعتي أيضاً مفقودة في مكان ما، إلا أنها لا تهتم لأنها لن تضيع. أود يا إلهي، أنني أشعر بنعاس شديد... لا أدري لماذا، إذ لم أنهض حتى الحادية عشرة. ولكن الحياة مملّة كثيراً، أليس كذلك؟ أوه، ينبغي أن أمضي؛ فسوف أذهب الساعة الثالثة لرؤية القبر الأثري الذي اكتشفه الدكتور ستون.

نظرتُ إلى ساعتِي وقلت: إنها الآن الثالثة وخمسون وثلاثون دقيقة.

- أوه، حقاً؟ يا للفظاعة! لا أدري إن كانوا قد انتظروني أم أنهم قد ذهبوا بدوني. الأفضل أن أذهب لأرى ما يمكنني فعله.

لهضتُ وخرجتُ نائمة مرة أخرى وهي تئنّت إليّ قائلة: لا تنسَ إبلاغ دينيس.

قنتُ لها: "نعم" بشكل تلقائي، ولم أدرك (إلا متأخراً) أنني لا أعرف ما الذي يفترض بي أن أبغّه لدينيس. ولكنني فكرت بأن ذلك لن يكون في أغلب الأحوال أمراً ذا أهمية. عدتُ لأتأمل في موضوع الدكتور ستون، عالم الآثار الشهير الذي جاء مؤخراً ليقسم في فندق "بنو بور" ويشرف على أعمال التنقيب عن ذلك القبر الذي اكتشف في أرض الكولونيل بروثيرو. وقد حدثت نزاعات عديدة بينه وبين الكولونيل. وسرتني دعوته لدينيس لرؤية عمليات التنقيب.

لقد خطرت ببالي أن في لدينيس بروثيرو شيئاً من المكر المعبود. ونساءلت كيف سنستطيع الفتاة أن تتسجم مع سكرتيرة عالم الآثار

الآنسة كرام، والآنسة كرام شابة في الخامسة والعشرين من عمرها، يادية الصحة، كثيرة الحركة، ذات حيوية دافقة وفهم يبدو للناظر دوماً وكأنه قد امتلأ بأكثر من حصته الطبيعية من الأسنان. وتنقسم الآراء في القرية بين قائل إنها ليست كما ينبغي لها أن تكون وبين قائل إنها شابة ذات عفة صارمة تخطط لتصبح في أقرب فرصة زوجة للسيد ستون، وهي تشكل نقيضاً للدينيس في كل شيء.

بوسعي أن أتخيل أن الحياة في منزل الكولونيل بروثيرو المسمى "أولد هول" ربما لا تكون سعيدة؛ فلفقد تزوج الكولونيل للمرة الثانية قبل نحو خمس سنوات، وكانت زوجته الجديدة، آن، ذات حسن بالغ لا يكاد يكون عادياً. وقد كنت أحسن دوماً أن العلاقات بينها وبين ابنة زوجها لم تكن على ما يرام.

جاء من يقطع عليّ عملي مرة أخرى. كان هذه المرة مساعدي هاوز، وقد أراد أن يعرف تفاصيل لقائي بالكولونيل بروثيرو. أخبرته بأمر مختلف تماماً عن الغرض الحقيقي من زيارة الكولونيل، وفي نفس الوقت مررتُ ملاحظة استياء مني أنا، وقلت له صراحة إن عليه أن يلتزم بتعليماتي. وقد تقبل هاوز ملاحظاتي بصدر رحب عموماً.

شعرت بشيء من تأنيب الضمير بعد مغادرته لعدم محيتي إياه كما ينبغي. إن مشاعر المحبة والكراهية غير العقلانية تلك، التي يحس بها المرء تجاه الناس، ليست من الدين في شيء بالتأكيد.

أدركت -وأنا أتهدد- أن عقارب الساعة على مكثي تشير إلى الخامسة إلا ربعاً، وهو ما يعني أنها في الحقيقة الرابعة والنصف، وهكذا انطلقت إلى غرفة الحلوس.

اجتمعت هناك أربع نساء من رعايا أبرشيتي وأمامهن فناءين الشاي. جلست غريزelda خلف طاولة الشاي محاولة أن تبدو طبيعية ضمن بيتها، ولكنها لم تفلح إلا في الظهور أكثر نشاراً من المعتاد.

صافحتُ الحضور جميعاً وجلست بين الأنسة ماربل والأنسة وذريبي. والأنسة ماربل عجوز بيضاء الشعر ذات سميت لطيف محبب، أما الأنسة وذريبي فهي مزيج من المرارة والفجاجة في التعبير والسلوك. وإذا ما قارنا بين هاتين العرأتين فلا شك أن الأنسة ماربل هي الأعطر بما لا يقاس.

قالت غريزelda بصوت أعذب من العسل: كنا نتحدث -لثونا- عن الدكتور ستون والأنسة كرام.

حطرت في ذهني عبارة مقذعة ابتكرها دينيس: "الأنسة كرام لا تبالي بشيء أبداً". وتملكتني رغبة شديدة في الجهر بتلك العبارة ومراقبة تأثيرها، ولكنني أحجمت عن ذلك لحسن الحظ.

قالت الأنسة وذريبي باقتضاب: ما من فتاة مؤدبة تفعل ذلك.

سألتهما: تفعل ماذا ؟

فأجابت بتبرة هول مستهجنة: تعمل سكرتيرة لرجل أعزب.

قالت الأنسة ماربل: أوه! يا عزيزتي، إنني أرى أن المتزوجين أسوأ حالاً. نذكري المسكينة مولي كارتر.

قالت الأنسة وذريبي: المتزوجون الذين يقيمون بعيداً عن زوجاتهم ذوو سمعة سيئة بالطبع.

أجابتها زميلتها: بل حتى بعض المقيمين مع زوجاتهم. إنني أذكر...

قاطعتُ مثل هذه الذكريات التي لا تحمد عقباها وقلت: ولكن يمكن للفتيات في هذه الأيام تولي أي عمل شأنهن في ذلك شأن الرجال.

قالت السيدة برايس ريدلي بصوت قاس: ويمكنهن أيضاً القدوم إلى الريف؟ بل والإقامة في نفس الفندق؟

تمنعت الأنسة وذريبي قائلة للأنسة ماربل: وغرف النوم في الطابق نفسه أيضاً.

أما الأنسة هارنتيل -التي كانت امرأة مرحة سيفعت بشرتها الأنواء الجوية، وكان فقراء القرية يخشونها كثيراً- فقد قالت بصوت جهوري عال: ذلك المسكين، سيتم الإمساك به قبل أن يعرف موطن قديمه. إنه بريء كطفل لم يولد بعد، هذا واضح جداً.

غرية هذه العبارات التي نستخدمها. ما كانت واحدة من الحاضرات لتحلم بالإشارة إلى طفل بهذا الأسلوب ما لم يكن طفلاً حقيقياً يرقد في مهد أمام أعين الجميع.

مضت الأنسة هارنتيل قائلة بأسلوبها القفّ المعتاد: أمر مقرف، لا بد أن الرجل يكبرها بخمس وعشرين سنة على الأقل.

تعالت في وقت واحد ثلاثة أصوات نسائية تبدي ملاحظات لا رابط بينها حول الرحلة التي قامت بها فرقة الصبيان، وذلك الحادث المؤسف أثناء اجتماع الأمهات، والحو البارد.

ورمشت الأنسة ماربل بعينها لغريزلدا، فقالت زوجتي: ألا تحسبن أن هدف الأنسة كرام قد لا يعدو الرغبة في الحصول على وظيفة ممتعة؟ وأنها تعثر السيد ستون مجرد ربّ عمل؟

ساد القليل من الضمت. وبدا واضحاً أن أياً من النساء الأربع لا تتفق معها. ثم قطعت الأنسة ماربل الضمت بأن ربت على ذراع غريزلدا وقالت: يا عزيزتي، إنك شابة، وعقول الشباب بريئة جداً.

قالت غريزلدا بسخط إنها ليست ذات عقل بريء أبداً، فتناجعت الأنسة ماربل متجاوزة اعتراضها: طبعي أن تحسني الظن بالناس.

- أنظمتينها حقاً تريد الزواج بذلك الرجل الأصلع المعمل؟

أجابت الأنسة ماربل: لقد فهمت أنه غني تماماً، وأنظفه ذامزاج عتيق. لقد خاض مشاحرة عنيفة مع الكولونيل بروثيرو قبل أيام.

مال النسوة بأجسامهن إلى الأمام باهتمام، فيما أكملت الأنسة ماربل: لقد اتهمه الكولونيل بروثيرو بأنه جاهل.

قالت السيدة برايس ريديلي: كم هو طبعي من الكولونيل أن يتصرف هكذا، وكم هو سخيف أيضاً.

قالت الأنسة ماربل: إنه طبعي جداً منه، ولكني غير واثقة إن كان ذلك سخيفاً. أتذكرين تلك المرأة التي جاءتنا وقالت إنها مندوبة إحدى مؤسسات الضمان الاجتماعي، وبعد أن أخذت التبرعات لم تعد نسمع عنها شيئاً، وثبت أن لا علاقة لها أبداً بأية مؤسسات؟ إن المرء يميل كثيراً لوضع ثقته بالناس وأخذهم بما يقولونه عن أنفسهم.

ما كنت لأحلم بوصف الأنسة ماربل بأنها امرأة تنق بالناس.

سألت الأنسة وذريتي: لقد دارت بعض الأقاويل عن ذلك الفنان الشاب، السيد ريدينغ، أليس كذلك؟

أومأت الأنسة ماربل بالإيجاب وقالت: لقد طرده الكولونيل بروثيرو خارج البيت؛ يبدو أنه كان يرسم لبتيس في ثياب السباحة.

قالت السيدة برايس ريديلي: لقد كنت أظن دوماً أن بينهما شيئاً؛ فذلك الشاب يتسكع دوماً هناك. من المؤسف ألا تكون لتلك الفتاة أم ترعاها... إن زوجة الأب لا تشكل بديلاً أبداً.

قالت الأنسة هارتنيل: أظن أن زوجة السيد بروثيرو تبذل في ذلك كل ما في وسعها.

علقت السيدة برايس ريديلي باستهجان: الفتيات وقحات جداً. تدخلت الأنسة الأرقى قلباً وذريتي فائلة: هذه قصة غرامية مثيرة، أليس كذلك؟ إنه شاب وسيم جداً.

قالت الأنسة هارتنيل: ولكنه متحلل... وهذا طبعي، فهو فنان!

قالت السيدة برايس ريديلي: ويرسمها في ثياب السباحة... ليس ذلك بالتصرف اللائق.

قالت غريزلدا: إنه يرسمني أنا أيضاً.

قالت الأنسة ماربل: "ولكن ليس في ثياب السباحة يا عزيزتي". ثم سألتني: هل أخبرتك العزيزة لبتيس بالمشكلة؟

- أخبرني أنا؟

- نعم، لقد رأيتهَا تغير الحديقة إلى الباب الزجاجي لمكتبك.

إن الأنسة ماربل ترى دوماً كل شيء، وبشكل شغفها بالحدائق غطاء مناسباً تماماً لذلك، كما أن هوايتها في مراقبة الطيور بمنظار عالي الكفاءة تعطي دوماً فوائد هائلة الجانية.

قلت معترفاً: نعم، لقد أشارت إلى الموضوع.

صاحت الأنسة وذريبي بانفعال: أوه! لقد نسيت تماماً. إن لدي أخباراً... فلقد رأيت الدكتور هيدوك خارجاً من بيت السيدة ليسترينج!

تبادل الجميع النظرات، وقالت السيدة ريدلي: ربما كانت مريضة.

علقت الأنسة هارتنيل قائلة: إن كان الأمر كذلك فلا شك أن مرضها جاء فجأة؛ فقد رأيتهَا تمشي في حديقتهَا في الثالثة من بعد ظهر اليوم، وقد بدت بصحة ممتازة.

قالت السيدة برايس ريدلي: لا بد أنها من المعارف القدامى للدكتور هيدوك. لقد أبدى تكتماً تجاه الموضوع.

أبدتهَا الأنسة وذريبي قائلة: غريب أنه لم يأتِ أبداً على ذكر ذلك.

قالت غريزلدا بصوت منخفض غامض: في الحقيقة...

ثم توقفت، فعال الجميع إلى الأمام باهتمام وترقب، ومضت غريزلدا بأسلوب مؤثر تقول: صدف وعرفتُ أن زوجها كان يعمل في الحملات التبشيرية. إنها قصة مخيفة.. لقد تمَّ أكله. أعني حرفياً

إنهم أكلوه، وأجبرت هي على الزواج من زعيم القبيلة لتصبح زوجته الأثيرة. وقد كان الدكتور هيدوك في بعثة هناك فأنقذها.

غمر الانفعال الجميع للحظة، ثم قالت الأنسة ماربل مؤببة وهي تتسهم: "يا لك من شقية!"، ثم ربت على ذراع غريزلدا قائبة وقالت: هذا تصرف يفتقر تماماً للحكمة يا عزيزتي؛ فإن احترعت مثل هذه الروايات مال الناس - على الأرجح - لتصديقها، وقد يؤدي ذلك أحياناً إلى تعقيدات.

بدا وكأن المجتمعات قد حطَّ على رؤوسهن الطير، ثم ما لبثت اثنتان منهما أن نهضتا مودعتين.

قالت الأنسة وذريبي: أتساءل إن كان نمة شيء بين الشاب لورنس ريدنغ ولتيس برونيرو، فظاهر الأمر هكذا بالتأكيد. ما رأيك يا آنسة ماربل؟

- ما كنت أنا لأقول ذلك شخصياً. ليس ليتيس... بل أظنها امرأة أخرى تماماً.

- ولكن لا بد أن الكولونيل برونيرو ظن أنهما...

قاطعتها الأنسة ماربل قائلة: لطالما رأيتهَا في الكولونيل رجلاً مغفلاً. إنه من ذلك النوع الذي يُدخل فكرة خاطئة في رأسه ثم يصر عليها. أتذكرين جو باكسيل الذي كان يدير فندق بلو بور؟ أثار مشكلة كبرى حول وجود علاقة بين ابنته والشاب بيلي، ثم تبين لاحقاً أن العلاقة كانت دوماً مع زوجته اللعوب تلك.

كانت تركز نظراتها على غريزلدا وهي تتكلم، وقد أحسستُ

فجأة بموجة غضب عارمة. قلت لها: ألا ترين - يا آنسة ماربل - أننا نرعى العنان كثيراً لألسنتنا، إن ترك الألسنة تلهج بحماسة بالإشاعات السيئة يمكن أن يقضي إلى أضرار لا يمكن تقديرها.

قالت الآنسة ماربل: يا عزيزي الكاهن، إنك لشديد الورع والمثالية، إنني لأكاد أقول إن من شأن امرئ راقب النفس البشرية طويلاً كما راقبتها أن لا يتوقع منها الكثير. إنني أرى أن التميمية والأقاربيل اللاهية أمر خططي جداً وكرهه، ولكنه ينطوي على الحقيقة في أغلب الأحيان، أليس كذلك؟

أصابت تلك الملاحظة الوداعية مقتللاً.

* * *

الفصل الثالث

قالت غريزلدا وهي تغلق الباب: يا لها من عجوز ثرثارة قذرة!

وأظهرت لضيفاتها المبتعدات وجهاً بشوشاً ثم التفتت إليّ وضحكت قائلة: هل تشك حقاً يا لين يا بني أقيم علاقة مع لورنس ريدنفغ؟

- يا عزيزتي! كلا، بالطبع.

- ولكنك حسبت أن الآنسة ماربل نلّمح لذلك. وقد بادرت إلى الدفاع عني بشكل رائع، مثل... مثل نمر غاضب.

أتأبني شيء من التملعل، إذ ليس لكاهن مثلي أن يضع نفسه في موقف يوصف فيه بأنه نمر غاضب. ثم قلت لها: لقد شعرت أنه لا ينبغي للمناسبة أن تمر دون إبداء ملاحظة احتجاج، ولكنني أتمنى - يا غريزلدا - أن تكوني أكثر حرصاً فيما تقولينه.

- أتعني بذلك قصة القبيلة المتوحشة أم تلميحني إلى أن لورنس كان يرسمني كما رسم تلك الفتاة! ليتهم يعلمون أنه رسمني وأنا أرتدي عباءة وافرّة لُحينة، ذات ياقة عالية من الفرو، وهي في

للمزيد من الكتب والروايات

www.ebooksworld.net

غاية الاحتشام حقاً. بل إن لورنس لم يحاول حتى التودد إليّ.

- طبعاً، إذ يعرف أنك امرأة متزوجة...

- لا تتظاهر بأنك قادم من المريخ. أنت تعلم جيداً أن شابة حسنة لها زوج كهيل تشكل فرصة ثمينة لأي شاب. لا بد من وجود سبب آخر... الأمر ليس في افتقاري للجمال، فعندي الكثير منه.

- لا أظنك تريد به أن يتودد إليك ؟

- ك... كلا.

قالت غريزelda بتردد رأيت أكثر من المناسب، وعلقت قائلاً: إن كان يحب ليتيس بروثيرو...

- ولكن لا يبدو أن الأنسة ماربل ترى ذلك.

- قد تكون الأنسة ماربل مخطئة.

- إنها لا تخطئ أبداً. ذلك النوع من العجائز الثرائيات دائماً على صواب.

سكنت قليلاً ثم قالت وهي تلقي إليّ نظرة جانبية سريعة: أنت تصدقني، أليس كذلك؟ أعني بأنه ما من شيء بيني وبين لورنس.

قلت مندهشاً: يا عزيزتي غريزelda... بالطبع أصدقك.

تقدمت زوجتي وقبّلني ثم قالت: ليشك لا تكون سهل الانخداع إلى هذه الدرجة يا لين. إنك تصدقني في كل ما أقوله.

- أتمنى ذلك. ولكنني أتوسل إليك يا عزيزتي أن تمسكي

لسانك وتحرصي فيما تقولين. إن هؤلاء النسوة لا يعرفن للمزاح طريقاً، وهنّ ياعذن كل أمر على محمل الجد.

- إن ما يحتجته هو القليل من الانحلال في حياتهن، وعندها لن تراهن منشغلات بالبحث عنه في حياة الآخرين.

وعند هذه النقطة غادرت غريزelda الغرفة، فألقيت نظرة على ساعتني وهرعت للقيام ببعض الزيارات التي كان عليّ القيام بها في وقت سابق من هذا النهار.

كان الحضور في مساء الأربعاء قليلاً كالمعتاد، ولكنني - حين خرجت من الكنيسة بعد نزع عباةتي في الغرفة المخصصة لذلك - وجدت المكان خالياً إلا من امرأة وقفت تحديق في إحدى نوافذ الكنيسة. وللكنيسة بعض النوافذ ذات الزجاج القديم الملون، بل إن الكنيسة نفسها تشكل صرحاً يستحق النظر. التفتت المرأة حين سمعت صوت خطواتي فرأيت أنها كانت السيدة ليسترينج.

ترددنا كلانا للحظة ثم قلت: أرجو أن تكون كنيسة الصغيرة قد أعجبتك.

- كنت أتأمل بإعجاب واقية النافذة.

كان صوتها عذباً، منخفضاً رغم وضوحه ودقة مخارج ألفاظه. وأضافت قائلة: إنني آسفة جداً إذ لم تجدي زوجتك بالأمس.

تحدثنا بضع دقائق أخرى عن الكنيسة، وبدا واضحاً أنها امرأة ذات ثقافة عالية. ثم تركنا المبنى معاً ومشينا في الطريق، إذ أن أحد الطرق المقضية إلى بيتي كان يمر من أمام بيتها. وعندما وصلنا بوابة

بيتها قالت بمرح: لماذا لا تفضل بالدخول لتعطيني رأيك بما فعلته؟
وقد قبضت الدعوة. كان البيت الذي تسكنه، والمسمى "البل
غير"، يعود فيما مضى لضابط أنغلو-هندي، ولم أملك إلا الشعور
بالارتياح لغياب الطاولات النحاسية والأصنام البورمية التي كانت
هناك سابقاً. لقد فرش البيت الآن بشكل بسيط ولكن بأسلوب
حاسس مميز بحيث يجد فيه المرء شعوراً بالراحة والانسجام. ومع
ذلك فقد تساءلت أكثر فأكثر عن السبب الذي دفع امرأة كالسيدة
ليسترينج للمجيء إلى قرية "سينت ميري ميد". كانت تبدو بكل
وضوح امرأة خبيثة عركتها التحارب، بحيث بدا دفنها لنفسها في
قرية ريفية أمراً يدل على ذوق غريب.

وفي الضوء الوافر لغرفة الحلوس واتلني فرصة تأملها لأول
مرة: كانت امرأة طويلة جداً، وكان شعرها ذهبياً مع مسحة من
الاحمرار فيه. أما حجابها ورموشها فقد كانت سوداء، ولم أستطع
أن أحزم إن كان ذلك صنعة أم طبيعة. ولكن كان ذلك صنعة وبرحاً
فقد رأيت أنه تم بشكل متقن. كان في وجهها شيء غامض عندما
يكون هادئاً، وكانت عيناها أغرب عيتين رأيتهما... يكاد لونهما
يكون ذهبياً في الظل. أما ثيابها فكانت غاية في الكمال، وأسلوبها
يتميز ببساطة امرأة من عائلة رقيقة، ومع ذلك كان فيها شيء ناشز
مخبر، يشعر المرء أنها لغز. وقد خضرت لذهني الكلمة التي
استخدمتها غريز لدا: شريفة! كان ذلك تعبيراً سخيفاً بالطبع،
ولكن... أترأه سخيفاً حقاً؟ وقفزت فكرة إلى ذهني مباشرة: ليس
لهذه المرأة وزع يشبهها عن شيء مما تريد.

كان كلامنا في أكثر الموضوعات عمومية: اللوحات والكتب

والأبنية القديمة. ومع ذلك فقد أحسست بانطباع قوي يفيد بوجود
شيء آخر... شيء مختلف تماماً تريد السيدة ليسترينج أن تقول لي.
لاحظتها تنظر إليّ مرة أو مرتين، تنظر بتردد غريب كما لو
أنها لم تكن قادرة على أن تحزم أمرها. ولاحظت أنها أبقت
الحديث مقتصرًا -بحزم- على الأمور العامة، ولم تشر إلى زوج أو
قريب. ومع ذلك كانت في عينيها تلك المناشدة الغريبة الملحة التي
توشك أن تقول: "أأعيرك؟ أريد إيجارك. ألا يمكنك مساعدتي؟".
لكن تلك المناشدة تلاشت أخيراً... أو أنها لم تكن إلا خيالاً مني.
شعرت أنني قد استبعدت وأن اللقاء قد انتهى، فنهضت واستأذنت.
ولدى مغادرة الغرفة التفتُ فرأيتها تحديق ورائي وعلى وجهها
أمارات الحيرة والشك.

وبقرار مفاجئ عدت وسألتها إن كان يوسعني المساعدة في أي
أمر. قالت بارتياح: هذا لطف بالغ منك...

وقفنا معاً صامتين، ثم قالت: ليتني أعرف؟ أمر صعب. لا، لا
أظن أن يوسع أحد مساعدتي، ولكن شكراً على عرضك للمساعدة.

بدا ذلك القول نهائياً، وهكذا خرجت. ولكنني كنت أتساءل
وأعجب؛ إذ لم تعند الألفاظ في سينت ميري ميد. وكنت مستغرباً
في ذلك إلى الحد الذي ألهمني -وأنا خارج من البوابة- عن رؤية
الآنسة هارتنيل التي اصطدمت بي... والآنسة هارتنيل ماهرة جداً في
الاصطدام العنيف غير المتكافئ!

هتفتُ بدعابة ثقيلة: رأيته! وقد أثارني ذلك كثيراً. يمكنك
الآن أن تحبرنا بالأمر كله.

- بماذا أخبركم؟

- بأمر السيدة الغامضة! أهي أرملة أم أن لها زوجاً في مكان ما؟

- لا يمكنني الجزم حقاً؛ فهي لم تخبرني.

- ما أغرب ذلك! يحيل لي أنها لا بد أن تذكر شيئاً عرضاً.

يكاد يبدو أن لها أسياً لعدم الحديث، أليس كذلك؟

- أنا - في الواقع - لا أرى ذلك.

- آه، ولكنك - كما قالت الآنسة ماربل - شديد المثالية يا

عزيزي الكاهن. أخبرني، أكانت تعرف الدكتور هيدوك منذ أمد بعيد؟

- لم تأتِ على ذكره، ولذلك لا أدري.

- عجيب! فيم تحدثتما إذن؟

قلت صادقاً: تحدثنا عن اللوحات والموسيقى والكتب.

بدأت الآنسة هارنتيل مرتابة غير مصدقة، وهي التي لا تعدو

موضوعات أحاديثها الشؤون الشخصية البحتة. انتهزت فرصة

تردها لحظات وهي تفكر في كيفية المضي بتحقيقها فتمنيت لها

مساء سعيداً وابتعدت سريعاً.

زرت بيتاً آخر أكثر قرباً من مركز القرية ثم عدت إلى بيتي

عن طريق بوابة الحديقة مروراً - والحالة هذه - بالنقطة الخطرة

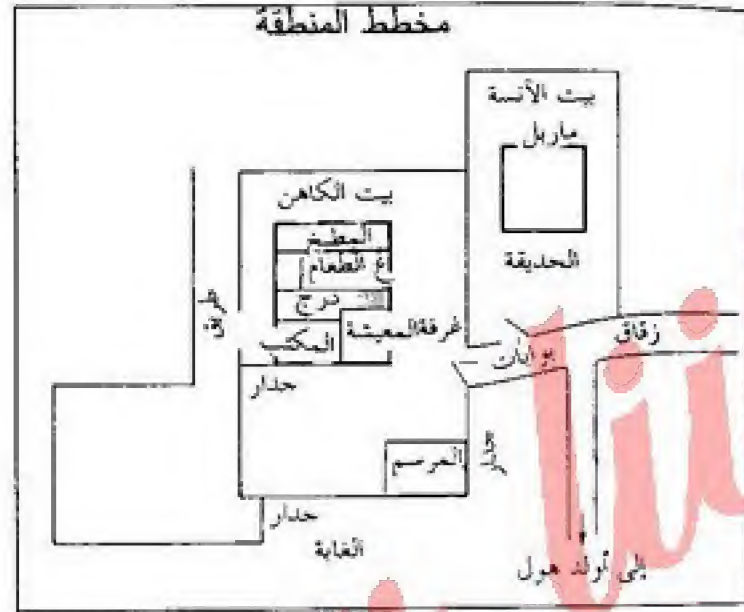
بمحاذاة حديقة الآنسة ماربل. ولكنني - على أية حال - لم أظن أن

يكون خبر زيارتي للسيدة ليسترينج قد وصل إلى مسامعها بعد،

ولذلك شعرت بقدر لا بأس به من الأمان.

وها أنا ذا أرسم هنا لمنطقتنا رسماً توضيحياً عاماً سيكون

مفيداً في توضيح ما يأتي من الأحداث، مورداً من التفاصيل ما كان ضرورياً فقط.



لم تولودني فكرة وجود أحد في المرسم؛ فلم تصدر أية أصوات من داخله لتنبهني لذلك، وأحسب أن خطواتي أنا لم تكن تصدر صوتاً على العشب. فتحت الباب وتوقفت مشدوهاً عند العتبة؛ فقد كان في المرسم شخصان، وكانت ذراعاً الرجل تطوقان المرأة وهو يقلبها بكل حب.

كان الشخصان هما الرسام لورنس ريدنغ وزوجة الكولونيل برونزرو.

ويهيئ. بدا الأمر وكأن نمشاً قد دبّت فيه الحياة فجأة، وحطفت عيناها أمام هذا التحول.

قالت: رأيت من الأفضل أن آتي. لقد... لقد رأيتنا الآن؟

أطرقت براسي فقالت بكل هدوء: إننا نحب بعضنا بعضاً...

لم تستطع - حتى في حمأة كربتها وانفعالها الواضح - أن تمنع رسم ابتسامة صغيرة على شفتيها. وبقيت ساكناً فأضافت: أظن أن ذلك يبدو لك خطأ جسيماً.

- وهل تتوقعين مني قول أي شيء آخر يا سيدة بروثيرو؟

- كلا... كلا، لا أتوقع ذلك.

مضيت قائلاً وأنا أحاول جعل صوتي كاللطف ما يمكن له أن يكون: أنت امرأة متزوجة...

قاطعتني قائلة: أوه! أعرف.. أعرف. أظن أنني لم أفكر بذلك مراراً وتكراراً؟ إنني لست امرأة سيئة حقاً... لست كذلك. والأمور ليست... ليست كما قد يخطر ببالك.

قلت منحهما: أنا سعيد لذلك.

سألت بشيء من الخنوع: هل ستخبر زوجي؟

قلت ببرود: يبدو أن الفكرة العامة مفادها أن رجل الدين غير قادر على التصرف كرجل مهذب شهيم، وهي فكرة غير صحيحة.

رمتني بنظرة امتنان وقالت: إنني سعيدة جداً. أوه! سعيدة جداً

عدت فخرجت بسرعة ورجعت أدراجي إلى مكتبي. وهناك جلست على كرسي وأخرجت غليونني ورجحت أفنّب التفكير في الأمور. لقد جاء هذا الاكتشاف صدمة كبرى بالنسبة لي، خاصة بعد حديثي عصر ذلك اليوم مع لبيس حيث شعرت أنني شبه واثق بأن شيئاً من التفاهم أخذ ينمو بينها وبين الشاب. وفوق ذلك كنت مقتنعاً بأنها - شخصياً - تظن ذلك أيضاً، وشعرت بأنني واثق أنها لا تعرف شيئاً عن مشاعر الرسام تجاه زوجته أيها.

يا لها من شبكة قدرة! إنني أعترف - راعماً - بالفضل للأنسة ماربل إذ لم تنخدع، بل حمت بوضوح حقيقة محرج الرّياح بقدر لا بأس به من الدقة. لقد أسأت تماماً تفسير نظرتها المليئة بالمعاني إلى غريز لدا. إنني لم أحلم أبداً بالتفكير بالسيدة بروثيرو في هذه القضية. لقد ساد - دوماً - شعور بأن السيدة بروثيرو فوق الشبهات، بأنها امرأة هادئة مستقلة لا تميل للاختلاط ولا يكاد المرء يرى لديها أي عمق في المشاعر.

كنت قد وصلت إلى هذه النقطة في تأملاتي عندما أيقظتني طرقات على الباب الزجاجي لمكتبي، فنهضت وانجھت إلى الباب. كانت السيدة بروثيرو تقف في الخارج. فتحت الباب فدخلت دون انتظار دعوة مني، وعبرت الغرفة لاهثة ورمت نفسها على الأريكة.

تملكني شعور بأنني لم أرها حقاً من قبل. فقد تبهرت المرأة الهادئة المنعزلة التي كنت أعرفها، وحلت محلها مخلوقة يائسة متلاحقة الأنفاس، وأدركت لأول مرة أن أن بروثيرو كانت بالغة الجمال. كانت امرأة بنية الشعر شاحبة الوجه ذات عينيّ رماديتين غائرتين، وكان وجهها - في تلك اللحظة - محمراً وصدرها يعلو

جداً. إنني لا أستطيع الاستمرار. لا أستطيع -بساطة- الاستمرار...
ولا أدري ماذا أفعل.

ارتفع صوته وشابهته مسحة من الهستيرية وهي تقول: أنت لا تعرف كيف هي حياتي. لقد كنت بالسة مع لوكيوس منذ البداية. ما من امرأة يمكن أن تسعد معه... ليته كان ميتاً! إنها أمنية فظيعة، ولكنني أتمناها فعلاً... إنني بالسة. صدقني، إنني بالسة.

جفلت ونظرت من ورائي إلى الباب الزجاجي وقالت: ما هذا؟ أظنني سمعت أحداً؟ ربما كان لورنس.

ذهبت إلى الباب الزجاجي الذي لم أكن قد أغلقته كما ظننت. خرجت منه ونظرت إلى الحديقة ولكنني لم أرَ أحداً. ومع ذلك فقد كدت أكون مقتنعة أنا الآخر بأنني سمعت أحداً، أو ربما كانت ثقتها هي التي أفتنتني بذلك.

عندما دخلت الغرفة من جديد كانت تميل بحسبها إلى الأمام وتطرق رأسها. بدت صورة مجسدة لليأس. قالت ثانية: لا أدري ماذا أفعل... لا أدري ماذا أفعل.

جئت وجلست بقربها وقلت الأشياء التي رأيت من واجبي قولها، محاولاً أن أكون مقتنعاً في كلامي، وأنا واع طوال الوقت، وبلا ارتياح، أنني عبثت في نفس ذلك الصباح عن شعوري بأن عالماً يخلو من الكولونيل بروثيرو سيكون عالماً أفضل بكثير. وقد توصلت إليها -قبل أي شيء آخر- ألا أقدم على تصرف منهور! فمغادرة بيتها وزوجها كانت خطوة خطيرة تماماً، ولكن لا أحسب أنني أفتنتها. لقد عشت من الزمن ما يكفي لأعرف أن محادثة امرئ

ولها من مسألة عقيمة، ولكنني أظن أن كلماتي قد جلبت لها بعض الراحة والعزاء؛ فقد شكرتني عندما نهضت للمغادرة ووعدت أن تفكر ملياً بما قلته.

ومع ذلك شعرت بعد مغادرتها بالكثير من عدم الارتياح. شعرت أنني أسأت حتى الآن الحكم على شخصية آن بروثيرو. لقد رأيت فيها للتو امرأة شديدة اليأس، امرأة من شأنها ألا تصغي لأي وازع إذا ما أثبتت عواطفها. وقد كانت تحب لورنس ريدنغ يحنون وحدهً ويأس، فيما هو يصغرها بالعديد من السنين. وهو الأمر الذي أحسست أنني غير مرتاح إليه بشاناً.

* * *

كنت قد شككت في إمكانية مجيء لورنس ريدنغ، إذ كان
يوسعه - بكل سهولة - أن يرسل اعتذاراً. لكنه وصل في موعده بدقة،
ومضينا نحن الأربعة لتناول العشاء.

إن لورنس ريدنغ شخصية جذابة لا تُنكر؛ فهو في حوالي
الثلاثين من عمره، أسود الشعر، ولكن في عينيه زرقة لامعة مذهشة.
وهو من أولئك الشباب الذين يحسبون القيام بكل شيء. فهو ماهر
في الألعاب، ويتقن الصيد، وهو ممثل هازٍ جيد، وراوي قصص مبدع،
ويمكنه إنجاح أية حفلة بمواهبه المتعددة. أظن أن في عروقه دماء
إيرلندية. ورغم أنه ليس أبداً من ذلك النمط التقليدي الذي غالباً ما
يراه المرء في الرسامين، إلا أنني أظنه رساماً ماهراً وفق الأساليب
الحديثة، مع أنني - شخصياً - لا أفقه في الرسم الكثير.

كان من الطبيعي في هذه الأمسية بالذات أن يبدو لورنس
شارد الذهن، ولكنه تصرف - عموماً - بشكل جيد تماماً. ولا أظن
أن غريزelda أو دينيس قد لاحظا شيئاً غير طبيعي فيه. وربما لم أكن
لألاحظ شيئاً أنا الآخر لو لم أكن أعرف من قبل.

كانت غريزelda و كان دينيس مبهجين بشكل خاص، يوردان
الطرائف على الدكتور ستون والأنسة كرام اللذين أصبحا حديث
القرية. خطر لي فجأة خاطر أحسسته كوخزة مؤلمة، وهو أن دينيس
أقرب عمراً إلى غريزelda مني إليها، وهو يدعوني "العم لين" بينما
يدعوها غريزelda، وقد أشعرتني ذلك بشيء من العزلة.

أظنتني كنت متزعجاً - دون شك - من السيدة بروثيرو، وأنا
ممن لم يعتادوا الاستغراق في مثل هذه التأملات التي لا فائدة منها.

الفصل الرابع

كنت قد تسببت تماماً أننا دعونا لورنس ريدنغ إلى العشاء في
تلك الليلة، وقد فوجئت عندما اندفعت غريزelda إلى مكثتي لتوبخني
مشيرة إلي أن موعد العشاء لم يبقَ عليه سوى دقيقتين فقط.

صاحت غريزelda خلفي وأنا على الدرج: أمل أن تكون الأمور
جاهزة على ما يرام. لقد فكرت ملياً فيما قلته على الغداء، وقد
فكرت في بعض المأكولات الجيدة حقاً.

يمكنني القول - بإشارة عارضة - إن عشاءنا قد أكد صحة ما
قالته غريزelda من أن تدخلها في شؤون الطبخ يجعل الأمور أسوأ
بكثير؛ فقد كان لديها طموح في تنويع أصناف المأكولات، ويبدو
أن ماري قد وجدت لذة شريرة في مراقبة زوجتي وهي تتبع أفضل
الطرق في إفساد الطعام، بحرقه تارة وبقعه عن النار تارة
أخرى. أما بعض الفواقع التي أرسلت زوجتي في طلبها - وهي
الطعام الذي لا يمكن أن يفسده أي قدر من نقص الخبرة - فإننا لم
نستطع تقديمها مع الأسف لأننا لم نجد في البيت ما نفتتحها به...
وهو ما لم نكتشفه إلا عندما أُرِف وقت تقديمها.

ورغم أن لورنس شارك في الأحاديث بابتهاج، إلا أنني كنت ملاحظاً نظراته التي كانت تتوجه باستمرار حيث كنت أجلس، ولم أندعش حين ناور بعد العشاء ليجعلني أذهب إلى مكتبي. وحالما أصبحنا بمفردنا تغير أسلوب تصرفه وقال: لقد كشفت سرنا يا سيدي، ما الذي ستفعله حيال الأمر؟

كان بوسعي أن أتحدث مع لورنس بصراحة أشد بكثير من صراحتي مع السيدة بروثيرو، وهو ما فمت به، وقد تحمّل الشاب كلامي بشكل جيد. وعندما فرغت قال: لا بد لك من قول ذلك كله بالطبع، وربما كنت محقاً فيما تقوله كما أظن، ولكن ما يعني وبين أن ليس تلك العلاقة العادية التي قد تتصورها.

قلت له إن عبارته تلك يقولها الناس منذ فجر الخليقة، فارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة غريبة وقال: أتعني أن كل امرئ يرى حالته فريدة لا تتكرر؟ ربما كان الأمر كذلك، ولكن ينبغي أن تصدق أمراً واحداً.

أكد لي أنه "لا شيء في العلاقة" وأن أن من أفضل وأخلص النساء، ثم قال بتعجبهم: لو كان بروثيرو العجوز شخصية في رواية لقتل منذ زمن... وكان في ذلك راحة للجميع.

أثبته على ذلك فقال: أوه! هذا لا يعني أنني سأغرز سكيناً في ظهره، مع أنني أقدم جزيل شكري لأي امرئ يفعل ذلك. ما من أحد في هذا العالم يذكره بخير، وإنني لأعجب كيف لم تقدم زوجته الأولى على قتله. لقد قابلتها مرة منذ سنوات وبدت لي امرأة فادرة على مثل هذا الأمر. كانت واحدة من أولئك النساء الهادئات

الخطرات. إنه يرعد ويهرق طوال الوقت، ويشير المتاعب في كل مكان، وهو أبعل خلق الله، وذو مزاج قذر لا يحتمل. إنك لا تدري مقدار الأذى الذي اضطرت أن لتحمله منه. لو كان لي في هذه الدنيا أي مال لأخذتها بعيداً دون إضاعة للوقت.

تكلمت معه بعد ذلك بكل جدية. رجوته أن يغادر سينت ميري ميد؛ فبقاؤه فيها ليس من شأنه إلا التسبب لأن بروثيرو بشقاء أعظم مما شهدته حتى الآن. فالتاس سيتكلمون، وسيصل الأمر إلى مسامع الكولونيل بروثيرو... وسيكون وضعها أصعب بما لا يقارن.

احتج لورنس قائلاً: لا أحد يعلم بالأمر سواك يا سيدي.

قلت: يا فتاي العزيز، أنت تقلل من قيمة الغريزة البوليسية في حياة فرينتا؛ ففيها يعرف الجميع أحصاً خصوصياتك. ما من رجل تحرّ في انكلترا يضاهي عجزاً عزباء لديها من الوقت الكثير.

قال إن ذلك لا يشكل خطورة، فالجميع يظنونهم مغرماً بليتيس. فسألته: هل خطر لك أن ليتيس نفسها قد نظن ذلك أيضاً؟

بدا مندهشاً تماماً للفكرة، وقال إن ليتيس لا تأبه له أبداً، وإنه واثق من ذلك. ثم مضى قائلاً: إنها فتاة غريبة نوعاً ما. تبدو دوماً وكأنها في حلم، ومع ذلك فإنني أرى أنها فتاة عملية في أعماقها. أظن أن كل ذلك الغموض والشroud ما هو إلا قناع وتعميل. إن ليتيس تعرف تماماً ما تفعله، وإن فيها عرقاً غريباً من حب الانتقام. الغريب أنها نكره أن... تمقتها بالمعنى الحرفي، ومع ذلك فإن آن تعاملها دوماً معاملة ملائكية.

لم أعتد - طبعاً - كلامه فيما يخص هذه النقطة الأخيرة؛ فبالنسبة للشباب المتشبعين حباً تكون الحبيبات دوماً أشبه بالملاكمة. ومع ذلك فإن آن - كما لاحظت - تصرف دوماً بلطف وإنصاف مع ابنة زوجها؛ لذلك دهشت عصر ذلك اليوم من الممرارة التي صبغت لهجة ليتيس. وعند تلك النقطة اضطررنا لقطع الحديث لأن غريزلدا ودينيس اندفعا إلى المكتب وقالوا إن عليّ ألا أجعل لورنس يتصرف كمعجوز ممل.

قالت غريزلدا وهي تلقي بنفسها على أحد الكراسي: يا إلهي! كم أنا منشوقة لشيء مثير يحصل. جريمة قتل... أو حتى عملية سطو! قال لورنس محاولاً تقمص حالتها المزاجية: لا أجد ما يستحق السطو... إلا إذا فكرنا بطقم أستان الآتسة هارنتيل.

قالت غريزلدا: إنه يقطعق ويصدر أصواتاً فظيعة. لكنك مخطئ في ظنك أن شيئاً لا يستحق السطو؛ ففي أولد هول بعض التحف الفضية القديمة الرائعة، وبعض الأواني الأثرية والفنّاجين التي تعود إلى عهد الملك تشارلز الثاني، وتحف كثيرة أخرى كهذه. أظنها تساوي آلاف الجنيهات.

علق دينيس قائلاً: إن من شأن المعجوز أن يطلق عليك النار إن اقتربت من ذلك. وهو ما يستمتع بفعله.

قالت غريزلدا: متمسك به قبل ذلك! من منكم يملك مسدساً؟

قال لورنس: لدي مسدس من طراز ماووزر.

- حقاً؟ كم هو مثير. لماذا تحتفظ به؟

- إنه تذكّار من زمن الحرب.

تطوع دينيس قائلاً: لقد كان المعجوز بروثيرو يري طقم القضة للسيد ستون اليوم، وكان ستون يتظاهر بأنه مهتم جداً بذلك.

قالت غريزلدا: ولكنني ظننت أنهما قد تشاجرا بشأن القبر.

اجابها دينيس: لقد تصالحا. وإن كنت لا أدري لماذا ينحصرط الناس في نبش القبور!

قال لورنس: إن هذا الرجل، ستون، يحيرني. إنه شديد الشرود دون شك، ويكاد المرء يقسم أحياناً أنه لا يفقه شيئاً في مهنته نفسها.

قال دينيس: هذا من الحب... الغالية غلاديس كرام، والشباب، والهوى، والسكنى في طابق واحد في الفندق...

قلت مؤناً: كفى يا دينيس.

قال لورنس: حسناً، عليّ أن أذهب. شكراً جزيلاً لك يا سيّدة كليمنت على هذه الأمسية الجميلة.

ودّعته غريزلدا، وكذلك دينيس الذي عاد بعد ذلك إلى المكتب بمفرده. بدا أن شيئاً قد حدث وكثر الغنى، فقد أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهو عابس برفس الأثاث بقدمه. وأثارتها بالأساس بحيث لا يكاد الركل يزده ضرراً، ولكنني شعرت أن عليّ إبداء احتجاج بسيط جعل دينيس يتأسف.

سكت لحظة ثم انفجر قائلاً: يا للنميمة من عادة عنة سيّدة!

فوجئت قليلاً وسألت: ما الأمر؟

قال: لا أدري إن كان علي أن أخبرك.

فوجئت أكثر فأكثر، وأكمل دينيس: إنها عادة في منتهى
السوء. السعي هنا وهناك وقول الأشياء... ولا حتى قولها، بل
الإيحاء واللمز بها. كلا، لا أكاد أستطيع إخبارك! إنه أمر قذر جداً.

نظرت إليه بفضول، ولكنني لم أحثه على الكلام. ومع ذلك
فقد عجبت كثيراً لسلوكه؛ فإن التأثير بالأمور بهذا العمق لم يكن أبداً
من صفات دينيس. وفي تلك اللحظة دخلت غريزelda وقالت. لقد
خايرتني الأنسة وذريتي لتوها. لقد خرجت السيدة ليسترينج من بيتها
في الساعة الثامنة إلا رباعاً ولم تعد بعد، ولا أحد يعرف أين ذهبت.

- ولماذا يُفترض أن يعرف أحد؟

- ولكن خروجها لم يكن للذهاب إلى الدكتور هيدوك. الأنسة
وذريتي متأكدة من ذلك؛ لأنها اتصلت بالآنسة هارتيل التي تسكن
في منزل ملاصق لبيت الدكتور، والتي كان من شأنها - قطعاً - أن
تراها قادمة لو صح ذلك.

قلت: إنني لا أفهم أبداً كيف يحصل أهل هذه القرية على
التغذية الضرورية. لا بد أنهم يتناولون وجباتهم وقوفاً أمام النوافذ
حتى يتأكدوا من أن شيئاً لم يفتهم.

قالت غريزelda وهي تنتفخ فرحاً: وهذا ليس كل شيء، فقد
اكتشفوا حديثاً فيما يخص فندق بلو بور. إن للدكتور مستون
وللآنسة كرام غرفتين متلاصقتين في الفندق. ثم أشارت بسبابتها

بشكل موحٍ وأضافت: ولكن دون باب يوصل بين الغرفتين!

علقتُ قائلاً: لا شك أن ذلك شكّل عيبة أمل للجميع.

وهو ما أثار ضحك غريزelda.

* * *

بدأ يوم الخميس بداية سيئة. فقد اختارت سيدتان من أبرشيته
أن يتشاجرا بشأن ديكورات الكنيسة، وهكذا استدعيت لأحكم بين
سيدتين في أواسط عمريهما ترتعد كلتاها غضباً بالمعنى الحرفي
لللمزة. وكان من شأن تلك الظاهرة - لو لم تكن مؤلمة - أن تكون
مثيرة تماماً للاهتمام. ثم أن عازف الأورغن لدينا، وهو شاب بالغ
الحساسية، كان يشعر بالحرج والإهانة وكان لا يد من ترضيته. وفوق
ذلك أعلن أربعة من رعايا الأبرشية عصياناً مفتوحاً ضد الأنسة
هارتيل التي أنت إلي وهي تتميز غيظاً من ذلك.

وكنت على وشك المغادرة إلى المنزل عندما قابلت
الكولونيل بروثيرو. كان في أحسن حالات مزاجه مرحاً وقد حكم
-بصفته حاكماً قضائياً- بالسجن على ثلاثة من سارقي الطيور.

وبما أنه يكاد يعاني من الصمم، ويرفع صوته (شأن الصم دائماً)
فقد صاح بصوته القوي: الحزم، هذا ما نحتاجه في أيامنا هذه...
الحزم؛ ليكونوا نكالا! سمعت أن ذلك الشقي، أرتشر، حرج
بالأمس بتوعد بالانتقام مني، ذلك الشقي الوقح! المهذون يعيشون
طويلاً كما يقول المثل. سأريه قيمة تهديده عندما أمسكه في المرة
القادمة وهو يسرق طيور. السراخي... نحن متراحون جداً هذه

الأيام! إنني أؤمن بكشف الناس على حقيقتهم. يطلبون منك دوماً أن تتسامح مع فلان لأن له زوجة وأطفالاً، وهو هراء مطلق وسخف. لماذا يتنجس امرئ من جريرة أعماله لمجرد انتخابه وتباكيه على زوجته وأطفاله؟ الأمر سيان عندي... وبغض النظر عن هوية المرأة: أكان طبيياً أم محامياً أم رجل دين أم سارق طيور أم مسكراً مشرداً... إن أمسكته يحرق القانون فدع القانون يعاقبه. إنك تشفق معي، أليس كذلك؟

- لقد نسيت أن رسالتي تلزمني باحترام صفوة هي فوق كل الصفات... وهي صفة الرحمة.

- حسناً، ولكنني رجل عادل. ليس يوسع أحد إنكار ذلك.

لم أتكلم، فما لبث أن قال بحدة: لماذا لا تحييني؟ أطلعني على رأيك يا رجل.

ترددت، ثم قررت الكلام فقلت: لقد كنت أفكر بأنني -عندما يأتي أحلي- سيوسفني ألا يكون لدي من عذر أبذله ساعة الحساب إلا العدالة. لأن ذلك قد يعني أنه لن يكون لي من جزاء إلا العدالة وحدها...

- هاهو إن ما نحتاجه هو القليل من النفسية المقاتلة. لقد كنت دوماً أؤدي واجبي كما أرجو. حسناً، دعنا من ذلك كله. سأكون خارجاً هذا المساء كما قلت، وسنجعل لقاءنا في السادسة والربع بدل السادسة إن لم يكن لديك مانع، ففي القرية رجل علي أن أراه.

- سيناسبني ذلك تماماً.

هز عصاه ومضى، وحين التفت اصطدمت بهاوز فرائست المرض ظاهراً عليه هذا الصباح. وكنت قد أردت تأنيبه قليلاً بشأن عدة أمور أصابته الفوضى أو تم تأجيلها ضمن المنطقة التي يشرف عليها، ولكنني عدلت عن ذلك وأنا أرى وجهه الشاحب المرهق. وقد سأله عن مرضه فأنكره، ولكن دون حماسة. ثم اعترف أخيراً بأنه لا يشعر أنه على ما يرام، وبدأ مستعداً لسماع نصيحتي في الذهاب إلى البيت وملازمة الفراش.

تناولت غذائي على عجل وخرجت لإجراء بعض الزيارات، وكانت غريزدا قد ذهبت إلى لندن في القطار. ثم عدت في حوالي الرابعة إلا ربعا وفي نيتي أن أضع الخطوط العامة لموعظة يوم الأحد، ولكن ماري أخبرتني بأن السيد ريدنف يتفكرني في المكتب، فدعلت لأجده يذرع المكتب جثة وذهاباً يوجه قلق يبدو عليه الشحوب والإعياء. ولدى دخولي التفت بسرعة قائلاً: اسمعني يا سيدي، لقد كنت أفكر ملياً بما قلته أمس، حتى إنني لم أكد أنام في الليلة الماضية. إنك على حق، علي أن أقطع العلاقة وأرحل بعيداً.

- يا فتاي العزيز...

- لقد كنت محقاً فيما قلته عن آن، لن يسبب لها بقائي هنا إلا المتاعب. وهي... وهي أطيب من أن أعرضها لذلك. لقد اقتنعت بضرورة سقري. يكفي ما سببته لها من مصاعب، ليسامحني الله!

- أعتقد أنك اتخذت القرار الوحيد الممكن. أعرف أنه قرار صعب، ولكن صدقتي أنه سيكون الأفضل في النهاية.

لعله رأى أنني أستهزل القول إذ ليست لي بالأمر علاقة مباشرة.

وبعد برهة قال: ستعطيني بأن، أليس كذلك؟ إنها تحتاج صديقاً.

- بإمكانك أن تظمن إلى أنني سأبذل كل ما في وسعي.

ضغط على يدي وقال: أشكرك يا سيدي؛ إنك رجل صالح. سأذهب لوداعها هذا المساء، وربما أحزم أمتعتي وأسافر غداً؛ لا فائدة من إطالة العذاب. شكراً على إعطائي سقيفة حديقكم لأرسم فيها، وآسف لأنني لم أكمل رسم السيدة كليمنت.

- لا تقلق لذلك يا فتاي العزيز. مع السلامة، وليحفظك الله.

حاولت بعد ذهابه الانكباب على موعظتي ولكن دون جدوى، فقد بقيت أفكر في لورنس وأن بروثيرو. ثم تناولت فنجاناً من الشاي البارد الأسود الذي لا يكاد يُشرب، وفي الساعة الخامسة والنصف رنَّ جرس الهاتف، حيث أثبت أن السيد أبوت من سكان لاورفام في النزاع الأخير وأن أهله يتأشدونني الذهاب فوراً لأشهد موته.

حاولت الاتصال مباشرة بالكولونيل بروثيرو في أولد هول لأن المنطقة التي سأذهب إليها تبعد نحو ميلين، وبما أنني سأذهب وأعود مشياً على قدمي لأنني لم أنجح قط في تعلّم ركوب الدراجة فلن أتمكن من العودة في الساعة السادسة والرابع. ولكن فيل لي إن الكولونيل قد غادر لثوه بسيارته، وهكذا غادرت بعد أن تركت مع ماري خبراً بأنني استدعيت لمنطقة بعيدة، وأنتي سأحاول العودة في السادسة والنصف أو بعدها بقليل.

* * *

الفصل الخامس

عندما وصلت بوابة بيتي لدى عودتي كانت الساعة أقرب إلى الساعة منها إلى السادسة والنصف. وقبل أن أقترّب من البوابة قُتحتُ فجأةً وخرج منها لورنس ريدنغ. توقف مشدوهاً عند رؤيتي، ولفت نظره انتباهي على الفور؛ فقد بدا وكأنه على شفا الجتون... حدثت عيناه بشكل غريب، وكان يرتعد شاحباً شحوب الموتى.

تساءلت للحظة إن كان قد شرب شيئاً، ولكنني ما ليشت أن استبعدت الفكرة، وقلت له: مرحباً، أجنبت لتراتني ثانية؟ آسف لأنني كنت خارجاً. هيا ندخل، فعلياً أن أقابل الكولونيل بروثيرو بشأن بعض الحسابات... ولكننا لن نتأخر على الأرجح.

- بروثيرو...

قال ذلك وبدأ يضحك، ثم أكمل: بروثيرو؟ أوسوف ترى بروثيرو؟ أوه، سترى بروثيرو دون شك! أوه، يا إلهي... نعم.

حدثت فيه ومددت يدي لاشعورياً إليه فابتعد جانباً بحدة وقال بشكل أقرب إلى الصياح: "كلا... عليّ أن أذهب... عليّ أن

أفكر... يجب أن أفكر". ثم انطلق راكضاً، وسرعان ما اختفى في نهاية الطريق المنحدر إلى القرية وقد تركني أحديق خلفه وقد عاودتني فكرة السكر. وأخيراً هززت رأسي ودخلت.

نحن نترك الباب الأمامي مفتوحاً دائماً، ولكنني قرعت الجرس مع ذلك، فجاءت ماري وهي تنشف يديها بصدرية المطبخ وقالت: ها قد عدت أخيراً.

- هل الكولونيل بروثيرو هنا؟

- إنه في المكتب، وقد وصل منذ السادسة والربع.

- والسيد ريدنغ كان هنا أيضاً؟

- جاء قبل بضع دقائق وسأل عنك. قلت له إنك على وشك العودة وإن الكولونيل بروثيرو ينتظر في المكتب، فقال إنه سينتظر هو الآخر. إنه هناك الآن.

- لا، ليس هناك. لقد التقيته لتوي نازلاً في الطريق.

- حسناً، لم أسمع به يخرج. لم يمكث -إذن- أكثر من دقيقتين. أما السيدة فلم تعد من المدينة بعد.

أومأت برأسي وأنا شارد الذهن، وعادت ماري باتجاه المطبخ فيما مضيت أنا في الممر وفتحت باب المكتب. وبعد ظلمة الممر انبهرت عيناï وطرفتا من ضوء الأصيل الغامر الذي يملأ الغرفة. مشيت خطوة أو اثنتين للداخل ثم وقفت جامداً.. لم أكّد أستطيع للحظات استيعاب المشهد أمام عيني!

كان الكولونيل بروثيرو ممدداً فوق مكثي بشكل رهيب غير طبيعي مفتوح الذراعين والرجلين. وكانت نمة بركة صغيرة من سائل قائم قرب رأسه على المكتب، وكان السائل ينقط بسطء على الأرض بإيقاع رهيب: "لق، لق، لق..". تعالكت نفسي وتقدمت منه. كان جلده بارد الملمس، واليد التي رفعتها هوت ثانية لا حياة فيها. كان الرجل ميتاً... بطلقة في رأسه.

ذهبت إلى الباب وناديت ماري. وعندما جاءت أمرتها أن تركز بأقصى سرعتها وتحضر الدكتور هيدوك الذي يسكن عند منعطف الطريق تماماً. قلت لها إن حادثاً قد وقع، ثم عدت وأغلقت الباب لأنتظر قدوم الطبيب. وقد وجدته ماري في بيته لحسن الحظ. والدكتور هيدوك رجل ضخم الجسم حلو المعشر ذو وجه واضح القسمات يوحى بالنزاهة. ارتفع حاجباه عندما أشرت بصمت إلى الطرف الآخر من الغرفة، ولكن لم تبدُ منه -كأي طبيب حقيقي- أية بوادر عاطفية. انحنى فوق الميت يفحصه بسرعة، ثم اعتدل ونظر إليّ فقلت: حسناً؟

- إنه ميت... أظنه مات منذ نصف ساعة.

- أهو انتحار؟

- مستحيل يا رجل، انظر إلى موقع الحرح. وفوق ذلك، إن كان قد أطلق النار على نفسه فأين السلاح؟

هذا صحيح فعلاً، لم يكن من أثر لشيء من هذا القيل. قال هيدوك: الأفضل ألا نبحث بأي شيء. فلأتصل بالشرطة.

رفع سماعة الهاتف وتكلم مع مركز الشرطة معطياً الحقائق
بأكبر قدر من الاقتصار، ثم وضع السماعة وجاء إلى حيث أجلس
قائلاً: إنه عمل قذر. كيف عثرت عليه؟

شرحت له ثم سألته بصوت واهن: أهى جريمة قتل؟

- هكذا يبدو الأمر. أعني: ما عساها تكون غير ذلك؟ أمر
غريب. أتساءل من يا ترى يحمل عبءاء للعجوز المسكين. أعرف
طبعاً أنه لم يكن يحظى بشعبية، ولكن الناس لا تقتل عادة لمثل هذا
السبب... يا له من حظ عاثر.

- يوجد أمر غريب نوعاً ما. لقد تلقيت اتصالاً هاتفياً عصر
اليوم لأذهب لرؤية رجل في سكرات الموت، وعندما وصلت إلى
بيته ذهش الجميع لرؤيتي. كان الرجل المريض أفضل حالاً بكثير مما
كان عليه في الأيام الماضية، وقد أنكرت زوجته تماماً أنها اتصلت بي.

قطب هيدوك حاجبيه وقال: هذا أمر ذو مغزى عميق... جداً.
لقد تم إبعادك عن الطريق. أين زوجتك؟

- ذهبت إلى لندن لقضاء هذا اليوم.

- والخادمة؟

- في المطبخ... في الجانب الآخر من البيت تماماً.

- حيث لا يُحتمل أن تسمع شيئاً مما يدور هنا. نعم، إنه أمر
قذر. من كان يعرف أن برونيرو قادم إليك هنا هذا المساء؟

- لقد أشار إلى ذلك صباح اليوم في شارع القرية بأعلى

صوته كما هي عادته.

- أتعني أن القرية بأسرها تعرف؟ هذا هو الأمر المعتمد على
أية حال. أتعرف أحداً يحمل له ضغينة؟

خطرت في ذهني صورة وجه لورنس ريدنغ الشاحب وعينه
الذهائتين. ولكن جلبة الأقدام المسرعة في العمر وفرت علي حرج
الإجابة. نهض صديقي قائلاً: الشرطة.

وصل الشرطي هيرست الذي بدا شديد الاهتمام رغم مسحة
من القلق على محياه، وحيانا قائلاً: مساء الخير أيها السادة. سيكون
المفتش هنا في الحال، وسأتبع تعليماته ريثما يصل. فهمت أن
الكولونيل برونيرو قد وُجد مُطلقاً عليه الرصاص... في بيت الكاهن.

سكت ثم وجه إلي نظرة شك باردة حاولت أن أقابلها بما
يناسبها من سمات البراعة الواعية، وبعد ذلك انتقل إلى المكتب قائلاً:
ينبغي عدم لمس شيء حتى مجيء المفتش.

أخرج الشرطي دفتر ملاحظاته، وأمسك قلمه، ونظر إلينا
بترقب. أعدت عليه قصة اكتشافني للحنة، وعندما سجلها كلها - الأمر
الذي استغرق الكثير من الوقت - التفت إلى الطبيب وقال: ماذا كان
سبب الوفاة برأيك يا دكتور؟

- طلقة في الرأس من مسافة قريبة.

- وما هو السلاح؟

- لا أستطيع الحزم بذلك قبل استخراج الرصاصة، ولكنني أرجح

أن تكون رصاصة من مسدس ذي عيار صغير ... ماوُزِرُ ٢٥ مثلاً.

جفنت إذ تذكرت حديثنا في الليلة السابقة، واعتراف لورنس
ريدينغ بشأن المسدس. التفت الشرطي إليّ بعينه الباردة التي تشبه
عين السمكة وقال: هل قلت شيئاً يا سيدي؟

هزرت رأسي بالنفي؛ إذ أن الأفكار التي تراودني لا تعدو أن
تكون مجرد شكوك، ولذلك فالأفضل ألا أبوح بها. قال الشرطي
مخاطباً الطبيب: متى حدثت المأساة برأيك؟

تردد الطبيب قليلاً قبل الإجابة ثم قال: أظن أن الرجل قد توفي
قبل نحو نصف ساعة، وليس أكثر من ذلك بالتأكيد.

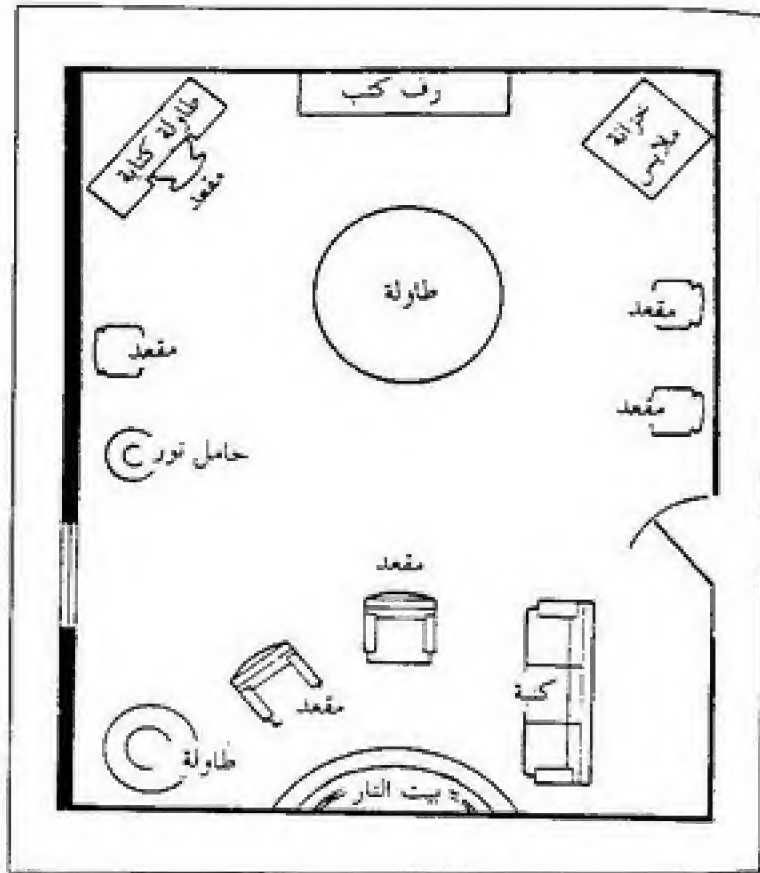
التفت هيرست إليّ وقال: هل سمعت الفتاة شيئاً؟

- لا أظن، لكن من الأفضل أن تسألها. غير أن المفتش سلاك
وصل في هذه اللحظة قادماً بالسيارة من متش بينهما على بعد ميلين.

ولئن كانت كلمة سلاك في لغتنا تعني الرخو أو المترهل
كسلاً فإن أفضل ما أستطيع وصف المفتش به هو أنه كان أبعد ما
يكون عن معاني اسمه. كان رجلاً أسمى لا يهدأ، يادي النشاط، ذا
عينين سوداوين تلسعان المرأة بنظراتهما الحادة طوال الوقت. وكان
أسلوب تصرفه وقحاً وتسلطياً إلى أبعد حد.

رد على تحيتنا بإيماءة مقتضية وأخذ دفتر ملاحظات مرؤوسه
فقرأه بإمعان وتبادل معه بعض الكلمات المقتضية بصوت منخفض ثم
ذهب إلى الحجة قائلاً: أحسب أن كل شيء قد تم العبث به وتخريبه.

(ولفائدة قرائي فإني أضع هنا تخطيطاً لغرفة مكثي)



قال هيدوك: لم ألمس شيئاً.

وقلت: وأنا كذلك.

انشغل المفتش لبعض الوقت منكباً يتفحص الأشياء على المكتب
ويلدق في بقعة الدم الكبيرة، ثم ما لبث أن قال بلهجة المنتصر: آه!

ها قد وجدنا ما نريده. ساعة الحائط وقعت لدى سقوطه فتوقفت. سيدنا ذلك على وقت وقوع الجريمة... الساعة السادسة والثنتين وعشرين دقيقة. متى قلت إن الجريمة قد وقعت يا دكتور؟

- قلت إنها وقعت قبل نصف ساعة، ولكن...

نظر المفتش إلى ساعته وقال: الساعة وخمس دقائق. وقد تلقيت البلاغ قبل نحو عشر دقائق، في الساعة السابعة إلا خمس دقائق. وكان اكتشاف الجثة في حوالي الساعة إلا ربعاً. فهمت أنك حضرت في الحال تقريباً. لنقل إنك فحصت الجثة في الساعة إلا عشر دقائق... إن ذلك يكاد ينطبق تماماً بالدقيقة والثانية.

قال الطبيب: أنا لا أضمن الوقت بشكل مطلق. إنه تخمين تقريبي.

- إنه تخمين ممتاز... تخمين ممتاز.

كنت أحاول التدخل بكلمة فقلت: فيما يخص الساعة...

قاطعني المفتش قائلاً: اسمح لي يا سيدي، سأسألك أية أسئلة أريد معرفتها. الوقت قصير... ما أريده هو الصمت المطبق.

- نعم، ولكني أود أن أعيرك...

قاطعني المفتش مرة أخرى - وهو يحدق بي بشراسة - قائلاً: "الصمت المطبق"، فأجبت إلى طلبه.

كان ما يزال منكياً على المكتب يفحصه، ثم دمدم قائلاً: ما الذي دعاه للجلوس هنا؟ أكان يريد كتابة ملاحظة ما؟ هل.. ما هذا؟

رفع ورقة ملاحظات بنشوة المنتصر، وبدأ فرحاً بما اكتشفه إلى الحد الذي دفعنا إلى التقرب منه لفحصها معه.

كانت ورقة ملاحظات مأخوذة من دفتر ملاحظاتي، وقد كُتب في أعلاها رقم يشير إلى الساعة: ٦,٢٠

وتبدأ الرسالة على النحو التالي: "عزيزي كلبنت، آسف لأنني لا أستطيع الانتظار أكثر، ولكن عليّ أن..."، ثم تتوقف الكتابة بعد ذلك تاركة خطأ طويلاً لا معنى له.

قال المفتش بنشوة: هذا أوضح من شمس النهار، فقد جلس هنا ليكتب هذه الورقة، فأتاه بهلواء عدو له من خلال الباب الزجاجي وأطلق عليه النار وهو يكتب. ماذا تريدون أكثر من ذلك؟

شرعت أقول: أود - فقط - القول إن...

فقاطعني فوراً: أبدأ، من فضلك يا سيدي... أريد أن أرى إن كانت توجد آثار أقدام.

انكب على يديه وركبتيه وأخذ يحبو باتجاه الباب الزجاجي. قلت له بعناد: أظن أن عليك أن تعرف...

نهض المفتش وتكلم بحزم ولكن دون انفعال: سنأتي على كل ذلك فيما بعد. سأكون ممثلاً إن خرجتم من هنا أيها السادة. أفرغوا غرفة المكتب جميعاً رجاء.

وهكذا سمحنا لأنفسنا بأن نُخرج من الغرفة كالأطفال.

بدأ وكأن ساعات قد مرت، ومع ذلك لم تكن الساعة قد

تجاوزت الساعة والرابع. قال هيدوك: حسناً، يكفي هذا. عندما يحتاجني ذلك الحمار المغرور بوسعكم إرساله إلى العيادة. وداعاً.

جاءت ماري من المطبخ وقالت وعيناها مدورتان تنتفخان انفعالاً: لقد عادت سيدتي... دخلت منذ نحو خمس دقائق.

وجدت غريزelda في غرفة الجلوس. بدت عائفة رغم شعورها بالإنارة، وأخبرتها بكل شيء فيما هي تنصت بكل اهتمام. ثم أنهيت قصتي قائلاً: سُحِلَت الساعة في أعلى الرسالة على أنها ٦،٢٠، وقد وقعت ساعة الحائط وتوقفت عند الساعة ٦،٢٢.

- نعم، ولكن ألم تخبره أننا كنا نضبط ساعة الحائط تلك بحيث تكون متقدمة دوماً ربع ساعة عن الوقت الحقيقي؟

- لا، لم أخبره. إنه لم يترك لي مجالاً لذلك، رغم كل محاولاتي.

عبست غريزelda حائرة ثم قالت: ولكن اسمع يا لين، إن ذلك يجعل الأمر كله غريباً جداً؛ فعندما أشارت تلك الساعة إلى السادسة والثلاث لم تكن الساعة في الواقع إلا السادسة وخمس دقائق. وفي السادسة وخمس دقائق لا أحسب أن الكولونيل بروثيرو كان قد وصل إلى البيت أساساً!

* * *

الفصل السادس

جلسنا لبعض الوقت نفكر حائرَيْن بمسألة الساعة تلك دون أن نصل إلى نتيجة.

قالت غريزelda إن عليّ أن أبذل جهداً آخر لإبلاغ المفتش سلاك بالأمر، ولكنني كنت أحس في تلك اللحظة بشيء أقرب إلى عناد اليغال؛ فلقد كان المفتش سلاك وقحاً إلى حد بغيض دون أي داعٍ لذلك. وكنت أنطلق إلى لحظة أستطيع فيها إبراز معلوماتي القيمة وإزعاجه بها. ومن شأني وقتها أن أقول له بلهجة لا تخلو من تأنيب: "لو أنك أصغيت لي فقط أيها المفتش..."

توقعت أن يتحدث إليّ قبل مغادرة المنزل على الأقل، ولكننا علمنا من ماري -لدهشتنا- أنه قد غادر بعدما قفل باب غرفة المكتب وأصدر أوامره بالآل يحاول أحد دخولها.

اقترحت غريزelda أن تذهب إلى أولد هول قائلة: سيكون الأمر فظيماً بالنسبة لآن بروثيرو مع وجود الشرطة وغير ذلك. ربما استطعت تقديم شيء من المساعدة لها.

رحبتُ بتلك الفكرة وانطلقت غريزelda بعد أن أوصيتها بأن

تتصل بي إن رأيت أن وجودي يمكن أن يشكل عزاء أو راحة لزوجته برونثيرو أو ابنته.

كان ديتيس هو التالي في الوصول إلى موقع الأحداث عائداً من مباراة تنس. وبدا أن وقوع الجريمة في بيتنا قد أثار ارتياحه الشديد؛ فقد هتف قائلاً: تخيل وجودنا في مركز الأحداث في واقعة قتل! لقد كنت أرغب دوماً في أن أكون في مثل هذه المعمرة. لماذا أقفل الشرطة باب المكتب؟ ألا يمكن أن يُفتح بأي مفتاح آخر؟

رفضت السماح له بمثل هذه المحاولة، وقد أذعن باستياء لذلك. وبعدها ألحّ حتى أخذ كل التفاصيل الممكنة عن الحادث خرج إلى الحديقة ياحثاً عن آثار الأقدام وهو يعلّق يصرح قائلاً إن من حسن الحظ أن يكون القتل هو برونثيرو الذي يكرهه الجميع. وقد أزعجتني بلاذة حسه وابتهاجه؛ ولكنني فكرت بأنني ربما كنت أقسو على الفتى؛ ففي مثل عمر ديتيس تكون القصص البوليسية أقصى ما يفرح، ولا بد لأي فتى طبيعي - إذا ما وجد قصة بوليسية حقيقية تنتظره على عتبة بيته إذا صح التعبير - من أن يبلغ فرحه عنان السماء. إن الموت لا يعني الشيء الكثير لصبي في السادسة عشرة من عمره.

عادت غريزلدا بعد نحو ساعة. وقد رأيت أن برونثيرو هناك بعد تلقيها النبا من المفتش الذي غادر البيت بعدما سمع أن السيدة برونثيرو قد رأت زوجها آخر مرة في القرية عند الساعة السادسة إلا ربعاً تقريباً وأنها لا تمتلك أية معلومات قد تلقي الضوء على القضية، وقال المفتش إنه سيعود في اليوم التالي لإجراء تحقيق أوسع.

قالت غريزلدا متبرمة: كان نزيهاً تماماً في تعامله.

سألتها: وكيف تلقت السيدة برونثيرو الأمر؟

- حسناً... كانت هادئة تماماً، ولكنها هادئة دوماً.

- نعم، إنني لا أستطيع تخيل أن برونثيرو وهي تصاب بنوبات هستيريا مثلاً.

- كان الأمر صدمة كبيرة لها بالطبع. يوسع المرء رؤية ذلك. وقد شكرتني على حضوري وقالت إنها معتنة جداً وأنه لا يوجد ما يمكنني تقديمه.

- وماذا عن ليتيس؟

- كانت في الخارج تلعب التنس في مكان ما، ولم تكن قد عادت - بعد - إلى البيت.

توقفت لحظة ثم قالت: أندري يا لين، لقد كانت حقاً هادئة جداً... أمر غريب فعلاً.

- ربما كان ذلك من الصدمة.

- نعم... أظن ذلك. ومع ذلك...

قطبت حاجبيها حائرة وأضافت: لم يبدُ الأمر كذلك على نحو ما. ثم تبدت مصدومة ذاهلة بقدر ما بدت... بقدر ما بدت مرعوبة.

- مرعوبة؟!

- نعم، ولكن دون أن تظهر ذلك... أو أنها لم تقصد إظهاره. ولكن نظرة غريبة محترمة بدت في عينيها. أتساءل إن كانت لديها

أية فكرة عمن قتله. سألت مراراً إن كانت توجد شبهات حول أحد.

قلت متأملاً: حقاً؟

- نعم. إن آن تمتنع - طبعاً - بقدر هائل من ضبط النفس، ولكن بوسع المرء أن يلاحظ أنها كانت مزعجة جداً. مزعجة أكثر مما كنت أتخيل، فهي في نهاية الأمر لم تكن متعلقة به إلى ذلك الحد. بل إنني لأكاد أقول إنها كانت تكرهه.

- الموت يبدل مشاعر المرء أحياناً.

- نعم، أظنه كذلك.

دخل دينيس في غاية الانفعال لعثوره على آثار قدم في مسكية الزهور، وكان واثقاً من أن الشرطة قد أغفلوها وأنها متشكل نقطة تحول في حلّ اللغز.

أمضيت ليلة مزعجة. وقد نهض دينيس مبكراً فطاف بالمنزل ودار حوله قبل موعد الإفطار بزمان طويل، وذلك لدراسة "آخر التطورات" على حد قوله. ومع ذلك فقد كانت ماري - وليس هو - من أبلغنا بالخبر الصباحي المثير. كنا قد جلسنا لتناول الإفطار عندما اندفعت بقوة إلى الغرفة وحاطبتنا بما هو دأبها من الابتعاد عن الرسمية: أتصدقون ذلك؟ لقد أخبرني الحياز الآن... لقد اعتقلوا السيد ريدنغ.

صاحت غريزelda غير مصدقة: اعتقلوا لورنس، مستحيل! لا بد أنها غلطة سخيفة.

قالت ماري بانفعال المنتشي: لا غلط في الأمر يا سيدتي؛ فقد

ذهب السيد ريدنغ إليهم بنفسه وسلم نفسه. ذهب إليهم مباشرة ورمى المسدس على الطاولة وقال: "أنا فعلتها". هكذا بكل بساطة!

نظرت إلينا نحن الإثني وهزت رأسها بتأكيد قوي ثم انسحبت مقتنعة بما تركته فينا من أثر. حدثنا أنا وغريزelda كل منا بالآخر، ثم قالت غريزelda: أوه! هذا ليس صحيحاً. لا يمكن أن يكون صحيحاً.

لاحظت صمتي فقالت: لين، لا أظنك ترى ذلك صحيحاً؟

لم أجد الإجابة سهلة فجلست صامتاً والأفكار تحول في رأسي. قالت غريزelda: لا بد أنه محنون... محنون تماماً. أم تظنهما كانا ينظران إلى المسدس فانطلقت منه رصاصة فجأة؟

- هذا لا يبدو أمراً محتمل الحدوث أبداً.

- ولكن لا بد أنه كان حادثاً عرضياً ما؛ إذ لا يوجد أي دافع مطلقاً. لماذا يقدم لورنس على قتل الكولونيل بروثيرو بالله عليك؟

كان بوسعي أن أحيب عن هذا السؤال بكل حزم، ولكنني رغبت في صيانة سمعة آن بروثيرو قدر الإمكان، فربما كانت لدينا فرصة لإبقاء اسمها خارج الموضوع. ولذلك قلت: تذكرني أنهما سبق وتشارجا.

- بشأن ليتيس وملابس السباحة. نعم، ولكن تلك قضية نافية. وحتى لو كان هو وليتيس مخطوبين سراً... إن ذلك لا يشكل سبباً لقتل أبيها.

- إننا لا نعرف ما هي الحقائق الفعلية للقضية يا غريزelda.

- إنك تصدق ذلك فعلاً يا لين! أوه... كيف تصدق ذلك؟!
إنني واثقة أن لورنس لم يمس شعرة في رأس الرجل.

- تذكرني أنني رأيته خارج البوابة تماماً، وبدأ كرجل محنون.
- نعم، ولكن... أوه! مستحيل.

- ثم إن هناك مسألة الساعة أيضاً، وهي تلقى بذلك تفسيراً.
لا بد أن لورنس أعاد عقاربها لتشير إلى السادسة والثلاث على أمل
أن يجد لنفسه دليل غياب عن مكان الجريمة لحظة وقوعها. انظري
كيف وقع المفتش سلاك في المصيدة.

- أنت مخطئ يا لين، فقد كان لورنس يعرف بأمر تقديم
تلك الساعة. وقد اعتاد القول إن ذلك "إيقاء الكاهن دقيق
المواعيد".. ما كان لورنس ليرتكب أبداً غلطة إرجاع العقارب إلى
الساعة ٦.٢٢. كان من شأنه -لو صح ذلك- أن يضع العقارب
بحيث تشير إلى زمن مناسب... كالسابعة إلّا رباعاً مثلاً.

- ربما لم يكن يعرف متى وصل بروثيرو إلى هنا، أو ربما
نسي ببساطة أن الساعة تزيد ربع ساعة عن الزمن الحقيقي.

عارضتني غريزelda قائلة: كلا، لو كنت ترتكب جريمة قتل فلا
بد أن تكون حريصاً جداً على أمور كهذه.

- لا يمكنك الحزم يا عزيزتي، فلم يسبق لك ارتكاب جريمة قتل!
وقبل أن تستطيع غريزelda الإجابة وقع خيالٌ على طاولة الإفطار
وجاءنا صوت بالغ اللطف يقول: أرجو ألا يكون وجودي نطفلاً...

اعذراني، ولكن في مثل هذه الظروف المحزنة... المحزنة جداً...

كانت تلك حارثنا، الأنسة ماربل، التي ثقيلت نفيتنا لوجود أي
إزعاج ودخلت من خلال الباب الزجاجي حيث سحبت لها كرسيّاً.
بدت متوردة الوجه قليلاً ومنفصلة تماماً. مضت قائلة: أليس ذلك أمراً
فظيحاً جداً؟ الكولونيل بروثيرو المسكين. صحيح أنه قد لا يكون
رجلاً بالغ اللطف، أو ذا شعبية، ولكن ذلك لا يقلل من الحزن شيئاً.
وقد قتل عملياً في مكتبة البيت كما فهمت؟

قلت لها إن ذلك هو ما حصل بالفعل، فسألت الأنسة ماربل
غريزelda: والكاهن العزيز لم يكن هنا وقتها؟

شرحتُ لها أين كنت، فقالت وهي تنظر حولها: والسيد
دينيس ليس معكم هذا الصباح؟

أجابت غريزelda: إن دينيس يتخيل نفسه رجل تحرّ هاوياً. إنه
منفعل كثيراً لأنار قدم وجردها في إحدى مساكب الأزهار، وأظنه
ذهب ليخبر الشرطة عنها.

قالت الأنسة ماربل: يا عزيزتي... لا شك أنها كانت معمعة
متعبة، أليس كذلك؟ والسيد دينيس يظن أنه يعرف من ارتكب
الجريمة. حسناً، أظن أننا جميعاً نرى أننا نعرف ذلك.

سألها غريزelda: أتعين أن الأمر واضح؟

- أوه يا عزيزتي، كلا. لم أقصد ذلك أبداً. ولكني أظن أن
كل امرئ يظن القاتل شخصاً مختلفاً، ولذلك من المهم وجود أدلة.
أنا مثلاً مقتنعة تماماً بأنني أعرف من فعلها، ولكنني لا أملك أي دليل

مهما صغر. أعرف أن على المرء أن يكون بالغ الحرص فيما يقوله في زمن كهذا... إنهم يسمون مثل هذا الكلام تشهيراً جنائياً، أليس كذلك؟ لقد قررت أن أكون في منتهى الحرص مع المفتش سلاك. لقد أرسل يقول إنه سيأتي لرؤيتي هذا الصباح، ولكنه اتصل قبل قليل ليقول إن ذلك لم يعد ضرورياً.

قلت: أظن أنه لم يعد ضرورياً بعد الاعتقال.

انحنيت الأنسة ماربل إلى الأمام وقد تورد عندها وقالت: الاعتقال؟ لم أعرف إن أحداً قد اعتقل.

من النادر جداً أن تكون الأنسة ماربل أقل منا اطلاعاً بحيث أنسي سلّمت جدلاً بأنها كانت على علم بأخر التطورات. قلت لها: يبدو أنك لم تسمعي بعد، نعم، حدث اعتقال... اعتقل لورنس ويدنغ.

- لورنس ويدنغ؟

بدت الأنسة ماربل مندهشة جداً، ثم قالت: ما كنت لأظن...

قاطعتها غريزelda بحماسة قائلة: لا أستطيع تصديق ذلك حتى الآن. كلا، رغم اعترافه الفعلي.

- اعترافه؟ أتقولين إنه اعترف؟ أوه! يا إلهي، إنني أرى الآن أنني كنت في حيرة شديدة... نعم، كنت في غاية الاضطراب.

قالت غريزelda: لا أملك إلا الشعور بأن الأمر كان -دون شك- حادثاً ما. ألا ترى ذلك يا لين؟ أعني أن ذهابه لتسليم نفسه بهذا الشكل يوحي بذلك.

مالت الأنسة ماربل إلى الأمام بلهفة وقالت: أتقولين إنه سلم نفسه؟

- نعم.

تهددت الأنسة ماربل بعمق وقالت: أوه! إنني سعيدة جداً.

نظرت إليها بشيء من الدهشة وقلت: أظن أن ذلك يُظهر حالة ندم حقيقية.

قالت الأنسة ماربل بدهشة بالغة: ندم؟ أوه، ولكن من المؤكد يا عزيزي الكاهن أنك لا تراه مذنباً.

جاء الآن دوري بالدهشة وقلت: ولكن طالما أنه اعترف...

- نعم، ولكن ذلك لا يعدو أن يثبت الأمر، أليس كذلك؟ أعني أن ذلك يثبت أن لا علاقة له بالجريمة.

قلت: قد أكون غيبياً، ولكنني لا أرى كيف يمكن لاعترافه أن يثبت ذلك. ما لم يرتكب المرء جريمةً فما الذي يدفعه للتظاهر بارتكابها؟

- أوه، يوجد سبب بالطبع! أمر طبيعي... يوجد دوماً سبب. والشباب سريعو الانفعال، ويميلون دوماً لتصديق أسوأ الاحتمالات.

ثم التفتت إلى غريزelda وقالت: ألا تتفقين معي يا عزيزتي؟

- إنني... إنني لا أدري. من الصعب أن يعرف المرء بماذا يفكر. لا أرى أي سبب يدفع لورنس للتصرف بمثل هذه اليلاهة.

شرعت أقول: لو أنك رأيت وجهه مساء أمس...

قالت الأنسة ماريل: أخبرني عن ذلك.

وصفت لها عودني إلى البيت وهي مصغية بكل انتباه، وعندما أكملت قالت: أعلم أنني كثيراً ما أكون شديدة الحماسة ولا أستوعب الأمور كما ينبغي، ولكنني حقاً لا أفهم ما الذي تقصده. يبدو لي أنه إذا ما حزم شاب أمره وقرّر الإقدام على فعله شريرة بمستوى قتل نفس بشرية فإنه لن يبدو بعد ذلك شارد الذهن تائهاً من فعلته. من شأن تلك الفعلة أن تكون تصرفاً ثم التخطيط له مسبقاً وارثكابه بأعصاب باردة، ورغم أن من المحتمل أن يصاب القتال بارتباك ربما أدى إلى خطأ بسيط، إلا أنني لا أظن أن من شأنه أن يصاب بحالة انفعال شديد كالتي ذكرتها. ورغم أن من الصعب تمثيل ذلك الموقف، إلا أنني لا أستطيع تصور نفسي -أنا شخصياً- أصاب بمثل تلك الحالة.

قلت محاججاً: ولكننا لا نعرف ظروف الحادث. فلو وقع شجار -مثلاً- لكان من المحتمل أن تطلق رصاصة في نوبة غضب مفاجئة، وربما شعر لورنس بعدها بهول ما أقدم عليه. والحقيقة أنني أفضل الاعتقاد بأن هذا هو ما حدث فعلاً.

- أعلم يا عزيزي السيد كليمنت أن هناك العديد من الطرق التي تفضل النظر من خلالها إلى الأمور، ولكن على المرء أن يأخذ الحقائق كما هي، أليس كذلك؟ ولا يبدو لي أن الحقائق تحتل التفسير الذي حملتها إياه. لقد أكدت بحادمتكم جازمة أن السيد ريدنج لم يمكث في البيت أكثر من دقيقتين، وهو وقت لا يكفي

بالتأكيد لنشوب مشاجرة كالتي تصفها. وفوق ذلك فقد فهمت أن النار قد أطلقت على الكولونيل من مؤخرة رأسه وهو يكسب رسالة... هذا على الأقل ما أخبرني به عادمي.

قالت غريزلدا: هذا صحيح. يبدو أنه كان يكب ملاحظة يقول فيها إنه لا يستطيع المضي في الانتظار. وقد وُضع الوقت في أعلى الرسالة على أنه ٦،٢٠، والساعة التي وقعت توقفت عند الساعة ٦،٢٢، وهذا ما كنا -أنا ولين- مختارين بشأنه فنضرب أحساساً في أمداس.

ثم شرحت عادتنا في إبقاء الساعة متقدمة ربع ساعة عن الزمن الحقيقي، فقالت الأنسة ماريل: أمر غريب جداً. إنه حقاً أمر غريب. ولكن الرسالة ما تزال بالنسبة لي أكثر غرابة. أعني...

توقفت والتفتت. كانت ليتيس بروثيرو تقف خارج الباب الزجاجي. دخلت وهي تومي برأسها وتقول: صباح الخير. ثم ألقت بنفسها على كرسي وقالت بحيوية أكثر من المعتاد: سمعت أنهم اعتقلوا لورنس.

قالت غريزلدا: نعم، كانت تلك صدمة كبيرة لنا.

قالت ليتيس: ما كنت أظن حقاً أن من شأن أحد أن يقتل أبي.

بدأ واضحاً أنها تياهي بعدم سماحها لأي مظهر من مظاهر الحزن أو العاطفة أن يظهر عليها. أكملت تقول: رغم أنني واثقة أن الكثيرين أرادوا قتله... بل لقد مرت أوقات اتبنتي فيها أنا شخصياً مثل هذه الرغبة.

سألته غريزدا: ألا تأكلين أو تشربين شيئاً يا ليتيس؟

- كلا، شكراً. لقد مررت لأرى إن كانت قبعتي عندي هنا.
إنها قبة صغيرة صفراء غريبة الشكل. أظنني تركتها في المكب بالأمس.

- إن كنت تركتها فهي ما تزال هناك؛ فماري لا ترتب شيئاً.

قالت ليتيس وهي تنهض: سأذهب لأرى. أسفة لإزعاجكم،
ولكن يبدو أنني أضعت كل قبعاتي.

تدخلت قائلاً: أخشى أن لا يكون بوسعك أخذها الآن؛ فقد
أقفل المفتش سلاك الغرفة.

- أوه، يا للإزعاج! ألا نستطيع الدخول من الباب الزجاجي؟

- لا أظن ذلك.. لقد أقفل من الداخل. ولكن من المؤكد - يا
ليتيس - أن قبة صفراء لن تكون مناسبة في الوقت الحاضر.

- أتعني الحداد وما إلى ذلك؟ لن أهتم للحداد؛ فأنا أراه فكرة
قديمة جداً. ولكن أمر لورنس مزعج... نعم، إنه مزعج.

نهضت ووقفت عابسة شاردة الذهن، ثم قالت: أحسب أن كل
ذلك كان بسببي وبسبب ملابس سباحتي. الأمر كله سخيف جداً...

فتحت غريزدا فمها كمن يريد الكلام، ولكنها عادت وأغلقت
لسبب غير معروف. ارتسمت ابتسامة غريبة على وجه ليتيس وقالت:
أظنني سأذهب إلى البيت وأخبر أن بنياً إلقاء القبض على لورنس. ثم
خرجت من الباب الزجاجي مرة أخرى، فالتفت غريزدا إلى الأنسة
ماربل وقالت: لماذا دُست على قدمي؟

ابتسمت العجوز وقالت: ظننتك تريدني قول شيء يا عزيزتي،
وغالباً ما يكون من الأفضل كثيراً ترك الأمور تتطور من تلقاء نفسها. لا
أحسب أبداً أن هذه الفتاة مشوشة تفنفر إلى الدقة كما تتظاهر. إن
في رأسها فكرة محددة تماماً، وهي تمثل لإخفائها.

طرقت ماري بشدة على باب غرفة الطعام ثم دخلت مباشرة،
فقالت غريزدا: ما الأمر؟ ينبغي أن تتذكري يا ماري أن لا تطرقني
الأبواب بهذا الشكل، ألم أوصيك بذلك من قبل؟

قالت ماري: ظننت أنكم ربما كنتم منشغلين. الكولونيل
ميلتشيت موجود هنا ويريد رؤية سيدي.

الكولونيل ميلتشيت هو رئيس الشرطة في مقاطعتنا. ولذا فقد
نهضت فوراً، ومضت ماري قائلة: حسب أنكم لن ترغبوا في أن
أتركه في الصالة، ولذلك أدخلته غرفة الجلوس. هل أنظف المائدة؟

- كلا، ليس بعد. سأفرع لك الحرس عندما تنتهي.

ثم التفتت إلى الأنسة ماربل فيما غادرت أنا الغرفة.

* * *

الفصل السابع

الكولونيل ميلانشيت رجل ضئيل الجسم رشيق الحركة من عادته أن يُصدر شخيراً مفاجئاً على غير توقع. وهو ذو شعر أحمر وعينين زرقاوين لامعتين لا تنقصهما الحدة. بادرني قائلاً: صباح الخير أيها الكاهن. عملية قذرة، أليس كذلك؟ مسكين ذلك الرجل. وهذا لا يعني أنني كنت أحبه؛ فأنا لم أحبه، بل إن أحداً لم يحبيه. وهو أمر مخرج قدر بالنسبة لك أيضاً. أرحو ألا يكون قد أزعج زوجتك.

قلت له إن غريزنا واجهت الموقف بشكل جيد، فقال: هذا من حسن حظك. من القطيع أن يحدث مثل هذا الأمر في بيت المرأة. لقد دهشت لذلك الشاب ريدنغ... وإقدامه على ذلك بهذا الشكل، دون أي احترام لمشاعر أحد.

انتابني رغبة جامحة بالضحك، ولكن بدا أن الكولونيل لا يرى غرابة في توقع أن يحترم قاتل مشاعر الآخرين، ولذلك أمسكت زمام نفسي. قال الكولونيل وهو يلقي بنفسه على أحد الكراسي: لقد فوجئت عندما سمعت أن الرجل تقدم وسلم نفسه.

- كيف حدث ذلك بالضبط؟

- ليلة أمس، في حوالي العاشرة ليلاً. دخل الرجل وألقى بمسدس وقال: "ها أنذا. أنا فعلتها". بهذه البساطة.

- ما السبب الذي بسطه لتصرفه؟

- أقل القليل. لقد نيهوه طبعاً بشأن حقه في الاحتفاظ بأقواله، ولكنه اكتفى بالضحك. قال إنه جاء إلى هذا المكان لرؤيتك، ووجد بروثيرو، فتبادلا كلمات ثم أطلق عليه النار. رفض التصريح بسبب المشاجرة. اسمعني يا كليمنت... الأمر بيني وبينك فقط، هل تعلم شيئاً عن الأمر؟ لقد سمعت إشاعات... حول منعه من دخول البيت وغير ذلك. فما الأمر... هل قام بإغواء الفتاة أم ماذا؟ لا نريد إقحام اسم البنت في الأمر قدر استطاعتنا، وذلك لمصلحة الجميع. أكانت تلك هي المشكلة؟

- كلا، بوسعي أن أؤكد لك أن السبب كان شيئاً آخر تماماً، ولكني لا أستطيع قول المزيد في هذه المرحلة.

أوما برأسه ونهض قائلاً: يسعدني سماع ذلك. تدور الكثير من الشائعات... وما أكثر النساء في هذه المنطقة! إنني آسف لما حصل لريدنغ؛ لقد رأيت فيه دوماً شاباً مؤدباً، وربما التمسوا له دفاعاً يخفف عقوبته، كمرض نفسي أو غير ذلك، خاصة إذا لم يظهر دافع مناسب للحرime. حسناً، علي أن أذهب لرؤية هينوك. لقد تم استدعاؤه لمعاينة مريض ما، ولكنه عاد الآن بلا ريب. هل تأتي معي؟

قلت إنني أود ذلك كثيراً، وخرجنا معاً.

بيت الدكتور هيدوك ملاصق لبيتي. قال خادمه إن الطبيب قد وصل لنوه، وقادنا إلى غرفة الطعام حيث كان هيدوك جالساً وأمامه طبق ساخن من البيض واللحم. حياني بإيماءة ودبة وقال: آسف لاضطراري للخروج... كانت حالة ولادة. لقد بقيت سهران أغلب الليل بقضيتكم، وقد أخرجت الرصاصة.

ثم دفع غير الطاولة عليه صغيرة أخذ ميلنشيت يتفحصها.

- من عيار ٢٥؟

أوما هيدوك برأسه بالإيجاب وقال: سأبقي التفاصيل الفنية لجلسة التحقيق. كل ما يهمك معرفته هو أن الوفاة حدثت بشكل فوري عملياً. ذلك الأحقق المغفل... ما الذي دفعه للقيام بذلك؟ المدهش - بالمناسبة - أن أحداً لم يسمع الطلقة.

قال ميلنشيت: نعم، هذا ما بدهنشني.

قلت: إن نافذة المطبخ مظلة على الجانب الآخر من البيت، ومع وجود أبواب المكتب وغرفة الأواني والمطبخ مغلقة كلها فلأنني أشك في إمكانية سماع شيء، كما أن أحداً لم يكن في البيت إلا الخادمة.

قال ميلنشيت: هممم. الأمر غريب مع ذلك. أعجب أن تلك العجوز لم تسمعها، ما هو اسمها، ماربل؟ فقد كانت نافذة المكتب مفتوحة.

قال هيدوك: ربما سمعتها.

قلت: لا أظنها سمعتها. فقد كانت عندنا الآن، ولم تذكر

شيئاً من ذلك، وهو ما كانت ستفعله - بالتأكيد - لو كان لديها ما تقوله.

- ربما سمعت الطلقة ولم تلتقي لها بالاً... أو حسبتها سيارة تطلق أصوات اختناق المحرك.

أثار انتباهي أن هيدوك كان يبدو أكثر ابتهاجاً هذا الصباح. بدا كرجل يحاول كيخ مرح غامر يتتبعه، وأضاف قائلاً: أو ماذا عن احتمال وجود كاتم صوت؟ هذا محتمل تماماً، وعندها لن يسمع أحد شيئاً.

هز ميلنشيت رأسه بالنفي وقال: لم يحد سلاك شيئاً من ذلك، وقد سأل ريدنغ، وبدا أن ريدنغ لم يعرف في البداية عما يتكلم المفتش، ثم أنكر تماماً استخدام شيء من هذا القبيل، وأظن أن بوسع المرء تصديقه في ذلك.

- نعم، هذا صحيح، يا له من بائس مسكين.

قال الكولونيل ميلنشيت: بل ثباً له من شاب مغفل. إنني آسف يا كليمنت، ولكنه حقاً كذلك. لا يكاد المرء يستطيع النظر إليه كقاتل.

سأل هيدوك وهو يرتشف آخر رشفة من قهوته ويعود بكرسيه إلى الوراء: أوجدتم أية دوافع؟

- قال إنهما تشاحرا ففقد أعصابه وأطلق عليه النار.

هز الطبيب رأسه وقال: يأمل بذلك أن تعتبر القضية قتلاً دون

سابق تصميم، أليس كذلك؟ إنها قصة لا تصمد أمام الحقائق. لقد تسلسل خلفه وهو يكب وأطلق النار على رأسه. ليس في الأمر أي شجار.

قلت وأنا أتذكر كلمات الأنسة ماريل: لم يكن الوقت كافياً للشجار على أية حال. إن التسلسل وقتل الرجل ثم إعادة عقارب الساعة والمغادرة ثانية من شأنها جميعاً أن تأخذ كل وقته. لن أنسى أبداً وجهه عندما قابلته خارج البوابة وولا طريقته عندما قال: "أوسوف ترى بروتيرو؟ نعم، سترى بروتيرو دون شك!". إن ذلك -وحده- كان ينبغي أن يثير شكوكي إزاء ما حدث قبل دقائق قليلة من ذلك.

حذق هيدوك بي وقال: ما الذي تعنيه بقولك "ما حدث قبل دقائق"... متى تظن ريدنغ أطلق عليه النار؟

- قبل عدة دقائق من وصولي إلى البيت.

- مستحيل، مستحيل تماماً. لقد كان ميتاً قبل ذلك بكثير.

صاح الكولونيل ميلنشيت: ولكن يا صديقي، أنت نفسك قلت إن نصف الساعة ليس إلا تقديراً تقريبياً.

- نعم، يمكن أن تكون نصف ساعة أو أكثر أو أقل بخمس دقائق. إنها عشرون دقيقة في حدها الأدنى... أما أقل من ذلك فلا، وإلا لكان جسم القتيل دافئاً عندما وصلت هناك.

حدثنا بعضنا البعض. كان وجه هيدوك قد تغير، وأصبح فجأة مكتئباً مُسناً، وقد تعجبت لهذا التغير فيه. قال الكولونيل بعد أن وجد صوته: ولكن اسمعني يا هيدوك، إن كان ريدنغ يعترف بأنه أطلق عليه النار في الساعة إلا ربعا...

انتفض هيدوك واقفاً وزمجر قائلاً: أقول لك إن ذلك مستحيل. إن كان ريدنغ يقول إنه قتل بروتيرو في الساعة إلا ربعا فإنه يكذب. ما بالك يا رجل؟ إنني أقول ما أقوله وأنا طبيب وأعرف عملي. كان الدم قد بدأ بالتخشّر.

بدأ ميلنشيت يقول: إن كان ريدنغ يكذب...

ثم توقّف وهزّ رأسه وقال: الأفضل أن نذهب لنراه.

* * *

قاطعه لورنس قائلاً: ليس لديّ ما أخفيه... لقد قتلت بروثيرو.
شعر ميلتشيت وقال: آه! حسناً... ولكن كيف صدف وكنت
تحمل مسدساً معك؟

تردد لورنس قليلاً وقال: كان في حبيبي.

- وأخذته معك إلى بيت الكاهن؟

- نعم.

- لماذا؟

- إنني أحمله دائماً.

تردد ثانية قبل أن يجيب، وكنت متأكداً تماماً بأنه كان يكذب.

- لماذا أرجعت عقارب الساعة إلى الوراء؟

- الساعة؟

بدا متحيراً، فقال الكولونيل: نعم، كانت العقارب تشير إلى
الساعة ٦.٢٢.

قفزت نظرة رعب إلى عينيه ثم قال: الساعة! نعم... أنا بدلتها.

تكلم هيدوك فجأة: أين أطلقت النار على الكولونيل بروثيرو؟

- في المكتب في بيت الكاهن.

- أعني: في أي جزء من جسمه؟

الفصل الثامن

أمضينا الطريق إلى مركز الشرطة صامتين تقريباً، إلا أن هيدوك
ترجع قليلاً إلى الخلف وهمس في أذني: أتعلم أنني غير مرتاح لهذا
الأمر... غير مرتاح أبداً في هذا الأمر شيء لا تفهمه.

بدا في غاية القلق والانزعاج. كان المفتش سلاك في المركز،
وسرعان ما وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه أمام لورنس ريدنغ.

بدا الشاب شاحباً مرهقاً ولكن رابط الجأش... بل رأيت أنه
كان رابط الجأش إلى حدٍ يشير الإعجاب إذا ما أخذ المرء موقفه بعين
الاعتبار. شعر ميلتشيت وتحنج فيما بدا واضحاً أنه يحس
بالعصبية، ثم قال: اسمعني يا ريدنغ. لقد فهمت أنك أدليت بأقوال
للمفتش سلاك. قلت إنك ذهبت إلى بيت الكاهن في حوالي الساعة
إلا رباعاً، ووجدت بروثيرو هناك فتشاجرت معه وأطلقت عليه النار
وخرجت. أنا لا أعيد قراءة أقوالك عليك، ولكن هذا هو فحواها.

- نعم.

- سأسألك بعض الأسئلة: لقد سبق وقيل لك إنك لست
مضطراً للإجابة إلا إذا اخترت أنت ذلك. إن محاميك...

- أوه! إنني ... في رأسه كما أظن. نعم، في رأسه.

- أأنت متأكد؟

- بما أنكم تعرفون فلا أرى ضرورة لأن تسألوني.

كانت عبارته تلك تبجحاً ضعيفاً غير مقنع. سمعت جلبة في الخارج، ثم دخل شرطي حاسر الرأس حاملاً رسالة معه وقال: إنها للكهنة، ومكتوب عليها أنها عاجلة جداً. أخذتها ففتحتها وقرأت:

رجاء... رجاء... تعال عندي. لا أدري ماذا أفعل. الأمر فظيع جداً. أريد أن أخبر أحداً. أرجوك أن تأتي في الحال، وأحضر معك من ثناء.

آن بروثيرو

نظرت إلى الكولونيل نظرة ذات مغزى، ففهم الإشارة وخرجنا جميعاً معاً. نظرت خلفي ونحن نخرج فلمحت وجه لورنس ريدنغ. كانت عيناه مسعرتين على الورقة في يدي، ولعلي لم أرَ أبداً - على وجه أي إنسان من قبل - مثل هذه النظرة الفظيعة من الألم واليأس.

تذكرت جلوس آن بروثيرو على الأريكة في مكثي وقولها: "إنني امرأة يائسة"، وشعرت بغليبي يغدو أثقل هماً. لقد فهمت الآن السبب في إقدام لورنس ريدنغ على ذلك الاتهام البطولي للذات. كان ميلتشيت يتحدث إلى المفتش سلاك قائلاً: هل أجريت أية تحقيقات عن تحركات ريدنغ في وقت سابق من ذلك اليوم؟ لدينا ما يدعو إلى الظن بأنه أطلق النار على بروثيرو في وقت أبكر مما يدعي. ابحث لي في ذلك من فضلك.

ثم التفت إلي فسلمته رسالة آن بروثيرو دون أن أتيس بكلمة. قرأها وزم شفتيه تعجباً ثم نظر إلي متسائلاً: أهذا ما كنت تلمح إليه صباح اليوم؟

- نعم. لم أكن واثقاً عندها إن كان من واجبي أن أتكلم، أما الآن فأنا واثق تماماً.

أخبرته بما رأيته تلك الليلة في المرسى، فتبادل الكولونيل بضع كلمات مع المفتش، ثم انطلقنا معنا الدكتور هيدوك إلى أولد هول.

فتح لنا الباب كبير خادم دقيق التصرف، في سمته القدر المناسب تماماً من التحهم والجدية. قال له ميلتشيت: صباح الخير. أرجو أن ترسل خادمة السيدة بروثيرو لتخبرها أننا هنا ونرغب في رؤيتها، ثم تعود أنت لتحيب على بعض الأسئلة.

هرع كبير الخدم، ثم ما لبث أن عاد ليقول إنه أرسل الرسالة. قال الكولونيل: دعنا الآن نسمع منك شيئاً عن الأمس. أكان سيدك موجوداً هنا لتناول الغداء؟

- نعم يا سيدي.

- وهل كان على طبيعته المعتادة؟

- نعم يا سيدي، وفقاً لما رأيته على الأقل.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- بعد الغداء انصرف السيد بروثيرو إلى مكثه فيما ذهبت السيدة زوجته لتتمدد قليلاً. وقد خرجت الأنسة ليتيس للعبة تنس في

السيارة ذات المقعدين. ثم تناول الكولونيل وزوجته الشاي في
الرابعة والنصف في غرفة الجلوس، وكانت السيارة قد طلبت
لتأخذهما في الساعة الخامسة والنصف إلى القرية. وبعد أن غادرا
مباشرة اتصل السيد كليمنت فأخبرته أنهما خرجا.

انحنى لي الرجل وهو يذكر اسمي، وسأله الكولونيل ميلنشيت:
هممم، متى كان السيد ريدنغ هنا آخر مرة؟

- عصر يوم الثلاثاء يا سيدي.

- فهمت أن نزاعاً حصل بينهما؟

- أحسب ذلك يا سيدي، فقد أصدر لي الكولونيل أوامر بعدم
السماح للسيد ريدنغ بالدخول مستقبلاً إلى البيت.

سأله الكولونيل بكل صراحة: هل حدثت سمعت - غرضاً - شيئاً
من المشاجرة؟

- إن للكولونيل بروثيرو يا سيدي صوتاً عالياً جداً، وخاصة
عندما يثيره الغضب. ولم يكن بوسعي تفادي سماع بعض الكلمات
هنا وهناك.

- أكان ما سمعته كافياً لمعرفة سبب النزاع؟

- فهمت يا سيدي أن للنزاع علاقة بصورة كان السيد ريدنغ
يرسمها... صورة للأنسة ليتيس.

دمدم ميلنشيت وقال: هل رأيت السيد ريدنغ عندما غادر؟

- نعم يا سيدي، أنا أخرجه.

- هل بدا غاضباً؟

- لا يا سيدي، بل بدا مسروراً بعض الشيء... إن جاز لي التعبير.

- آه! ألم يأت بالأمس إلى البيت؟

- لا يا سيدي.

- أجاه أخذ غيره؟

- لا، ليس بالأمس يا سيدي.

- وماذا عن أول أمس؟

- أول أمس جاء السيد دينيس كليمنت عصرًا، والسيد ستون
جاء لبعض الوقت، وجاءت سيدة في المساء.

اندهش الكولونيل وقال: سيدة؟ من كانت تلك السيدة؟

لم يستطع كبير الخدم تذكر اسمها. كانت سيدة لم يرها من
قبل، وقد أعطت اسمها، وعندما أخبرها أن الأسرة تتناول عشاءها
قالت المرأة إنها ستنتظر. وهكذا قادها إلى غرفة الجلوس الصغيرة.

كانت قد سألت عن الكولونيل بروثيرو وليس عن زوجته،
وقد قام بإبلاغ الكولونيل فذهب الكولونيل إلى غرفة الجلوس بعد
أن أكمل عشاءه مباشرة. وجواباً عن سؤال حول مدة بقائها هناك
قال كبير الخدم إنه يظنها بقيت نحواً من نصف ساعة وإن
الكولونيل نفسه هو الذي كان في وداعها. آه! نعم، لقد تذكر الآن
اسمها. فقد كانت تدعى السيدة ليسترينج.

كانت تلك مفاجأة!

قال ميلتشيت: غريب، أمر غريب فعلاً!

ولكننا لم نتابع الموضوع أكثر من ذلك، ففي تلك اللحظة جاء من يقول إن السيدة برونيرو جاهزة لرؤيتنا.

كانت آن في السرير، وكان وجهها شاحباً وعيناها تلمعان بشدة، وعلى وجهها ارتسمت نظرة حيرتني... نظرة أشبه بالتصميم العنيد. وجهت كلامها إليّ قائلة: شكراً على قدومك بمثل هذه السرعة... أرى أنك فهمت ما قصدته بقولي: "أحضر معك من تشاء".

سكت قليلاً ثم قالت: من الأفضل الانتهاء من الموضوع بسرعة، أليس كذلك؟ وابسست ابتسامة غريبة تثير الشفقة وقالت: أحسب أنك أنت من ينبغي التكلم معه يا كولونيل ميلتشيت... أريد أن أقول لك إنني أنا التي قتلت زوجي.

قال الكولونيل ميلتشيت بلطف: يا سيدتي العزيزة...

- أوه! هذا صحيح تماماً. أحسب أنني قلت ذلك بشكل فجّ مفاجئ، ولكنني لست ممن ينفرون ويفقدون أعصابهم تجاه أي شيء. لقد كرهته منذ زمن طويل... وبالأمر قتلته.

استندت ظهرها إلى الوسادة وأغمضت عينيها وقالت: هذا كل شيء. أحسب أنكم ستعتقلونني وتأخذونني بعيداً. سوف أنهض وأرتدي ملابس حاليما أستطيع؛ فأنا أشعر بشيء من الإعياء الآن.

- أتدركين يا سيدة برونيرو بأن السيد لورنس ريدنغ قد

اعترف أساساً بارتكابه للجريمة؟

فتحت آن عينيها وأومأت برأسها قائلة: أعرف... يا له من فتى سخيف. ذلك أنه يحيني كثيراً. كان ذلك موقفاً بالغ الشهامة منه... وبالغ السخف أيضاً.

- أكان يعرف أنك أنت من ارتكبت الجريمة؟

- نعم.

- كيف عرف؟

ترددت قليلاً فسألها الكولونيل: أنت أخبرتني؟

بقيت مترددة أيضاً، وأخيراً بدا أنها حزمت أمرها فقالت: نعم... أنا أخبرتته.

تحرك كتفها بشكل يدل على الانزعاج، ثم قالت: ألا تذهيرون الآن؟ لقد أخبرتكم، ولا أريد الحديث في الموضوع أكثر من ذلك.

- من أين حصلت على المسلس يا سيدة برونيرو؟

- المسلس! أوه، كان مسلسل زوجي. أخذته من درج عزازته.

- فهمت. وهل أخذته معك إلى بيت الكاهن؟

- نعم. كنت أعرف أنه سيكون هناك...

- في أية ساعة كان ذلك؟

- لا بد أن ذلك كان بعد السادسة... السادسة والرابع أو

الثالث... نحوه من ذلك.

- أريدت المسدس وفي بيتك قتل زوجك؟

- كلا... لقد... لقد قصدت بذلك نفسي.

- فهمت. ولكنك ذهبت إلى بيت الكاهن؟

- نعم. ذهبت مباشرة إلى الباب الزجاجي. لم أسمع أي أصوات، ونظرت إلى الداخل فראيت زوجي. وانتابني شيء ما... فأطلقت النار.

- وبعدها؟

- بعدها؟ أوه، بعدها خرجت.

- وأخبرت السيد ريدنغ بما فعلته؟

مرة أخرى لاحظت التردد في صوته قبل أن تقول: نعم.

- هل شاهدك أحد تدخلين بيت الكاهن أو تغادرينه؟

- كلا... أو في الحقيقة: نعم. الأنسة العجوز ماربل. تحدثت

معهما لحظات، وقد كانت في حديثها.

تحركت متململة على الوسادة ثم قالت: ألا يكفي هذا؟ لقد

أخبرتكم. لماذا تريدون المضي في إزعاجي؟

اقترب منها الدكتور هيدوك وفحص نبضها ثم قال لميلتشيت

هامساً: سألني معها بينما تقوم أنت بالترتيبات اللازمة. ينبغي عدم

تركها؛ فقد تفعل شيئاً بنفسها.

أوما ميلتشيت موافقاً، وغادرتا الغرفة نزولاً على الدرج. رأيت رجلاً نحيلاً شاحباً شحوب الحش يخرج من غرفة محالورة، وبسرعة عدت لصعود الدرج وسألته: أنت الخادم الخاص للكولونيل بروثيرو؟

بدأ الرجل مندهشاً وقال: نعم يا سيدي.

- أتعلم إن كان سيدك السابق يحتفظ بمساح في أي مكان؟

- لا أعرف - شخصياً - عن وجود مسدس لديه.

- ألم يكن واحد في درج عزائه؟ تذكر يا رجل.

هز الخادم رأسه جازماً وقال: إنني واثق جداً أنه لم يحتفظ بمسدس يا سيدي، ولو كان الأمر كذلك لرأيت عندة. هذا مؤكد.

هرعت نازلاً الدرج خلف الآخرين.

لقد كذبت السيدة بروثيرو بشأن المسدس. لماذا؟

* * *

أدخلتنا خادمة ضئيلة الجسم وقادتنا إلى غرفة جلوس صغيرة.
قال الكولونيل وهو ينظر حوله: غرفة مزدحمة بالأناث، ولكنه من
نوعية جيدة. واضح أنها غرفة سيّدة، أليس كذلك يا كليمنت؟

وافقته، وفي تلك اللحظة فُتح الباب وظهرت الأنسة ماربل،
وحين قدمتُ إليها الكولونيل قال: "إننا أسفان جداً لإزعاجك يا
آنسة ماربل". قال ذلك بأسلوبه العسكري الزائف الذي ظن أنه يروق
لل سيدات العجائز، ثم أضاف: "عليّ القيام بواجبي كما تعلمين".

قالت الأنسة ماربل: طبعاً، طبعاً... أفهم ذلك تماماً. هل لي أن
أتيكم بشراب؟ إن لديّ عصيراً من صناعي، من وصفة وضعتها جدي.

- شكراً جزيلاً لك يا آنسة ماربل. هذا لطفك منك، ولكن لا
أظن أنني سأشرب شيئاً؛ إن شعاري هو عدم تناول شيء حتى ساعة
الغداء. والآن أريد الحديث معك حول تلك القضية المؤسفة التي
أزعجتنا جميعاً. من الممكن أن تكوني قادرة - بحكم موقع بيتك -
على أن تخبرينا شيئاً تريد معرفته حول مساء أمس.

- الحقيقة أنني كنت فعلاً في حديقتي الصغيرة ابتداءً من الساعة
الخامسة مساءً أمس. ومن ذلك الموقع هناك، لا يستطيع المرء عملياً
إلا أن يرى ما يحدث في البيت المجاور.

- فهمتُ يا آنسة ماربل أن السيدة بروثيرو قد عبرت من هنا
مساءً أمس.

- نعم، لقد عبرت فعلاً. وقد ناديتها وأعرّبتُ هي عن إعجابها
بورود حديقتي.

الفصل التاسع

ترك الكولونيل ميلتشيت رسالة في مركز الشرطة، ثم أعلن عن
نيته في زيارة الأنسة ماربل قائلاً: الأفضل أن تأتي معي أيها الكاهن.
لا أريد إثارة ذعر أحد من أتباعك؛ ولذلك أرجو أن تعبرني حضورك
الذي يبعث على الاطمئنان.

ابتسمت لقوله؛ إذ أن الأنسة ماربل - رغم مظهرها الهش
الضعيف - قادرة على التعامل مع أي شرطي أو رئيس شرطة في
العالم. سألتني الكولونيل ونحن نقرع جرس الباب: كيف هي هذه
المرأة؟ أيمكن الاعتماد على أقوالها أم لا؟

فكرت في ذلك ثم قلت محدراً: أظن أن بالإمكان تماماً
الاعتماد عليها، وذلك طالما أنها تتحدث عن شيء رأيته فعلاً. أما فيما
عدا ذلك، وعندما يصل الأمر إلى ما تظنه وتخمنه فتلك قضية أخرى
تماماً. إن لها عيلاً قوياً، وهي تظن الأسوأ في الجميع دون استثناء.

قال ميلتشيت ضاحكاً: هي - إذن - النموذج التقليدي للعجوز
العانس. حسناً، كان عليّ أن أعرف طبائع هذا النمط، حيث التسكع
اللاهي وحفلات شرب الشاي في هذه المنطقة.

- أيمكنك أن تحددتي لنا متى كان ذلك بالضبط؟

- أظنه كان بعد دقيقة أو دقيقتين من الساعة السادسة والرابع. نعم، هذا صحيح؛ فساعة الكنيسة كانت قد دقت لنوها معلنة السادسة والرابع.

- جيد جداً. ما الذي حدث بعد ذلك؟

- لقد قالت السيدة بروثيرو إنها آتية لرؤية زوجها في بيت الكاهن بحيث يعودا معاً إلى بيتهما. كانت قد آتت عبر الممشى، ثم دخلت بيت الكاهن من البوابة الخلفية ثم عبر الحديقة.

- آتت عبر الممشى؟

قالت الأنسة ماربل: "نعم، سأريث كيف"، ثم قادتنا -وهي شديدة اللهفة- إلى الحديقة، وأشارت إلى الممشى الذي يسير بمحاذاة حديقتهما من الخلف وشرحت قائلة: ذلك الطريق ذو الدَّرَج الصغير مقابلنا يفضي إلى منزل أولد هول. كان ذلك هو الطريق الذي سيسلكانه إلى بيتهما معاً، وقد آتت السيدة بروثيرو من القرية.

- تماماً، تماماً. وتقولين إنها عبرت إلى بيت الكاهن؟

- نعم، رأيتهما تعطف عند زاوية البيت. أظن أن الكولونيل لم يكن قد وصل بعد؛ لأنها عادت على الفور تقريباً، وعبرت المرحلة الحضرية إلى المرسم... ذلك المبنى الصغير هناك الذي سمح الكاهن للسيد ريدنغ باستخدامه مرسماً.

- فهمت. وأنت... ألم تسمعي صوت طلقة يا آنسة ماربل؟

- لم أسمع صوت طلقة وقتها.

- ولكنك سمعت طلقة في وقت ما؟

- نعم، أظن أن طلقة قد أطلقت في مكان ما في الغابة، ولكن ذلك لم يحدث إلا بعد خمس دقائق أو عشر... وهناك في الغابة كما أشرت. هذا على الأقل ما أراه، إذ لا يمكن أن تكون... لا يمكن بالتأكيد أن تكون الطلقة...

سكتت وقد شحبت لونها انفعالاً، فقال الكولونيل: نعم، نعم، سنأتي إلى كل ذلك بعد قليل. أكملني قصتك رجاء... ذهبت السيدة بروثيرو إلى المرسم؟

- نعم، دخلت إليه وانتظرت، وسرعان ما جاء السيد ريدنغ من القرية عبر الممشى. جاء إلى بوابة بيت الكاهن ونظر حوله ملياً...

- ورائك يا آنسة ماربل؟

احمر وجه الأنسة ماربل قليلاً وقالت: إنه -في الحقيقة- لم يرني؛ ففي تلك اللحظة بالذات كنت أنكب محاولة اقتلاع واحدة من تلك النباتات المؤذية القوية... وهي عملية صعبة تماماً. ثم دخل الشاب من البوابة ومشى إلى المرسم.

- ألم يقترب من البيت؟

- أوه، كلا! ذهب مباشرة إلى المرسم. وقد جاءت السيدة بروثيرو إلى الباب لاستقباله، ثم دخل الاثنان إلى الداخل.

- كانت ساعة الكنيسة قد دقت معلنة السادسة والنصف.
خرجنا من خلال بوابة الحديقة، ثم عبر الممشى، وفي تلك اللحظة
بالذات جاء الدكتور ستون من الطريق المفضي إلى منزل أولاد هول،
فصعد ذلك الدرج الصغير وانضم إليهما، ومشى الجميع باتجاه
القرية معاً. وفي نهاية الممشى انضمت إليهم الأنسة كرام.

- لا بد أن لك نظراً قوياً ثاقباً يا آنسة ماربل إن كنت تميزين
الأشخاص من هذا البعد.

- كنت أراقب عصفوراً. أحسبه كان عصفور الصُّغُو ذا العرف
الذهبي.. إنه طائر جميل جداً، وكنت قد أخرجت منظاري المكبر،
وهذا ما جعلني أرى بالصدفة الأنسة كرام تنضم إليهم (إن كانت
هي الأنسة كرام، وهو ما أظنه).

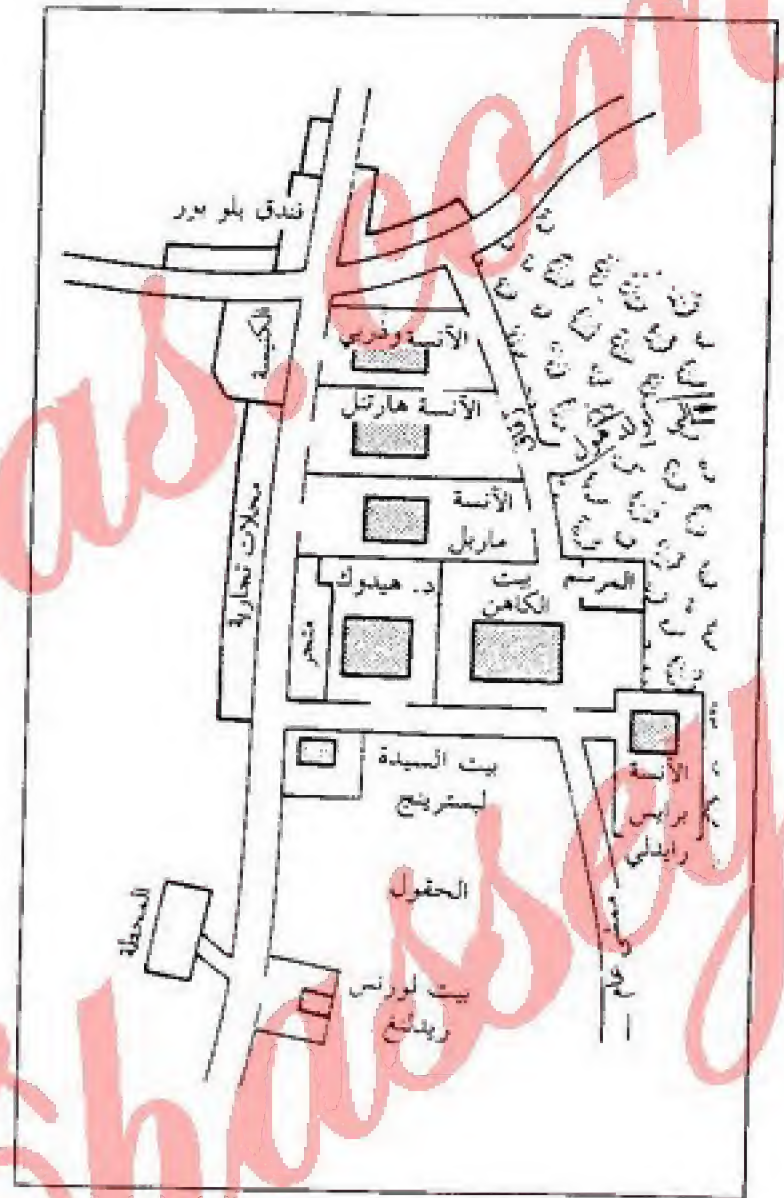
- آه! حسناً، ربما كان الأمر كذلك. والآن، طالما أنك بارعة
في الملاحظة إلى هذا الحد، فهل صدق ولاحظت يا آنسة ماربل ما
هو نوع التعبير الذي بدأ على السيدة بروثيرو والسيد ريدنغ وهما
يعبران في ذلك الممشى؟

- كانا يتسلمان ويتحدثان، وبدأ الاثنان في غاية السعادة
لوجودهما معاً إن كنت تعرف ما أعنيه.

- ألم يظهر عليهما أي انزعاج أو قلق من أي نوع؟

- أوه، كلا! على العكس تماماً.

قال الكولونيل: غريب جداً، أرى في هذه المشكلة أمراً بالغ
الغرابة.



وما لبثت الأنسة ماربل أن أذهلتنا إذ سألت بصوت هادئ:
أقول السيدة بروثيرو الآن إنها هي التي ارتكبت الجريمة؟

قال الكولونيل: يا إلهي، كيف حذرت ذلك يا آنسة ماربل؟

- لقد ظننت أن ذلك قد يحدث، وأظن أن العزيزة ليتيس قد
حسبت ذلك هي الأخرى. إنها حقاً فتاة شديدة الذكاء، وأخشى
أنها ليست دوماً شديدة الورع. إذن فإن آن بروثيرو تقول إنها قتلت
زوجها. حسناً، أنا لا أرى ذلك صحيحاً. كلا، بل أكاد أكون واثقة
بأنه غير صحيح. ليس مع امرأة مثل آن بروثيرو... رغم أن العسر لا
يستطيع الحزم تماماً بشأن أي إنسان، أليس كذلك؟ هذا على الأقل
ما وجدته في هذه الحياة. متى تقول إنها أطلقت عليه النار؟

- في السادسة والثلاث، بعد حديثها معك مباشرة.

هزت الأنسة ماربل رأسها ببطء وإشفاق. أما الإشفاق فكان
على هذين الرجلين الراشدين اللذين بلغت بهما الحماسة أن يصتفا
مثل هذه القصة. هذا على الأقل ما شعرنا به!

- بماذا أطلقت عليه النار؟

- بمسدس.

- وأين وجدت المسدس؟

- أحضرته معها.

قالت الأنسة ماربل بحزم مفاجئ: هذا شيء لم تفعله. يوسعي
أن أقسم على ذلك... لم يكن معها شيء من ذلك.

- ربما لم تراه أنت.

- كان من شأني أن أراه بالطبع.

- وإن كان في حقيقة يدها؟

- لم تكن تحمل حقيقة يده.

- ربما كان مخفياً... في جسمها.

ألقت عليه الأنسة ماربل نظرة أسف وازدراء وقالت: يا عزيزي
الكولونيل ميلتشيت، أنت تعرف شابات هذه الأيام. لا يستحيين من
إظهار ما ينبغي ستره من أجسامهن... إنها لم تكن ترتدي من
الملابس ما يسمح لها بإخفاء أي مسدس!

قال ميلتشيت بعناد: لا بد أن تعترفي بأن كل شيء يبدو
منسجماً صحيحاً. الوقت والساعة الواقعة التي تشير عقاربها إلى
السادسة واثنين وعشرين دقيقة...

التفتت الأنسة ماربل إليّ وقالت: أعني ذلك أنك لم تخبره
بعد بشأن تلك الساعة؟

- ما بها الساعة يا كليمنت؟

أخبرته. وقد أهدى الكثير من الانزعاج، وقال: لماذا - بالله
عليك - لم تخبر سلاك بذلك ليلة أمس؟

- لأنه لم يسمح لي بذلك.

- هراء، كان عليك أن تصر على إبلاغه.

- ربما كان المفتش سلاك يتصرف معك بطريقة مختلفة تماماً عن طريقة تصرفه معي. لم يترك لي أي مجال للإصرار.

- إنها مسألة غريبة كلها. لو تقدم شخص ثالث وادعى أنه هو الذي نفذ هذه الجريمة فسأذهب إلى مصحة عقلية.

تمتمت الآنسة ماربل قائلة: لو سمحت لي بالكلام...

- نعم، تفضلي.

- لو أنك أخبرت السيد ريدنغ بما فعلته السيدة بروثيرو، ثم شرحت له بأنك لا تصدق حقاً أنها هي الفاعل. ثم إذا ذهبت إلى السيدة بروثيرو وأخبرتها بأن السيد ريدنغ بريء ولا غبار عليه... عندها، عندها يمكن لكل منهما أن يذكر لك الحقيقة. والحقيقة مفيدة دوماً، رغم أنني أظن أن المسكينين لا يعلمان الكثير.

- حسناً، هذا كله ممتاز. ولكنهما الشخصان الوحيدان اللذان يتوفر لهما دافع لقتل بروثيرو.

قالت الآنسة ماربل: ما كنت أنا لأقول ذلك أيها الكولونيل!

- وهل نستطيعين التفكير بشخص ثالث؟

قالت الآنسة ماربل: "أوه! نعم، بالتأكيد"، ثم راحت تعدّ على أصابعها: واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة... نعم، وسابع محتمل أيضاً. بوسعي التفكير بسبعة أشخاص على الأقل ربما أسعدهم كثيراً تنحية الكولونيل بروثيرو عن الطريق.

نظر الكولونيل إليها ذاهلاً وقال: سبعة؟ في هذه القرية؟!

لومأت الآنسة ماربل برأسها بحماسة وقالت: تذكر أنني لا أسمى أسماء، إذ لن يكون ذلك مناسباً. ولكنني أخشى أن في هذا العالم الكثير من الشر، وإن جندياً شريعاً مشوق القوام مثلك يا كولونيل ميلتشيت لا يعرف عن وجود مثل هذه الأمور.

وقد حسبت أن رئيس الشرطة لن يلبث أن يصاب بسكتة دماغية أو بأزمة قلبية!

* * *

الدخول والخروج الوحيدة. وبعد أن افتتح الكولونيل ميلتشيت بما رآه، أعلن عن نيته زيارة بيتي مع المفتش وقال: إنني ذاهب إلى مركز الشرطة الآن.

عند دخولي البيت من الباب الرئيسي استرعت انتباهي همهمة أصوات، ففتحت باب غرفة الجلوس، ورأيت على الأريكة قرب غريزelda الأنسة كرام وقد جلست تتحدث بحيوية.

قالت غريزelda: أهلاً يا لين.

وتبعها الأنسة كرام قائلة: صباح الخير يا سيد كليمنت. أليس ذلك الخير عن الكولونيل فظيلاً؟ يا للرجل المسكين!

قالت زوجتي: جاءت الأنسة كرام لتساعدنا في منظفة كشافة الفتيات. لقد طلبنا يوم الأحد الماضي مَنْ يساعدنا إن كنت تذكر؟

كنت أذكر، وكنت مقتنعاً أيضاً - وكذلك غريزelda كما فهمت من لهجتها - بأن الأنسة كرام ما كانت لتقدم على تسجيل نفسها في مثل هذا النشاط أبداً لولا ذلك الحادث المثير الذي وقع في بيتنا.

مضت الأنسة كرام قائلة: كنت أقول الآن للسيدة كليمنت إنني ذهلت تماماً لسماع النبأ. قلت: ما هذا، جريمة قتل؟ وفي هذه القرية البسيطة الهادئة الصغيرة؟! لا شك أنكم توافقونني على أنها هادئة تماماً... فليس فيها حتى دار سينما، ولا حتى للأفلام الحديثة الناطقة! وبعد ذلك عندما سمعت أنه الكولونيل بروشيو لم أستطع ببساطة تصديق ذلك. لم يكن يبدو عليه - نوعاً ما - أنه ممن يُقتلون.

قالت غريزelda: وهكذا أنت الأنسة كرام لتعرف حقيقة الأمر.

الفصل العاشر

لدى مغادرتنا المنزل كانت ملاحظات الكولونيل عن الأنسة ماريل أبعد ما تكون عن الإطراء. قال: تلك العجوز العجفاء... تحسب أنها تعرف كل شيء، وهي التي لم تغادر - على الأغلب - هذه القرية طوال حياتها. يا لها من متبجحة دعيّة، ماذا عساها تعرف عن الحياة؟

قلت له بلطف إن الأنسة ماريل - رغم جهلها بالحياة في معانيها العامة الواسعة - تعرف عملياً كل ما يجري في سينت ميري ميد. واعترف ميلتشيت بذلك على مضض؛ فقد كانت الأنسة ماريل شاهدة مهمة جداً... وخصوصاً فيما يتعلق بموقف السيدة بروشيو. قال الكولونيل: لا أحسب أن فيما تقوله شكاً، أليس كذلك؟

- إن قالت الأنسة ماريل إن المرأة لم تكن تحمل مسدساً - فيمكنك التسليم بصحة أقوالها، ولو كان لمثل هذا الأمر أدنى احتمال لكانت الأنسة ماريل سبّاقة لاكتشافه.

- هذا صحيح. الأفضل أن نذهب ونلقي نظرة على المرسوم.

كان ما يُعرف بالمرسم مجرد سقيفة خربة ذات نافذة مثبتة في السقف. ولم تكن للسقيفة نوافذ غير تلك، وكان الباب هو وسيلة

خشيت أن يحرج هذا الكلام الصريح الأنسة كرام، ولكنها قذفت برأسها إلى الخلف وأطلقت ضحكة مدوية أظهرت فيها كل ما لديها من أسنان، ثم قالت: هذه صراحة مقرطة. أنت بالغة الذكاء يا سيدة كليمنت، أليس كذلك؟ ولكن من الطبيعي تماماً أن يرغب المرء بمعرفة تفاصيل قضية كهذه، كما أنني واثقة من استعدادي الثام للمساعدة في كشافة الفتيات كما ترغبون. الأمر مشير حقاً... كنت أعيش في ركود وتوق إلى شيء من المتعة. نعم، كنت كذلك بالفعل. رغم أن وظيفتي ليست سيئة أبداً، وذات أجر مجز، والدكتور ستون سيّد مهذب من جميع النواحي. ولكن الفتاة ترغب دوماً بشيء من الحياة في ساعات عملها. وباستثناءك أنت يا سيدة كليمنت من النساء يمكن التحدث إليهن في هذه القرية... إلا مجموعة من العجائز الثرثرات؟

قلت: ماذا عن لينيس بروثيرو؟

ألقت غلاديس كرام رأسها إلى الخلف وقالت: إنها أعلى مقاماً ومقدرة من أمثالي. تتخيل نفسها سليلة أرستقراطيات الريف، ولن تدني نفسها بالالتفات إلى فتاة تعمل لكسب عيشها. رغم أنني سمعتها فعلاً تتحدث عن عملها هي شخصياً لكسب عيشها. ولكن ما يحيرني حقاً هو منذ عشاء يوظفها؟ لا بد أنها ستطرد قبل مضي أسبوع، ما لم تذهب لتعمل واحدة من عارضات الأزياء أولئك، ممن يرتدين الملابس ويتخطرن بها. أظن أن بوسعها أن تفعل ذلك.

قالت غريزلدا: إنها تصلح عارضة أزياء ممتازة. (ليس لغريزلدا أي من صفات الكيد). تابعت تقول: متى كانت تتحدث عن كسبها لعيشها؟

بدت الأنسة كرام متململة قليلاً، ولكن سرعان ما استعادت سيطرتها على نفسها وقالت: سيكون في ذلك إفشاء لحديثها، أليس كذلك؟ ولكنها قالت ذلك فعلاً. أظن أن أمورها ليست سعيدة في المنزل. ما كنت لأعيش في بيت مع زوجة أب ولو لدقيقة واحدة.

قالت غريزلدا بحدية: آه! ولكنك ذات شخصية قوية مستقلة.

ونظرت أنا إلى غريزلدا بارتياح. بدت الأنسة كرام مسرورة تماماً وقالت: هذا صحيح... هكذا أنا بالضبط؛ أفاد ولا أجز. هذا ما أعبرتيه قارئة كف قبل مدة بسيطة. كلا، لست ممن يجلسون ويتقبلون تنمر الآخرين. وقد أوضحت للدكتور ستون منذ البداية بأنني لا بد أن أحصل على إجازاتي المنتظمة، فهؤلاء السادة العلماء يفلنون الفتاة آلة... وهم لا يلحظون وجودها معظم الوقت، ولا يكادون يتذكرونها. إنني -بالطبع- لا أعرف الكثير عن الموضوع.

- هل تحدين العمل متعباً مع الدكتور ستون؟ لا بد أنها وظيفة متعبة إن كنت مهتمة بعلم الآثار؟

- لا زلت أرى أن التنقيب عن أناس ميتين توفوا منذ مئات السنين ليس بالأمر... أعني أن فيه تطفلاً، أليس كذلك؟ كما أن الدكتور ستون غارق في هذا الأمر إلى الحد الذي ينسى معه نصف وجباته لولا وجودي أنا.

سألت غريزلدا: أهو في موقع القبر هذا الصباح؟

هزت الأنسة كرام رأسها بالنفي وقالت: إنه متوعلك قليلاً هذا الصباح ولا مزاج لديه للقيام بأي عمل، وهذا يعني إجازة لغلاديس.

قلت: إنني آسف لسماع ذلك.

- أوه! ليست وعكة خطيرة. اضمتن؛ لن تقع حالة وفاة ثانية.
ولكن أخبرني يا سيد كليمنت: سمعت أنك كنت مع الشرطة هذا الصباح. ما الذي يروونه؟

قلت بتأن: ما يزال لديهم شيء من... عدم اليقين.

صاحت الأنسة كرام: أه! إذن فهم لا يرون أن الفاعل هو لورنس ريدنغ في نهاية الأمر. شاب وسيم جداً، أليس كذلك؟ كأنه نجم سينمائي، وله ابتسامة فائقة عندما يقول لك: "صباح الخير". إنني حقاً لم أصدق أذني عندما سمعت أن الشرطة اعتقلوه. ومع ذلك، كنا دوماً نسمع أن شرطة الأرياف في منتهى الحمافة.

قلت لها: لا يمكن للمرء أن يلومهم في هذه الحالة بالذات؛ فالسيد ريدنغ هو الذي تقدم وسلم نفسه.

صاحت الفتاة وقد ألجمتها المفاجأة: ماذا؟ هو يفعل ذلك من بين كل الناس! لو أنني قتلت أحداً لما ذهبت وسلمت نفسي. كنت أظن أن لدى لورنس ريدنغ عقلاً أكبر من ذلك، أما أن يستسلم بهذا الشكل! لماذا قتل بروثيرو؟ هل قال شيئاً؟ أكانت مجرد مشاجرة؟

قلت لها: ليس من المؤكد قطعياً أنه هو الذي قتله.

- ولكن.. إن كان يقول إنه قام بذلك فلا شك أنه يعرف ما يقول يا سيد كليمنت.

- إنه يعرف بالتأكيد، ولكن الشرطة غير مقتنعين بروايته.

- ولكن لماذا يقول إنه ارتكبها إن لم يكن كذلك؟

كانت تلك نقطة لا أريد شرحها للآنسة كرام، ولذلك قلت بشيء من الغموض: أظن أن الشرطة يتسلمون -في كل جرائم القتل البارزة- رسائل عديدة من أناس يدَّعون أنهم ارتكبوا الجريمة.

لم يتعدَّ استقبال الآنسة كرام لهذه المعلومة قولها بنبرة عجب وازدراء: لا بد أنهم مجانين! ثم أضافت بعد أن تنهدت ونهضت: حسناً، أظن أن عليّ أن أذهب. سيكون اتهام السيد ريدنغ لنفسه بارتكاب الجريمة خيراً مثيراً للدكتور ستون.

سألتها غريزelda: أهو مهتم بالأمر؟

مسدت الآنسة كرام حاجبيها بشيء من الحيرة وقالت: إنه شخص غريب لا يستطيع المرء أن يحزم بشأنه... غارق تماماً في الماضي. إنه يفضل مئة مرة النظر إلى سكين برونزية أثرية قذرة من تلك الحفريات على النظر إلى السكين التي قطع بها كربين زوجته، إذا افترضنا أن فرصة كهذه سنحت له.

قلت: حسناً، عليّ أن أعترف أنني أتفق معه.

أظهرت عينا الآنسة كرام عيـد فـهم وقليلاً من الازدراء، ثم استأذنت بالانصراف وهي تكرر عبارات الوداع.

وعندما أغلق الباب خلفها قالت غريزelda: ليست حقاً من ذلك النوع السيء. إنها عادية في كل شيء بالطبع، ولكنها واحدة من أولئك الفتيات المضخّمات المرحات اللاتي لا يستطيع المرء أن يكرههن. إنني لأعجب من السبب الحقيقي لمحبتها إلى هنا؟

- الفضول.

- نعم، أظنه ذلك. والآن يا ليس، أخبرني عن كل شيء...
إنني أتحرق شوقاً للسماع.

جلستُ وأعدت على مسامعها كل محريات الصباح بصدق،
وهي تقاطعني بين الفينة والفينة بعبارة تعجب أو لفظة اهتمام،
وعندما أنهيت حديثي قالت: إذن فقد كانت آن هي من يسعى
لورنس خلفها منذ البداية، وليس ليثيس. لكن كتنا أغبياء! لا بد أن
ذلك هو ما كانت العجوز ماربل تلمح إليه يوم أمس. ألا ترى ذلك؟

قلت وأنا أضحك بنطري: نعم.

دخلت ماري وقالت: يوجد هنا رجلان... يقولان إنهما جاءا
من إحدى الصحف. هل تريد رؤيتهما؟

- كلا، كلا بالتأكيد. أحيليهما إلى المفتش سلاك.

أومأت ماري برأسها والتفت لتصرف فقلت لها: وعندما تتخلصين
منهما عودي إلي هنا؛ فأنا أريد سؤالك عن بعض الأمور.

أومأت برأسها ثانية وانصرفت، وبعد دقائق عادت لتقول: لم
يكن التخلص منهما سهلاً؛ لم أرَ مثلهما إلحاحاً في حياتي!

- توقعت أن يزعجانا. والآن يا ماري، ما أريد سؤالك عنه هو
الذاتي: أأنت متأكدة تماماً بأنك لم تسمعي صوت طليقة مساء أمس؟

- أتعني الطليقة التي قتلته؟ كلا، لم أسمعها بالطبع. ولو أنني
سمعتها لذهبت لأرى ماذا حدث.

كنت أتذكر قول الأنسة ماربل إنها سمعت طليقة "في الغابة"،
ولذلك غيرت طريقة سؤالتي وقلت: نعم، ولكن ألم تسمعي صوت
أبة طليقة أخرى... طليقة في الغابة مثلاً؟

- أوه! في الغابة.

سكنت الفتاة قليلاً ثم قالت: نعم، الآن وقد بدأت أفكر
بالأمر، أظنني سمعت فعلاً شيئاً كهذا. لم تكن طليقات كثيرة...
طليقة واحدة فقط، وكان لها دوي غريب.

- بالضبط، في أي وقت كان ذلك؟

- وقت؟

- نعم، وقت.

- لا أظنني أستطيع الحزم، ولكن أظنها كانت بعد وقت الشاي.

- ألا تستطيعين تقريب الأمر أكثر قليلاً من ذلك؟

- لا، لا أستطيع. إن لديّ أعمالاً يجب أن أؤديها باستمرار.
لا أستطيع إدامة النظر إلى الساعات طوال الوقت... وحتى ذلك لن
يكون مفيداً على أية حال؛ فالمشبه يقصر حوالي ثلاثة أرباع الساعة
يومياً، هذا بالإضافة إلى تصويب وضعه باستمرار، ومتابعة شؤون
المنزل الأخرى، ولذلك لا أكون واثقة تماماً من الوقت أبداً.

ربما كان من شأن ذلك أن يفسر عدم تقديم وجباتنا أبداً في
مواعيد ثابتة؛ فهي تُقدّم أحياناً متأخرة كثيراً، وأحياناً تُقدّم في وقت
مبكر جداً.

- أكان ذلك قبل وقت طويل من مجيء السيد ريدنغ؟

- لا، لم يكن ذلك قبل وقت طويل... عشر دقائق أو ربع ساعة لا أكثر.

أومات برأسي راضياً، فقالت ماري: أهذا كل ما تريده مني؟ لقد تركت كتف الخروف في الفرن، والفطيرة نضجت على الأرجح.

- لا بأس، يمكنك الذهاب.

غادرت الغرفة، فالتفت إلى غريزelda وقلت: من غير المجدي أبداً محاولة حمل ماري على قول "سيدي" أو "سيدتي".

- لطالما أوصيتها، ولكنها تنسى. إنها فتاة غرة لا غير!

- أدرك ذلك تماماً، ولكن الأغرار لا يبقون أغراراً بالضرورة طوال حياتهم. أظن أن شيئاً من فن الطبخ يمكن تعليمه لماري.

- أنا لا أتفق معك. أنت تعلم جيداً أننا لا نستطيع نحمل أجور خادم، وإذا ما أعدناها وطورناها فإنها ستتركنا في أقرب وقت. وهو أمر طبيعي، إذ أنها ستحصل على أجور أعلى. ولكن طالما أنها لا تحسن الطبخ، وتتمتع بتلك السلوكيات الفظيعة... فنحن في أمان، لأن أحداً غيرنا لن يفكر في أخذها.

أدركت أن وسائل زوجتي في التدبير المنزلي لم تكن عشوائية كلياً كما كنت أتخيل؛ إذ يحكمها قدر معين من المنطق. أما إن كان الأمر يستحق توظيف خادمة بمثل أجرها لا تتقن الطبخ وتتقن رمي المرء بالأطباق والملاحظات بنفس اللامبالاة المزعجة، فذلك مسألة فيها نظر.

مضت غريزelda قائلة: وعلى كل حال، فعليك أن تلتبس العذر لها إن كانت أخلاقها الآن بالذات أسوأ من المعتاد، فليس بوسعك أن تتوقع منها تعاطفاً إزاء موت الكولونيل بروثيرو وقد سجن صاحبها الشاب.

- أوسجن صاحبها؟

- نعم، بسبب سرقة الطيور. ذلك المدعو آرثر... إن ماري تخرج معه منذ سنتين.

- لم أكن أعرف ذلك.

- يا حبيبي لين، أنت لا تعرف شيئاً أبداً.

- من الغريب أن يقول الجميع إن الطلقة جاءت من الغابة.

- لا أظن ذلك غريباً أبداً. إن المرء غالباً ما يسمع أصوات الطلقات من الغابة، ولذلك فإن من الطبيعي أن يفترض المرء -عندما يسمع طلقة- أنها جاءت من الغابة. ربما بدت الطلقة أعلى قليلاً من المعتاد فقط. ولو أن المرء كان في الغرفة المجاورة لكان أدرك طبعاً أن الطلقة في المنزل، ولكن من المطبخ حيث تعمل ماري، بنافذته المطلّة على الجانب الآخر من البيت، فلا أظن أن مثل ذلك الأمر يمكن أن يخطر على بال المرء أبداً.

فُتح الباب مرة أخرى. ودخلت ماري قائلة: لقد عاد الكولونيل ميلنشيت ومعه ذلك المفتش، ويقولان إنهما سيسعدان بانضمامك إليهما، وهما في المكبة.

* * *

- أكان بوسعه - فيما ترى - أن يطلق عليه النار في وقت ألكر؟
في السادسة والنصف مثلاً؟

- لم يكن بوسعه القيام بذلك.

- هل راجعت كل تحركاته؟

هر المفتش رأسه بالإيجاب وقال: كان في القرية قرب فندق بلو بور في السادسة وعشر دقائق، ومن هناك جاء عبر ذلك الممشى الذي قلت العجوز إنها رأته يأتي منه (وهي عجوز لا تغفل عن شيء) ثم جاء إلى مواعده مع السيدة برونيرو في المرسوم في الحديقة. وقد غادر الاثنان المرسوم معاً بعد السادسة والنصف تماماً، وذهبا عبر الممشى إلى القرية بعد أن انضم إليهما الدكتور ستون. وقد أكد الدكتور ستون ذلك ... فقد رأيته. وقد وقفوا جميعاً هناك يتحدثون قرب مركز البريد تماماً ليضع دقائق، ثم ذهبت السيدة برونيرو إلى بيت الأنسة هارتنيل لاستعارة مجلة تعنى بشؤون الحدائق. وهذا كله صحيح أيضاً، فقد شاهدت الأنسة هارتنيل بشأنه. وقد بقيت السيدة برونيرو هناك تتحدث معها حتى الساعة السابعة عندما هتفت متعجبة من تأخر الوقت وقالت إن عليها أن تعود إلى المنزل.

- كيف كان تصرفها؟

- تقول الأنسة هارتنيل إنها كانت في غاية الارتياح والبهجة. وبدت في معنويات عالية... والأنسة هارتنيل واثقة تماماً من أن شيئاً لم يكن يقلق عقل السيدة برونيرو.

- حسناً، استمر.

الفصل الحادي عشر

أدركت من النظرة الأولى أن الكولونيل ميلتشيت والمفتش سلاك لم يكونا متفقين في نظرتهما إلى القضية؛ فقد بدا ميلتشيت محمراً الوجه منزعجاً، وبدا المفتش عابساً مكفهاً. قال الكولونيل: يوسفني القول إن المفتش سلاك لا يتفق معي في اعتباري الشاب ريدنج بريئاً.

سأل سلاك بارتياح: لماذا يتقدم للاعتراف بالجريمة إن لم يكن قد ارتكبها فعلاً؟

- تذكر يا سلاك أن السيدة برونيرو تصرفت بالأسلوب ذاته!

- ذلك أمر مختلف. فهي امرأة، والنساء يتصرفن بمثل تلك الطريقة السخيفة. لا أظنها ارتكبت الجريمة أبداً، ولكنها سمعت بتوجيه أصعب الاتهام له فقامت باختراع قصة ما. لقد اعتدت على مثل هذه الألعاب. ما كنت لتصدق مقدار سخافة الأشياء التي رأيت النساء يلجأن إليها أحياناً. ولكن ريدنج يختلف؛ فهو ذو عقل وذكاء، وإذا ما اعترف بارتكابه للجريمة فهذا يعني أنه ارتكبها فعلاً. وفوق ذلك فالمسدس مسدسه... لا يمكنك تجاهل ذلك! وبفضل ذلك التصرف من السيدة برونيرو فإننا نعرف الدافع الآن. كان الدافع نقطة ضعفنا سابقاً، ولكننا نعرفه الآن. الأمر كله غدا في غاية الوضوح.

- أما ريدنغ فقد ذهب هو والدكتور ستون إلى فندق بلو يور وتناولوا شرباً معاً. وغادر ريدنغ الفندق في الساعة إلا ثلثاً، ومضى مسرعاً عبر شارع القرية، ثم في الطريق المؤدي إلى بيت الكاهن... وقد رآه الكثير من الناس.

علق الكولونيل قائلاً: ولكن ليس عبر الممشى الخلفي هذه المرة، أليس كذلك؟

- كلا، جاء إلى مقدمة المنزل وسأل عن الكاهن، وسمع أن الكولونيل برونيرو كان هناك، فدخل وأطلق عليه النار كما وصف ذلك تماماً! هذه هي حقيقة الوضع ولا حاجة بنا لمزيد من التفصي.

هز ميلنثيت رأسه بالنفي وقال: ولكن تبقى شهادة الطبيب. ليس بوسعك تجاوز تلك الشهادة، فهو يؤكد أن قتل برونيرو لم يكن بعد السادسة والنصف بأية حال.

أظهر المفتش سلاك ازدراءً وهو يقول: هه! الأطباء! لا تلقِ بالأمر لما يقوله الأطباء؛ فهم يوصونك هذه الأيام بخلع كل أسنانك، ثم يعربون لك عن بالغ أسفهم إذ يبين لاحقاً أنك كنت تعاني طوال الوقت من التهاب الزائدة الدودية!

- هذه ليست مسألة تشخيص. كان الدكتور هيدوك جازماً تماماً في هذه النقطة، فلا يمكنك يا سلاك أن تعارض الدليل الطبي.

قلتُ وقد تذكرت فجأة: ودليلي أيضاً كائن ما كانت قيمته. فقد لمست الحبة وكانت باردة، ويمكنني أن أقسم على ذلك.

قال ميلنثيت: رأييت يا سلاك؟

قال سلاك: حسناً، هذا طبيعي إن كان الأمر كذلك. ولكنها كانت قضية رائعة متكاملة، وبدا السيد ريدنغ شديد الحرص على أن يُشقق إذا جاز التعبير.

علق الكولونيل قائلاً: ذلك بحد ذاته هو ما بدا لي غير طبيعي نوعاً ما.

قال سلاك: ليس للأذواق ناظم ينظمها أو وسيلة للتنيل بتقلباتها. كثير من الرجال أصابهم مس في عقولهم بعد الحرب. أحسب أن ما يعنيه الموقف الآن هو أن علينا أن نبدأ من الصفر ثانية. ثم التفت إليّ وقال: لا أعرف يا سيدي لماذا حاولت جاهدًا تضليلي بشأن الساعة... كان ذلك إعاقة لمجرى العدالة.

قلت له: لقد حاولت إبلاغك بالأمر ثلاث مرات مختلفة، وفي كل مرة كنت تخرسني وترفض الإصغاء.

- إن ذلك لا يعدو أن يكون طريقة لي في الكلام، ولو كنت عازماً على إخباري لاستطعت ذلك دون شك. لقد بدا أن أمر الساعة وأمر الرسالة منسجمان تماماً مع بعضهما البعض. وها أنت تقول الآن إن الساعة كانت غير ما هي عليه تماماً. لم أصادف أبداً قضية كهذه، فما الغرض من إبقاء الساعة مُسبَّقة ربع ساعة عن وقتها الفعلي؟

قلت: يُفترض أن يُقَي ذلك على دقة المواعيد.

قال الكولونيل ميلنثيت بلباقة: لا أظننا بحاجة للحوض في هذا الأمر أكثر من ذلك. ما نريده الآن هو القصة الحقيقية من السيدة برونيرو والسيد ريدنغ كليهما. لقد اتصلت بالدكتور هيدوك

وطلبت منه إحضار السيدة بروثيرو معه إلى هنا. سيكونان هنا في غضون ربع ساعة، وأظن أن من الأفضل أيضاً أن نحضر ريدنغ أولاً.

قال المفتش سلاك وهو يرفع سماعة الهاتف: سأتصل بالمركز.

وبعدما أحرى المكالمات أعاد السماعة وقال: حسناً، سنشرع الآن بالعمل في هذه الغرفة. ثم نظر إليّ نظرة ذات مغزى فقلت: ربما كنتما تريدان مني الخروج.

فتح المفتش الباب لي مباشرة، فيما نادى الكولونيل ميلتشيت وأنا أخرج: هل لك أن تعود عندما يصل الشاب ريدنغ أيها الكاهن؟ أنت صديقه، وربما كان لك من التأثير عليه ما يقنعه بقول الحقيقة.

وجدت زوجتي والآنسة ماريل تتناجيان، وعندما دخلتُ قالت زوجتي: كنا نناقش مختلف الاحتمالات. أرجو أن تحلّي هذه القضية يا آنسة ماريل، كما فعلتِ عندما اعتقت سلة الآنسة وذريسي من سمك الروبيان، وكان كل ذلك لأن السلة ذكّرتك بشيء مختلف تماماً أشبه بكيس من الفحم.

قالت الآنسة ماريل: أنت تضحكين يا عزيزتي، ولكن هذه طريقة سليمة تماماً في الوصول إلى الحقيقة. إنها في الواقع ما يسميه الناس جدساً ويختلفون فيه كل هذا الاختلاف. إن الحديث أشبه بقراءة كلمة دون الاضطرار إلى تهجئتها بصوت عالٍ. لا يمكن للطفل أن يقوم بذلك لأن عبرته قليلة جداً، أما الكبير فإنه يعرف الكلمة لأنه رآها مراراً من قبل. هل أدركتَ ما أعنيه أيها الكاهن.

قلت متمهلاً: نعم، أظنني أدركته. إنك تعين أن شيئين يذكرك

أحدهما بالآخر يرجح أن يكونا من نفس المعدن أو النوع.

- بالضبط.

- وبماذا يذكرك مقتل الكولونيل بروثيرو بالضبط؟

تهتدت الآنسة ماريل وقالت: هنا ممكن الصعوبة؛ إذ تأتي لذهن المرء الكثير من القصص المشابهة. مثلاً الميجور هارغريفز، الذي كان رجلاً من رجالات الكنيسة يحظى بكل احترام. ومع ذلك فقد كان يحتفظ طوال الوقت بحياة أخرى منفصلة... أسرة سابقة له، تحيّل! وكان له خمسة أطفال... خمسة أطفال فعلاً... كانت تلك صدمة عتيقة لامرأته وابنته.

حاولتُ جاهدًا تحيّل الكولونيل بروثيرو بدور "المخطئ السري" ولكني فشلت.

مضت الآنسة ماريل تقول: وتوجد أيضاً قصة مصبغة الملابس تلك، وذلك الديوس المرصع بحجر كريم، حين أهملت الآنسة هارتييل وأرسلته مع قميصها إلى المصبغة. فالمرأة التي أخذته لم تكن تريده، كما أنها لم تكن سارقة بأي شكل، بل اكتفت بإخفائه في بيت امرأة أخرى وإبلاغ الشرطة بأنها شاهدت تلك المرأة تأخذه. إنه الكيد، مجرد الكيد... والكيد دافع مذهش جداً. كان في القضية رجل بالطبع، دوماً يوجد رجل!

فشلت هذه المرة في إيجاد أي مثلٍ مواز مهما كان بعيداً. ومضت الآنسة ماريل في أمثلتها: وقصة ابنة المسكين إيلويل، تلك الفتاة الجميلة بالغة الرقة التي حاولت خنق أخيها الصغير... وقصة

أموال رحلة منشدي الكنيسة (وذلك قبل عهدك أيها الكاهن) حيث
وجد أن عازف الأورغن هو الذي أخذها، وكانت زوجته غارقة في
الديون. نعم، إن هذه القضية تجعل تفكير المرء يجول في العديد من
الأمور... العديد جداً. من الصعب جداً الوصول إلى الحقيقة.

قلت لها: أرجو أن تخبريني من هم السبعة المشتبه بهم.

- المشتبه بهم؟

- لقد قلت إن بوسلك التفكير بسبعة أشخاص من شأنهم
أن... أن يفرحوا بموت الكولونيل بروثيرو.

- أوقد قلت ذلك حقاً؟ نعم، أتذكر قولك ذلك.

- أكان ذلك صحيحاً؟

- أوه! كان صحيحاً بالطبع. ولكن لا ينبغي لي ذكر أسماء.
أنا واثقة أن بوسلك أن تخمنهم بنفسك بكل سهولة إن أردت.

- أنا في الواقع لا أستطيع ذلك. أظن أنك تفكرين بليثيس
بروثيرو، طالما أنها ستحصل غالباً على أموال بوفاة أبيها. ولكن من
السخف التفكير في إمكانية ارتكابها مثل هذا الأمر. وفيما عداها لا
أستطيع التفكير بأحد آخر.

قالت الأنسة ماربل وهي تلتفت إلى غريزلدا: وأنت يا عزيزتي؟

ولدهشتي احمرّ وجه غريزلدا وظهر في عينيها شيء أشبه بالدموع.
شدت قبضتيها الإنتين كليهما وصاحت بسخط: أوه! الناس كريبون...
كريبون. يا للأشياء التي يقولونها! الأشياء القاسية التي يقولونها...

نظرت إليها باستغراب، فهذا الانزعاج البالغ لم يكن أبداً مما
يمكن أن يصدر عن غريزلدا. لاحظتُ نظرتي إليها وحاولت الابتسام
قائلة: لا تنظر إليّ كما لو كنتُ من فصيلة غريبة لا تفهمها يا لين.
دعنا لا نفعل أو نتعد عن موضوعنا. لا أعتقد أن الفاعل كان لورنس
أو أن، كما أن لينييس مستبعدة تماماً. لا بد من وجود طرفٍ خيطٍ
أو دليلٍ ما يساعدنا.

قالت الأنسة ماربل: فكروا بالرسالة. لعلكم تذكرون قولك هذا
الصباح إن أمر الرسالة قد أثار انتباهي باعتباره مسألة غريبة جداً؟

قلت: يبدو أنها تحدد وقت الوفاة بدقة كبيرة. ومع ذلك،
أترين ذلك ممكناً؟ لقد كان من شأن السيدة بروثيرو أن تكون -في
هذه الحال- قد غادرت المكب لتوها. ما كانت لتملك من الوقت
ما تصل به إلى المرسى. التفسير الوحيد الذي أحده لهذا الأمر هو أن
السيد بروثيرو قد اعتمد على ساعته، وأن ساعته كانت متأخرة.
يبدو لي ذلك حلاً معقولاً.

قالت غريزلدا: لذي فكرة أخرى. افترض يا لين بأن ساعة
الحدار قد تم العبث بها فعلاً... كلا، هذا ينتهي بنا إلى نفس
الوضع... ما أغباني!

- لم تكن الساعة قد أبدلت عندما غادرتُ المكب. أتذكر أنني
قارنتها مع ساعتك، ومع ذلك فليس للأمر - كما قلت - أي علاقة
بالوضع الحالي.

سألت غريزلدا: ما رأيك يا آنسة ماربل؟

أجابت الأنسة ماربل قائلة: يا عزيزتي، أعترف بأنني لم أكن

أفكر بالأمر من هذه الزاوية أبداً. إن ما لفت انتباهي منذ البداية كأمر بالغ الغرابة هو موضوع تلك الرسالة.

قلت: لا أرى ذلك، فكل ما في الأمر أن الكولونيل بروثيرو كتب يقول إنه لم يعد يستطيع الانتظار.

قالت الأنسة ماربل: عند الساعة السادسة والثلاث؟ لقد أخرته عادماتكم بأنك غالباً لن تعود قبل السادسة والنصف في أحسن الأحوال، وبدا أنه مستعد تماماً للانتظار حتى ذلك الوقت. ومع ذلك يجلس في السادسة والثلاث ليقول إنه "لا يستطيع الانتظار بعد"!

حدثتُ بالمرأة العجوز وأنا أشعر باحترام متزايد لقواها العقلية؛ فقد أدرك ذهنها المتوقع ما فشلنا في إدراكه. كان ذلك شيئاً غريباً... غريباً جداً.

قلت: لو أن الرسالة لم تورخ فقط...

أومأت الأنسة ماربل برأسها وقالت: بالضبط، لو أنها فقط لم تورخ.

عدت بتفكيري إلى الوراء، محاولاً تذكر تلك الصفحة من ورق دفتر الملاحظات بما فيها من كتابة بخط ضخيم كتب على عجل، وفي أعلاها ذلك الرقم الذي كتب بشكل مرتب دقيق: ٦,٢٠. من المؤكد أن ذلك الرقم كان مختلفاً عن بقية الرسالة.

شهقت وقلت: ماذا لو لم تكن الرسالة مؤرخة؟ لنفترض أن الكولونيل بروثيرو بدأ في حوالي السادسة والنصف يفقد صبره وجلس ليكتب أنه لن يستطيع الانتظار لأكثر من ذلك، وبينما كان

يجلس هناك ويكتب دخل شخص من الباب الزجاجي...

قاطعتني غريزelda قائلة: أو من الباب العادي للمكتب.

- ولكنه كان سيسمع صوت الباب ويلتفت.

قالت الأنسة ماربل: لقد كان الكولونيل بروثيرو شبه أصم كما تذكر.

قلت: نعم، هذا صحيح.. ما كان لسمع شيئاً. ولكن كائناً ما كان مدخل القائل، فإنه تسلل خلفه وأطلق عليه النار، ثم وضع رقم ٦,٢٠ في أعلى الرسالة وبدل الساعة إلى ٦,٢٢. كانت تلك فكرة ذكية؛ فمن شأنها أن تعطيه دليل غياب ممتازاً عن مكان الجريمة، أو أن هذا ما سيفكر فيه.

قالت غريزelda: وبذلك يكون ما نبحث عنه الآن شخصاً يملك دليل غياب لا يرقى إليه الشك عن مكان الجريمة في الساعة السادسة والثلاث، ولكن لا يوجد مثل هذا الدليل القوي بالنسبة ل... ليس ذلك بالأمر السهل. من الصعب جداً تحديد الوقت.

قلت: يمكننا حصره ضمن فترة محدودة جداً. إن الدكتور هيدوك يقول إن الجريمة ارتكبت قبل السادسة والنصف بالتأكيد. وأحسب أن بوسع المرء -بالاعتماد على ما كنا تناقشه من فرضية- أن يرفع هذا السقف إلى السادسة وخميس وثلاثين دقيقة، إذ يبدو واضحاً أن بروثيرو ما كان ليفقد صبره قبل السادسة والنصف. أظن أن بوسعنا القول إننا نعرف الكثير الآن.

قالت الأنسة ماربل: إذن فذلك الطلقة التي سمعتها... نعم،

أظن ذلك ممكناً تماماً. وأنا التي لم أفكر فيها.. لم أفكر فيها أبداً.
أمر مزعج تماماً! ومع ذلك يبدو لي الآن وأنا أحاول التذكر أنها
كانت مختلفة بعض الشيء عن الطلقات التي يسمعها المرء. نعم،
كان فيها اختلاف.

- أكانت أعلى صوتاً ؟

قالت الأنسة ماربل إن الطلقة لم تكن أعلى صوتاً، بل إنها
وجدت صعوبة في تحديد وجه الاختلاف، ولكنها أصرت -مع
ذلك- على وجود اختلاف ما. وفكرت أنها ربما كانت تفتح نفسها
بالأمر أكثر مما كانت تذكره بالفعل، ولكنها كانت قد أسهمت
لثوبها في طرح منظور جديد بالغ القيمة في تناول القضية بحيث
شعرتُ بعظيم الاحترام لها.

نهضتُ وهي تتمتم قائلة إن عليها أن تذهب، وإنه كان من الممتع
كثيراً بالنسبة لها استعراض القضية ومناقشتها مع العزيزة غريزلدا. رافقتها
حتى الحدار الفاصل بين بيتينا والبوابة الخافية ثم عدت لأحد غريزلدا
غارقة في التفكير، فقلت لها: أما زلت تفكرين بتلك الرسالة؟

- كلا.

ارتعدتُ قليلاً وقد ضممتُ كتفيها بنفاد صبر وقالت: لين، لقد
كنت أفكر... إلى أي مدى فقطع كان أحدهم يكره أن يروثيروا!

- يكرهها؟

- نعم.. ألا ترى؟ ليس من دليل حقيقي ضد لورنس... كل
الدلائل القائمة ضده لا تعدو أن تكون ظرفية إذا صح التعبير. فقد

صدف أن عطر له القدوم إلى هذا المكان، ولو لم يأت لما عطر
لأحد أن يربط بينه وبين الجريمة. ولكن وضع أن مختلف... لنفترض
أن أحدهم عرف أنها كانت هنا في تمام السادسة والثلاث...
فالساعة والوقت المكتوب على الرسالة... كل شيء يشير إليها. لا
أظن أن الدافع من ضبط الساعة على ذلك الوقت بعينه كان مجرد
الحصول على دليل غياب عن مكان الجريمة... أظن أن في الأمر ما
هو أبعد من ذلك... إن فيه محاولة مباشرة لإلصاق التهمة بها.
ولولا شهادة الأنسة ماربل بأن السيدة بروثيرو لم تكن تحمل
مسدساً، وملاحظتها بأنها لم تمكث في البيت سوى دقيقة قبل أن
تذهب إلى المرسوم... نعم، لولا شهادتها تلك...

ارتعدتُ ثانية وقالت: لين، إنني أشعر أن أحدهم كان يكره أن
بروثيرو كرهاً شديداً. وأنا... وأنا غير مرتاحة للأمر.

* * *

أيضاً قصتها، كما أننا لم نصدق قصتك. إن الدكتور هيدوك يحزم بأنه ليس من الممكن أن تكون الجريمة قد ارتكبت في الوقت الذي تقول أنت إنك ارتكبتها.

- الدكتور هيدوك يقول ذلك؟

- نعم، وهكذا ترى أنك بريء سواء أعجبك ذلك أم لم يعجبك. والآن نريد منك مساعدتنا وإخبارنا بما حدث بالضبط.

بقي لورنس متردداً ثم قال: أتراكم تخذعونني... بشأن السيدة بروثيرو؟ ألا تشكّون فيها حقاً؟

قال ميلتشيت: أقسم لك بشرفي.

سحب لورنس نفساً عميقاً ثم قال: لقد كنت مغفلاً... مغفلاً تماماً. كيف استطعت للحظة أن أفكر بأنها هي التي فعلتها؟!!

- لماذا لا تخبرنا كل شيء عن الأمر؟

- لا كثير يقال. لقد... لقد قابلت السيدة بروثيرو عصر ذلك اليوم...

توقف فياديه ميلتشيت قائلاً: إننا نعرف كل شيء عن هذا الأمر. ربما حسبت أن مشاعرك تجاه السيدة بروثيرو ومشاعرها تجاهك كانت سرّاً عميقاً، ولكنه كان في الحقيقة أمراً معروفاً ومثار تعليقات عدة. وعلى أية حال فلا بد من ظهور كل شيء الآن.

- حسناً إذن، أراك محقاً في ذلك. كنت قد وعدت الكاهن (واسترق نظرة إلي) أن أغادر البلدة فوراً. قابلت السيدة بروثيرو في

الفصل الثاني عشر

استدعيتُ إلى غرفة المكتب عندما وصل لورنس ريدنغ. بدا منهكاً مضطرباً، بل ومرتاباً كما شعرت. حياه الكولونيل ميلتشيت بما كاد يكون وداً وقال: نريد توجيه بعض الأسئلة إليك... هنا في موقع الحدث.

كشر لورنس قليلاً وقال: أليست تلك فكرة فرنسية... إعادة بناء الجريمة؟

قال الكولونيل: يا فتاي العزيز، لا تعتمد إلى هذه اللهجة معنا. أتعلم أن شخصاً آخر اعترف بارتكاب الجريمة التي تدعي ارتكابها؟ كان تأثير هذه الكلمات على لورنس مؤلماً وفورياً، فقد تلثم قائلاً: شش... شخصاً آخر؟ مَنْ... مَنْ؟

قال الكولونيل وهو يراقبه: السيدة بروثيرو.

- مستحيل! لم تفعلها أبداً... ليس ذلك ممكناً، مستحيل.

قاطعه الكولونيل ميلتشيت قائلاً: الغريب أننا لم نصدق نحن

تلك الأمسية في المرسوم في الساعة السادسة والرابع... أخبرتها بما اعترفت فعله، ووافقتني هي على أنه التصرف الأفضل. ثم... ثم ودعنا بعضنا بعضاً. خرجنا من المرسوم وسرعان ما انضم إلينا الدكتور ستون. استطاعت أن التصرف بشكل طبيعي بغير الإعجاب، أما أنا فلم أستطع ذلك. ذهبتُ والدكتور ستون إلى فندق بلو بور حيث تناولت القهوة، ثم فكرت أن من الأفضل أن أذهب إلى البيت، ولكن عندما وصلت إلى هذا الطريق غيرت رأبي وقررت المحييء لرؤية الكاهن. شعرت أنني بحاجة للتحدث مع أحد في الأمر، وعند الباب أخبرني الخادمة بأنه في الخارج وسيعود بعد قليل وأن الكولونيل برونيرو موجود في المكتب ينتظره. حسناً، لم أرغب بالعودة ثانية من حيث أتيت... بدا لي ذلك تصرفاً يوحى وكأنني أنفادى لقاءه، ولذلك قلت إنني سأنتظر أنا أيضاً، وذهبت إلى المكتب.

سكنت قليلاً فحثة الكولونيل قائلاً: حسناً؟

- كان برونيرو جالساً إلى طاولة الكتابة، كما وجدته تماماً. ذهبت إليه... لمسته، فوجدته ميتاً. ثم نظرت إلى الأرض فوجدت المسدس مرمياً بجانبه. رفعته... وأدركت فوراً أنه كان مسدسي، وقد أزعجني ذلك: مسدسي أنا! وبعدها قفزت مباشرة إلى استنتاج واحد، وهو أن أن قد أخذت دون ريب مسدسي في مناسبة ما... ربما بقصد استعماله ضد نفسها إذا فقدت القدرة على التحمل، وربما كان معها اليوم. وبعد أن افترقنا في القرية لا بد أنها عادت إلى هنا و... أوه! أظنني كنت محنواً إذ فكرت بمثل هذا الأمر، ولكن هذا ما فكرت فيه. دسست المسدس في جيبي وخرجت. وخارج بوابة البيت تماماً التقيت بالكاهن، وقال لي شيئاً لطيفاً وطبيعياً حول رؤية

برونيرو. وفجأة انتهت رغبة جامحة بالضحك. كان أسلوبه شديد الطبيعية والاعتيادية، فيما أنا واقف هناك في غاية التوتر. وأتذكر أنني صحت بكلامٍ خفيفٍ ما ورأيت وجهه يتغير. أظنني كنت قد شارفت على الجنون. وقد رحت أمشي وأمشي... وفي النهاية لم أعد أستطيع التحمل، فلئن كانت آن قد فعلت هذا الأمر الكريه فإني مسؤول أخلاقياً على الأقل. وهكذا ذهبت وسلمت نفسي.

ساد الصمت عندما انتهى، ثم قال الكولونيل بلهجة عملية: أود فقط أن أسأل سؤالاً أو اثنين. أولاً: هل لمست الحنطة أو حركتها بأي شكل؟

- لا، لم ألمسها أبداً. كان يوسع المرء أن يرى أنه ميت دون أن يلمسه.

- هل انتهيت لوجود ملاحظة مكتوبة فوق دفتر الملاحظات بحيث يكاد نصفها يختفي تحت الحنطة؟

- لا.

- هل عشت بالساعة بأي شكل من الأشكال؟

- لم ألمس الساعة أبداً. أظن أنني أتذكر وجود ساعة جدارية مقلوبة على الطاولة، ولكنني لم ألمسها.

- حسناً، بالنسبة لمسدسك ذاك، متى رأيته آخر مرة؟

فكر لورنس قليلاً ثم قال: من الصعب تحديد ذلك بدقة.

- أين تحتفظ به؟

- ضمن مجموعة من الأغراض المتنوعة في غرفة الجلوس في بيتي، على أحد رفوف خزانة الكتب.

- وقد تركته ملفى هناك دون اهتمام؟

- نعم، لم أفكر فيه في الواقع... كان مكانه دوماً هناك.

- بحيث يمكن لكل من يأتي إلى منزلك أن يراه، أليس كذلك؟

- نعم.

- وأنت لا تتذكر آخر مرة رأيته فيها؟

قطب لورنس حاجبيه في محاولة للتذكر ثم قال: أكاد أكون واثقاً أنه كان هناك أول أمس؛ أتذكر أنني أزحته جانباً لأخذ غليوناً قديماً. أظن ذلك كان يوم أمس الأول... أو اليوم الذي سبقه.

- من زار بيتك مؤخراً؟

- أوه! أناس بالحيلة... دوماً ترى أناساً يدخلون ويخرجون.

- هل تقفل بيتك عندما تخرج؟

- لا، ولماذا عساي أقفله؟ ليس عندي ما يسرق، كما أن أحداً لا يقفل بابه في هذه القرية.

- من الذي يرعى لك شؤون المنزل؟

- تأتي سيدة تدعى السيدة آرثرش كل صباح لهذا الغرض.

- أنظفها تتذكر متى كان المسدس في مكانه آخر مرة؟

- لا أدري، ربما تذكرت. ولكنني لا أحسب أن من مميزات السيدة آرثرش التنظيف الكامل لكل الزوايا.

- هذا يعني - إذن - أن أي امرئ ربما كان قد أخذ المسدس؟

- يبدو الأمر كذلك... نعم.

فُتح الباب ودخل الدكتور هيدوك مع آن بروثيرو. حفلت المرأة لرؤية لورنس، أما هو فقد قام بخطوة مترددة باتجاهها وقال: سامحيني يا آن، فقد كان فظيلاً أن أفكر فيك على ذلك النحو.

- إن... إنني...

تلعثمت بالكلام، ثم نظرت بتوسل إلى الكولونيل ميلتشيت وقالت: أضحج ما قاله لي الدكتور هيدوك؟

- أن السيد ريدنج بريء من أية تهمة؟ نعم. والآن ماذا بشأن قصتك أنت يا سيدة بروثيرو؟ إيه، ماذا بشأنها؟

ابتسمت وقد بدا على وجهها شيء من الشعور بالعار وقالت: أحسب أنكم ترون ذلك تصرفاً فظيلاً مني، أليس كذلك؟

- لنقل إنه تصرف أحمق تماماً، ولكن ذلك كله انتهى. ما أريد الآن يا سيدة بروثيرو هو الحقيقة... الحقيقة الكاملة.

أومات برأسها عابسة وقالت: سأعبرك. أحسبك تعلم عن... عن كل شيء.

أجبت بالإيجاب، فقالت: كان مقرراً أن أقابل لورنس في ذلك المساء في المرسوم، عند الساعة السادسة والرابع. كنت قد جئت أنا

وزوجي بالسيارة إلى القرية، وكنت بحاجة لبعض التسوق. وعندما
افترقنا أشار زوجي عرضاً إلى أنه ذاهب لرؤية الكاهن. ولم أستطع
إرسال خير بذلك إلى نورس، وشعرت باضطراب كبير. فقد... فقد
كان فظيماً أن أقابله في حديقة بيت الكاهن بينما يكون زوجي في
البيت ذاته.

احمرت وجنتاها وهي تقول ذلك؛ إذ لم تكن تلك لحظة
مريحة بالنسبة لها. ثم أكملت تقول: فكرت بأن زوجي ربما لا
يمكث طويلاً هناك، ولكي أعرف ذلك جئت عبر الممشى الخلفي
ودخلت الحديقة. كنت أمل ألا يراني أحد، ولكن الأنسة العجوز
ماربل لا بد أن تكون في حديقتها بالطبع! أوقفتني ونيادنا بضع
كلمات، وشرحت لها أنني ذاهبة لمناداة زوجي. شعرت أن عليّ أن
أقول شيئاً. لا أدري إن كانت قد صدقتني أم لا. لقد بدت... غريبة
بعض الشيء. وعندما تركتها ذهبت مباشرة إلى بيت الكاهن
وانعطفت عند زاوية المنزل لأذهب إلى الباب الزجاجي للمكتب،
تسللت إلى الباب الزجاجي بكل هدوء وأنا أتوقع سماع أصوات
المتكلمين في المكتب، ولكن لم أسمع - ندهشني - أي أصوات.
نظرت إلى داخل المكتب فوجدته فارغاً فأسرعت عبر مرحة العشب
إلى المرسم حيث ما لبث لنورس أن انضم إليّ مباشرة تقريباً.

- أتقولين إن المكتب كان فارغاً يا سيدة بروثيرو؟

- نعم، فزوجي لم يكن هناك.

- غريب جداً.

قال المفتش: أنتين يا سيدتي أنك لم تريه؟

- نعم، إنني لم أراه.

همس المفتش سلاك في أذن الكولونيل الذي أوما برأسه موافقاً
فقال المفتش: هل لك يا سيدة بروثيرو أن ترينا بالضبط ما فعلته؟
- بالطبع.

نهضت، وفتح لها المفتش سلاك الباب الزجاجي فعبثته إلى
المصطبة في الخارج ثم مضت حول البيت إلى الجهة اليسرى.

طلب مني المفتش سلاك بلهجة أمرة أن أذهب وأجلس إلى
طاولة الكتابة. ولسبب ما لم يعجبني كثيراً القيام بذلك؛ إذ سبب لي
شعوراً بعدم الارتياح. ولكنني أذعنت طبعاً لطلبه. وسرعان ما سمعت
صوت عطرات في الخارج، توقفت قليلاً ثم تراجعت. أشار المفتش
سلاك إليّ قائلاً إن يوسعي العودة إلى الجانب الآخر من الغرفة.
عادت السيدة بروثيرو فدخلت من الباب الزجاجي، فسألها الكولونيل
مبتسماً: أهكذا كان الأمر بالضبط؟

- بالضبط كما أظن.

تدخل المفتش قائلاً: أتستطيعين - إذن - أن تخبريني يا سيدة
بروثيرو أين كان الكاهن بالضبط في الغرفة عندما نظرت الآن؟

- الكاهن؟ لا، أخشى ألا أستطيع تحديد مكانه؛ فأنا لم أراه.

أوماً المفتش برأسه وقال: وهكذا لم تري زوجك؟ فقد كان
خلف الزاوية يجلس إلى طاولة الكتابة.

شهقت: أوه! توقفت وقد اتسعت عيناها واستدارت رعباً ثم

قالت: أكان ذلك هو المكان الذي... الذي...

- نعم يا سيده بروثيرو. حدث ذلك بينما كان يكتب هناك.

ارتعدت وشهقت مرة أخرى، ومضى هو في أسئلته: أكنت تعرفين يا سيده بروثيرو أن لدى السيد ريدنغ مسدس؟

- نعم، أخبرتني مرة بذلك.

- هل سبق لك أن احتفظت قط بذلك المسدس؟

- لا.

- أكنت تعرفين أين يحتفظ به؟

- لست متأكدة من ذلك. أظن... نعم، أظنني رأته على أحد الرفوف في بيته. أأنت تضعه هناك يا لورنس؟

- متى زرت بيت السيد ريدنغ آخر مرة يا سيده بروثيرو؟

- منذ نحو ثلاثة أسابيع؛ تناولنا الشاي أنا وزوجي عنده.

- ولم تزوري البيت منذ ذلك الوقت؟

- لا، لم أذهب أبداً هناك؛ فذلك يثير الكثير من الأقاويل في القرية كما تعلم.

قال الكولونيل ميلتشيت ببرود: بالتأكيد. هل كنت معتادة على رؤية السيد ريدنغ، إن سمحت لي بالسؤال؟

- لقد اعتاد المحييء إلى بيتنا. كان يرسم لتييس، وكنا...

أوما الكولونيل برأسه، وقالت هي بصوت بدا فجأة منهراً: ألا يكفي هذا؟ فظيع جداً أن أضطر لإخباركم بكل هذه الأشياء. كما... كما لم يكن في علاقتنا شيء. لم يكن فيها شيء فعلاً؛ كنا مجرد أصدقاء، ولم يسعنا إلا الاهتمام ببعضنا البعض.

نظرت متوسلة إلى الدكتور هيدوك فتقدم ذلك الرجل رقيق القلب وقال: أظن حقاً يا ميلتشيت أن ما شهدته السيدة بروثيرو يكفي. لقد تعرضت لصدمة كبرى... بأكثر من طريقة.

قال رئيس الشرطة: لم يعد لدينا المزيد من الأسئلة يا سيده بروثيرو. أشكرك على إجابتي بكل تلك الصراحة.

- إذن... إذن، هل أستطيع الذهاب؟

سألني هيدوك: هل زوجتك في الداخل؟ أظن السيدة بروثيرو ترغب برؤيتها.

- نعم، غريزلدا في الداخل. ستجدينها في غرفة الجلوس.

غادرت الغرفة برفقة الدكتور هيدوك والسيد ريدنغ، وقد زم الكولونيل ميلتشيت شفتيه وأخذ يعث بسكين لفتح الرسائل، أما سلاك فكان ينظر إلى الرسالة التي تركها القتل (وعندها ذكرت نظرية الأنسة ماربل). نظر سلاك إلى الرسالة بامعان ثم هتف: يا إلهي، أظن أن المعجوز على حق. أنظر هنا يا سيدي، أترى؟ هذه الأرقام كتبت بحبر مختلف... الوقت هنا كتب بقلم حبر بالتأكيد.

انفعلنا جميعاً، وقال الكولونيل: أظنك أخذت البصمات عن الرسالة دون شك.

- ماذا تظن يا كولونيل؟ لم تكن عليها أية بصمات، أما على المسدس فالبصمات للسيد ريدنج. ربما كانت عليه بعض البصمات الأخرى قبل أن يشرع بحماقته ويأخذ المسدس ويضعه في جيبه، أما الآن فليس من شيء واضح يمكن إثباته.

قال الكولونيل متأملاً: في البداية بدت القضية واضحة تماماً ضد السيدة بروثيرو. كانت لدينا شهادة تلك العجوز ماربل بأن السيدة بروثيرو لم تكن تحمل معها مسدساً، ولكن هؤلاء العجائز غالباً ما يُخطئن.

سكتُ، ولكنني لم أكن أتفق معه. كنت واثقاً تماماً بأن آن بروثيرو لم تكن تحمل مسدساً إن كانت الأنسة ماربل تقول ذلك، فليست الأنسة ماربل من تلك العجائز اللاتي يرتكبن أخطاء. إن لديها موهبة لا تحيب أبداً في التحليل الصائب.

- ما يحيرني أن أحداً لم يسمع الطلقة. لو أنها أطلقت وقتها فلا بد أن أحداً قد سمعها... حتى وإن ظن أنها أتت من مكان آخر. من الأفضل يا سلاك أن تتكلم مع الخادمة.

تحرك المفتش سلاك بتيقظ نحو الباب، فقالت له: الأفضل ألا تسألها إن كانت قد سمعت طلقة في المنزل، لأنها ستذكر سماع ذلك. سمّها طلقة في الغابة، فتلک هي الطلقة الوحيدة التي يمكن أن تعترف الفتاة بسماعها.

قال المفتش قبل خروجه: إنني أعرف كيف أتدبر أمرهن.

قال الكولونيل متأملاً: الأنسة ماربل تقول إنها سمعت صوت

طلقة فيما بعد. يجب أن نرى إن كان يوسعها تحديد الوقت بشكل دقيق، ربما كانت تلك بالطبع طائشة لا علاقة لها بموضوعنا. وافقته قائلاً: ذلك ممكن بالطبع.

ذرع المفتش الغرفة جيئة وذهاباً، ثم قال فجأة: أتدري يا كليمنت، لدي شعور بأننا سنكتشف أن هذه القضية أصعب وأدق بكثير مما نظن جميعاً. تباً لها، إن ورائها شيئاً، شيئاً لا نعرفه. إننا ما نزال في البداية. تذكر كلماتي هذه: إننا ما نزال في البداية. كل هذه الأشياء: الساعة والرسالة والمسدس، لا معنى لها بشكلها المجرد!

هزرت رأسي حيرة، فلم يكن لتلك الأشياء معنى بالتأكيد. أضاف الكولونيل: ولكنني سأصل إلى قرار هذه القضية. لن أستخدم شرطة سكوتلانديارد... إن سلاك رجل ذكي، إنه كلب صيد جيد لا يهدأ، وسيجد طريقه إلى الحقيقة. لقد قام بعدة إنجازات سابقاً، وستكون هذه القضية أشهر إنجازاته. من شأن البعض أن يسارعوا لاستدعاء سكوتلانديارد، أما أنا فلن أفعل ذلك. سنصل إلى قرار هذه القضية هنا في داونشير.

- أمل ذلك بالتأكيد.

حاولت جعل صوتي حماسياً، ولكنني كنت قد كرهت المفتش سلاك أساساً إلى درجة جعلت إمكانية نجاحه لا تروق لي. ورأيت أن سلاك سيكون -في حال نجاحه- بغضباً أكثر منه في حال إخفاقه.

سألني المفتش فجأة: مَنْ يقيم في البيت المجاور لكم؟

- أعني ذلك الواقع عند نهاية الطريق؟ السيدة برايس ريدلي.

- سأنذهب إليها بعد أن يفرغ سلاك من خادمتك فربما كانت قد سمعت شيئاً. أرجو ألا تكون صماء أو ما شابه ذلك؟

- بل أظن أن سمعها حاد تماماً، بدليل حجم الفضائح التي أثارها بسبب "ما تناهي صدفة إلى مسامعها".

- هذه هي نوعية النساء التي نريدها. أوه! ها هو سلاك.

كان سلاك يبدو كمن عرج من معركة، قال لذي دخوله: يا إلهي! إن لديك يا سيدي خادمة فظيعة.

أجبت: إن ماري فتاة ذات شخصية قوية بالفعل.

- إنها لا تحب الشرطة. لقد حذرتها... حاولت جاهداً أن أثبت في قلبها الخوف من القانون ولكن دون جدوى... واجهتني بكل قوة.

قلت وقد شعرت بتعاطف أكبر مع ماري: إنها شجاعة.

- ولكنني أجبرتها على كشف دعيئتها. لقد سمعت طلقة واحدة.. واحدة فقط. وكان ذلك بعد وقت طويل من مجيء الكولونيل بروثيرو. لم أستطع حملها على تحديد وقت بعينه، ولكننا حددنا ذلك أخيراً بواسطة السمكة. فقد تساعرت السمكة، وقامت هي بتأنيب الصبي عندما أحضرها، وقال الصبي إن الساعة لم تتجاوز السادسة والنصف، وكان سماعها للطلقة بعد ذلك مباشرة. هذا ليس تحديداً دقيقاً بالطبع، ولكنه يعطينا فكرة عن الوقت.

همهم الكولونيل علامة الفهم فأضاف المفتش وفي صوته نبرة

أسف: لا أحسب السيدة بروثيرو متورطة في هذا الأمر؛ فهي ما كانت أولاً لتمتلك الوقت الكافي، ثم إن النساء لا يعملن عموماً للعبث بالأسلحة النارية. الزرنيخ أقرب لطبيعتهن. كلا، لا أظنها الفاعلة. أمر مؤسف!

تنهد أسفاً، وقال ميلتشيت إنه ذاهب إلى بيت السيدة برايس ريديلي فوافقه المفتش، وسأله أنا: أيمكن أن آتي معكما؟ لقد أخذت أنشد لهذا الأمر.

حصلت على الموافقة وانطلقنا. ولدى خروجنا من البوابة واجهتنا صبيحة تحية عالية من ابن أخي دينيس الذي صعد الطريق مسرعاً قادماً من القرية لينضم إلينا. قال للمفتش: اسمعني أيها المفتش، ماذا عن آثار القدم التي أثيرت عنك عنها؟

أجاب المفتش باقتضاب: أقدم البستاني.

- ألا تظن أنه ربما كان شخصاً ارتدى حذاء البستاني؟

أجاب المفتش بأسلوب منبط: كلا، لا أظن!

ولكن تثبيط دينيس كان يتطلب أكثر من ذلك بكثير. مدّ يده بعودّي ثقاب محترقين وقال: لقد وجدت هذين عند بوابة البيت.

أخذهما سلاك ووضعهما في جيبه قائلاً: أشكرك.

بدا الآن أن الأمور وصلت إلى طريق مسدود، وبغثة سأل دينيس بظرافة سيئة التوقيت: لا أظنك تعتقل العم لين، أليس كذلك؟

سأله سلاك: ولماذا أعقله؟

قال دينيس: توجد الكثير من الدلائل ضده. اسأل ماري... في اليوم السابق للحرime فقط كان يتمنى خلاص العالم من الكولونيل برونير، أليس ذلك صحيحاً يا عم لين؟

بدأت قائلاً: "الواقع..." فيما التفت إليّ المفتش سلاك بنظرة ارتياب شعرت معها بأن جسمي غداً حاراً كله... إن دينيس مزعج جداً بالفعل؛ كان عليه أن يدرك أن الشرطة نادراً ما يعرفون المزاح.

قلت بغضب: لا تكن سخيفاً يا دينيس!

فتح الصبي البريء عينيه مندهشاً وقال: أقول إنها كانت مجرد مزحة. لقد قال العم لين إن من شأن امرئ يقتل الكولونيل برونير أن يكون قد أدى خدمة كبرى للعالم.

قال المفتش: آه! ذلك يفسر شيئاً قالته الخادمة.

الخدم أيضاً نادراً ما يعرفون المزاح. شتمت دينيس في داخلي بكل حق لإثارته هذا الموضوع؛ فهذا إلى جانب مسألة الساعة سيجعلان المفتش برتاب بي طوال حياته.

قال الكولونيل ميلنشيت: هيا يا كليمنت.

سأل دينيس: إلى أين تذهبون؟ أستطيع الذهاب معكم أيضاً؟

صحتُ به: كلا، لا تستطيع.

تركناه ينظر خلفنا محروحين المشاعر، وذهبنا إلى الباب الأمامي الجميل لبيت السيدة برايس ريدلي. قرع المفتش جرس الباب ثم قرع الباب بالمطرقة الخاصة بذلك وهو يفعل ذلك كله بأسلوب

رسمي. استجابت خادمة جميلة لقرع الباب فسألها الكولونيل ميلنشيت: هل السيدة برايس ريدلي في الداخل؟

- كلا يا سيدي. لقد ذهبت لنوها إلى مركز الشرطة.

كان هذا تطوراً غير متوقع على الإطلاق. وبينما نحن نعود أدراجنا أمسكني ميلنشيت من ذراعي وتعثم قائلاً: إن كانت ستعترف بارتكاب الجريمة أيضاً فسوف أفقد عقلي فعلاً.

* * *

ابتسامته تهذيب للكولونيل الذي يادها قائلاً: لقد كنا في زيارة
لبيثك قبل قليل يا سيدة ريدلي، وسمعنا أنك جئت إلى هنا.

تحلحل فوراً تشنج السيدة ريدلي كله وقالت: آه! إني سعيدة
لأن الحدث نال بعض الاهتمام. إني أسمى ذلك مشيناً... مشيناً
جداً!

ما من شك في أن القتل عمل مشين، ولكنها ليست الكلمة
التي كنت سأستخدمها - شخصياً - لوصف القتل. وبدلاً من أن الكلمة
أدهشت ميلتشيت أيضاً فقال: ألدبك ما يلقي الضوء على القضية؟
- هذا عمل الشرطة... إنه عمل الشرطة. لماذا ندفع الضرائب
والرسوم، هذا ما أريد معرفته؟

يتساءل المرء كم مرة يُطرح هذا السؤال في العام الواحد!
قال الكولونيل: إننا نقوم بكل ما نستطيع يا سيدة ريدلي.
صاحت السيدة قائلة: ولكن هذا الرجل هنا لم يسمع بالأمر
مجرد سماع حتى أخبرته به!

نظرنا جميعاً إلى الشرطي فقال: لقد تم اتصال بالسيدة هاتقياً.
أعني أن أحدهم أزعجها بالهاتف... مسألة لغة بذينة كما فهمت.
انفجرت أسارير الكولونيل وقال: أوه! فهمت. كنا نتكلم في
موضوعين مختلفين. لقد أتيت هنا لتقديم شكوى، أليس كذلك؟

إن ميلتشيت رجل حكيم، فهو يعلم أن الأمر إذا ما تعلق بامرأة
غاضبة في أواسط عمرها، فلا يوجد إلا سبيل واحد للتصرف، وهو

الفصل الثالث عشر

لم أتوقع أبداً أن يكون في جعبة السيدة ريدلي أي شيء ذو
قيمة، ولكنني تساءلت عما عساه أخذها إلى مركز الشرطة. أكان
لديها حقاً دليل ذو أهمية تقدّمه، أو حتى دليل تظن هي أنه ذو
أهمية؟ سرعان ما سنعرف ذلك على أية حال.

وجدنا السيدة ريدلي تتكلم بسرعة فائقة إلى شرطي بدا عليه
شيء من الارتباك والحيرة. وعرفت - من الطريقة التي كانت حافة
قبعتها ترتجف بها - أنها تشعر بسخط شديد. كانت السيدة ريدلي
ترندي ذلك النوع من القبعات التي تصنع في بلدة متش بينهام
المجاورة لنا، وهي قبعات غريبة مزينة بأقواس ضخمة من الأشرطة،
وقد كانت غريزدا تهدد دوماً بشراء واحدة من تلك القبعات.

أوقفت السيدة ريدلي كلامها الدافق عند دخولنا، وسأل
الكولونيل ميلتشيت وقد نزع قبعته: السيدة برايس ريدلي؟

قلت: دعيني أعرفك على الكولونيل ميلتشيت يا سيدة برايس
ريدلي. إنه رئيس الشرطة عندنا.

نظرت السيدة برايس ريدلي إليّ ببرود، ولكنها أهدت ما يشبه

الإصغاء لها. وعندما تفرغ من قول كل ما تريد قوله تكون فرصة في أن تصغي هي لك.

انطلقت السيدة برايس ريديلي في الكلام: ينبغي أن تمتنع مثل هذه الحوادث المشينة... ينبغي ألا تحدث. لا يمكن أن تتم مخابرة المرء في بيته وإهاتته... نعم، إهاتته. إنني لم أعتمد على حدوث مثل هذه الأمور. لقد حدث انحلال في النسيج الأخلاقي منذ أن انتهت الحرب. لا أحد يهتم بما يتلفظ به، أما العلابس التي يلبسونها...

سارع ميلنشيت إلى القول: بالتأكيد، بالتأكيد. ماذا حدث بالضبط؟ أخذت السيدة ريديلي نفساً ثم انطلقت ثانية: لقد اتصلوا بي...

- متى؟

- بعد ظهر أمس... بل مساء أمس بالأحرى، حوالي الساعة السادسة والنصف. ذهبت للرد على الهاتف لا تراودني أية رغبة، وعلى الفور هوجمت بشكل شرير وهذدت...

- ما الذي قيل عملياً؟

احمرّ وجه السيدة برايس ريديلي قليلاً وقالت: هذا ما لن أقوله.

تعمد الشرطي بصوت عميق: لغة يديئة!

سأل الكولونيل ميلنشيت: هل استخدمت لغة سيئة؟

- هذا يعتمد على ما تعنيه باللغة السيئة.

سألنها: هل استطعت فهمها؟

- بالطبع استطعت فهمها.

- إذن فهي ليست لغة سيئة.

نظرت السيدة برايس ريديلي إلى بارتياش فشسحت ملاحظتي قائلاً: إن سيده عالية التهذيب لا تكون ملمة عادة باللغة السيئة.

قالت السيدة برايس ريديلي: لم تكن من ذلك النوع من اللغة. عليّ أن أعترف أنني خدعت تماماً في البداية. فظننتها رسالة حقيقية يراد بإصالتها، ثم بدأ ال... المتكلم يسيء.

- يسيء؟

- يسيء كثيراً... لقد ذعرت تماماً.

- واستخدم لغة تهديد، أليس كذلك؟

- نعم، وأنا غير معتادة على من يهددني.

- بماذا هددوك؟ بأذى جسدي؟

- ليس تماماً.

- إن عليك يا سيده برايس ريديلي أن تكونسي أكثر وضوحاً. بأية طريقة تم تهديدك؟

بدأ أن السيدة برايس ريديلي في غاية التردد قبل الإجابة على هذا السؤال. قالت: لا أذكر تماماً. كان الأمر كله مزعجاً جداً، ولكن في النهاية تماماً... عندما كنت قد انزعجت بالغ الإنزعاج قام ذلك ال... ذلك الخسيس بالضحك.

قال ميلتشيت وهو بعض على شاربه لإخفاء ابتسامته: من الطبيعي أن يزعجك ذلك كثيراً.

- ومضى المتحدث يقول: "وإنم تمسكي لسانك في المستقبل فسيكون ذلك وبالأعلى عليك". لا أستطيع أن أصف لك الطريقة المخيفة التي قيلت بها هذه الجملة. وقد شهقت قائلة: "من أنت؟"، وأجابني الصوت: "المنتقم". وصدرت مني صرخة. كانت نبرته فظيعة... وبعدها ضحك الشخص.. ضحك! ضحك بشكل واضح، وانتهى بذلك الأمر وأغلق السماعة. طلبت من موظفي البدالة أن يعطوني الرقم الذي اتصل منه، ولكنهم قالوا إنهم لا يعرفونه. أنت تعرف طبيعة هؤلاء الموظفين، في غاية الوقاحة وعدم الاهتمام.

قلت: صحيح.

مضت السيدة برايس ريدلي قائلة: شعرت أنني سيفمى علي. كنت في غاية الانزعاج والعصبية بحيث أنني جففت حفلة فظيعة عندما سمعت طلقة في الغابة... إلى هذا الحد وصل الأمر معي.

قال المفتش سلاك وقد تيقظ: طلقة في الغابة؟

- في حالة الانفعال التي كنت أمر فيها بدت لي وكأنها طلقة مدفع. صحت مع نفسي: "أوه!" وألقيت بنفسي على الأريكة منهكة، وقد اضطرت كلارا إلى إعطائي كأساً من الليمون.

قال ميلتشيت: أمر بثير الصدمة، بثير الصدمة حقاً. لا بد أنه كان أمراً متعباً جداً لك. أتقولين إن الطلقة كانت عالية الصوت جداً؟ كما لو أنها كانت قريبة منك؟

- إذن فقد كان الصوت صوت رجل، أليس كذلك؟

- كان صوتاً منحطاً لا جنس له... لا يمكنني وصفه إلا بأنه صوت شاذ مزيف. مرة أحش، ومرة رفيع حاد. كان حقاً صوتاً غريباً جداً!

قال الكولونيل مهندنا: ربما كان ذلك مزحاً من أحد.

- إن كان كذلك فهو أكثر التصرفات شراً وأذى. كان يمكن أن أصاب بنوبة قلبية.

- سوف نحقق بالموضوع. ما رأيك أيها المفتش؟ أرجو أن تتابع مصدر المكالمات الهاتفية. ألا تستطيعين إخباري بمزيد من التحديد ما الذي قيل بالضبط يا سيدة برايس ريدلي؟

نشب في صدر السيدة برايس ريدلي الضخم صراع بين الرغبة في التحفظ في كلامها وبين الرغبة في الانتقام، وقد فازت الرغبة في الانتقام فبدأت تقول: هذا لن يخرج طبعاً أبعد من هنا.

- بالطبع لن يخرج.

- لقد بدأ هذا المخلوق بالقول.. لا أكاد أستطيع حمل نفسي على تكرار كلامه...

قال ميلتشيت مشجعاً: نعم، نعم؟

- قال لي: "أنت عجوز شريرة تعيش على الفضائح" أنا عجوز شريرة تعيش على الفضائح يا كولونيل؟ ثم قال: "ولكنك تصاديت هذه المرة، وسكوتلانديارد تتعقبك بتهمة الدم والقدح".

- كان ذلك من أثر حالتي العصبية فقط.

- طبعاً، طبعاً. وفي أية ساعة كان ذلك كله؟ فذلك يساعدنا في تتبع المكالمات كما تعلمين.

- في حوالي السادسة والنصف.

- ألا تستطيعين تحديد الوقت بشكل أكثر دقة؟

- حسناً، كان المنبه الصغير الذي أضعه على رف الموقد قد دقّ لثوّه معلناً الساعة السادسة والنصف، وقلت في نفسي: "لا بد أن هذه الساعة تسبّو" (فهي تسبّو عادة)، ولذلك قارنتها مع الساعة التي أضعتها في يدي، ولكن ساعة يدي لم تكن تشير إلا إلى السادسة وعشر دقائق. وضعتها على أذني فوجدت أنها متوقفة. ولذلك فكرت قائلة لنفسي: "حسناً، إن كانت تلك الساعة تسبّو فلن ألبث أن أسمع ساعة الكنيسة خلال دقيقة أو اثنتين". وبعدها طبعاً رن جرس الهاتف، ونسيت كل ما يتعلق بالأمر.

- سكنت وهي تلهث، فقال الكولونيل: حسناً، هذا تحديد لا بأس به، سنتابع لك الأمر يا سيدة برايس ريديلي.

- قلت أنا: لا تفكري بالأمر إلا كمزحة سخيفة، ولا تقلقي يا سيدة ريديلي.

- نظرت إليّ ببرود، وبدأ واضحاً أن حادث الخنثي الذي تسرعت به ما زال يعمل في نفسها. قالت موجهة حديثها إلى ميلنشيت: أمور غريبة جداً أخذت تحدث مؤخراً في هذه القرية. أمور غريبة جداً بالفعل! وكان الكولونيل بروثيرو ينوي التدقيق في تلك الأمور،

فما الذي حدث له، المسكين؟ أتراني أكون أنا التالية؟

- وعند هذه النقطة اعتذرت للمغادرة وهي تهز رأسها بنوع من الكآبة المندرة بالسوء. همس ميلنشيت قائلاً مع نفسه: "يا لهذا الحظ!" ثم تحهم وجهه ونظر متسائلاً إلى المفتش سلاك.

- أما المفتش برأسه ببطء وقال: هذا يكاد يحل المسألة يا سيدي؛ أصبح لدينا ثلاثة ممن سمعوا الطلقة. علينا أن نعرف الآن من أطلقها. لقد أخرجتنا مسألة ريدينغ تسك، ولكن لدينا عدة نقاط انطلاق لم ندقق فيها عندما ظننا أن ريدينغ مذنب. أما الآن فقد تغير الأمر كله، وأول ما فعله الآن هو التحقق من أمر تلك المكالمات.

- مكالمات السيدة برايس ريديلي؟

- كلا، رغم أنني أرى ضرورة تسجيل ملاحظة بشأن مكالمات السيدة وإلا لوجدنا المرأة تأتي لإزعاجنا ثانية هنا. ولكن المكالمات التي قصدها هي تلك المزيفة التي أبعدت الكاهن عن الطريق.

- قال ميلنشيت: نعم، تلك مسألة مهمة.

- والأمر التالي هي تحديد ما كان يفعله كل شخص في ذلك المساء بين الساعة السادسة والسابعة. وأعني بذلك كل شخص في منزل أولد هول، وكذلك كل شخص في القرية أيضاً.

- تنهدت وقلت: يا للطاقة الرائعة التي تمتلكها أيها المفتش!

- إنني أؤمن بالعمل الحاد... وسنبداً بتسجيل تحركاتك أنت يا سيد كليمنت.

- بكل سرور. لقد تلقيت المكالمات الهاتفية فسي حوائلي الخامسة والنصف.

- أكان المتكلم رجلاً أم امرأة؟

- بل امرأة. هذا الصوت صوت امرأة على الأقل، وقد افترضت آلياً أن السيدة أبوت هي التي تتكلم.

- ولكنك لم تميز الصوت باعتباره صوت السيدة أبوت؟

- لا، لا يمكنني القول إنني ميزته؛ لأنني لم ألق بآلاً للصوت بشكل خاص ولم أفكر به.

- ثم انطلقت مباشرة؟ ذهبت مشياً؟ أليست لديك دراجة؟ لا.

- حسناً، كم استغرق منك الوصول؟

- المسافة نحو ميلين بغض النظر عن الطريق التي تسلكها.

- الطريق عبر غابة أولد هول هي الأقصر، أليس كذلك؟

- عملياً نعم، ولكنها ليست بالطريق الحيدة. لقد ذهبت عبر الممشى التراشي بين الحقول.

- الطريق الذي ينتهي أمام بوابة بيتك تماماً؟

- نعم.

- والسيدة كليمنت؟

- زوجتي كانت في لندن، وقد عادت في تمام الساعة السابعة إلا عشر دقائق.

- حسناً، والخادمة قابلتها. هذا ينهي مهمتنا في بيت الكاهن. سأغادر إلى منزل أولد هول الآن، وبعدها أريد مقابلة السيدة ليسترينج، فمن الغريب أن تذهب لرؤية بروثيرو في الليلة التي سبقت مقتله... في هذه القضية الكثير من الغرائب! وافقته على ذلك.

نظرت إلى ساعتني فأدركت أن ساعة الغداء قد حانت تقريباً. دعوت ميلتشيت ليشاركنا ما يتيسر من طعام، ولكنه اعتذر قائلاً إن عليه أن يذهب إلى فندق بلو بور، والفندق يقدم وجبات ممتازة من اللحم والخضار. ورأيت أن اختياره كان حكيماً؛ فالأغلب أن تكون ماري - بعد مقابلتها مع الشرطة - أكثر مزاجية من المعتاد.

* * *

الفصل الرابع عشر

في طريق عودتي إلى البيت صادفتني الأنسة هارتنيل وأخرتني عشر دقائق على الأقل وهي تحتج بكل قوة وبصوتها الخشن العميق على قِصَر نظر الطبقات الدنيا وقلة عرفانها بالجميل. وبدأ أن لب المشكلة يكمن في أن الفقراء لا يريدون الأنسة هارتنيل في بيوتهم. وقد كانت عواظي معهم كلياً، ولكنني لا أستطيع التعبير - بحكم مكاتي الاجتماعية - عن أهوائي بالقوة التي يعبر بها الفقراء.

طابت عاظرها ما وسعني ذلك ثم نحوت بنفسني. وأدركني هيدوك بسيارته عند منعطف طريق بيتي فنادى قائلاً: لقد أوصلت السيدة بروثيرو لتؤدي إلى بيتها.

ثم انتظرتني عند بوابة بيته وبادرني قائلاً: ادخل دقيقة.

وافقته ودخلت. وهناك قال وهو يرمي قبعته على أحد الكراسي ويفتح باب عيادته: هذه قضية غريبة جداً!

ألقى بنفسه على كرسي قديم وثير وحدثني في الفراغ عبر الغرفة. بدأ قلقاً حائراً.

أخبرته بأننا نجحنا في تحديد وقت الطلقة، وأصغى بشكل يكاد يكون شروداً، ثم قال: هذا يعني ثيرة آن بروثيرو. حسناً، يسعدني ألا يكون الفاعل أيّاً من هذين الاثنين؛ إنني أحبهما كليهما.

صدّقته، ومع ذلك عطر لي أن أتساءل عن السبب الذي يجعل براءتهما من التواطؤ على القتل تسبب له كسل هذا التجهّم إن كان يحبهما كما يقول. لقد بدأ صباح هذا اليوم وكأن عيشاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهله، وها هو الآن يبدو شديد الانزعاج والقلق.

ومع ذلك كنت مقتنعاً بأنه كان يعني ما يقوله. كان يحب فعلاً آن بروثيرو ولورنس ريدنغ. ولكن لماذا إذن هذا الاستغراق المكتئب؟ عدّل من جلسته بشيء من الجهد وقال: أردت أن أخبرك عن هاوز. لقد نسيت أمره نتيجة ما مررنا به من ظروف.

- أهو مريض حقاً؟

- ليس به شيء خطير. أنت تعلم طبعاً أنه كان يعاني من التهاب الدماغ النعاسي، أو مرض النعاس كما يعرف عامياً، أليس كذلك؟ قلت وقد دهشت كثيراً: لا، لا أعرف شيئاً من ذلك... إنه لم يخبرني بشيء من ذلك أبداً. متى أصيب به؟

- منذ نحو سنة، وقد شفي منه... شفي كأفضل ما يكون الشفاء. إنه مرض غريب... ذو تأثير معنوي غريب جداً. يمكن أن تتغير بعده شخصية المرء كلها.

سكت للحظات ثم قال: إننا نستذكر الآن بشيء من الرعب ما كنا نفعله من حرق الساحرات. وستأتي علينا - كما أظن - أيام

نرتعد فيها إذ نتذكر إعدامنا للمجرمين.

- أنت لا تؤمن - إذن - بعقوبة الإعدام؟

- ليس الأمر كذلك.

سكت ثم قال ببطء: أندري، إنني أفضل ممارسة مهنتي على

ممارسة مهنتك.

- لماذا؟

- لأن مهنتك تتعامل إلى حد بعيد مع ما نسميه: "الصواب والخطأ"... وأنا لست واثقاً تماماً من وجود شيء كهذا. افترض أن الأمر كله لا يعدو أن يكون مسألة إفرازات غددية. زيادة إفراز في غدة معينة، ونقص إفراز في غدة أخرى... وينتج عن ذلك القتال أو السارق أو المجرم العزم. إنني أعتقد يا كليمنت أنه سيأتي وقت ننظر فيه يربح إلى القرون الطويلة التي أمضيها ونحن نعاقب الناس على أمراض لا حيلة لهم فيها. إنك لا تشق رجلاً لإصابته بالسل!

- ذلك أنه لا يشكل خطراً على المجتمع.

- بل يشكل خطراً في وجوه من الوجوه؛ إنه يُعدي الآخرين. أو عذ مثلاً رجلاً يرى نفسه إمبراطور الصين، إنك لا تطلق صفة الشر على تصرفاته. إنني أفهم وجهة نظرك بشأن المجتمع وضرورة حمايته. يمكنك أن تحجز هؤلاء الناس حيث لا يستطيعون إيذاء أحد، بل حتى أن تخلص منهم بشكل سلمي، نعم يمكن أن أوافقك حتى على ذلك... ولكن لا تسم ذلك عقاباً، لا تجلب العار عليهم وعلى عائلاتهم البرية.

نظرت إليه بفضول وقلت: لم أسمعك أبداً تتحدث هكذا من قبل!

- أنا لا أستعرض نظرياتي عادة على الملأ، أما اليوم فلأني أطرق موضوعي المفضل. أنت ذكي يا كليمنت، ولا أظنك ستعترف بعدم وجود ما يُسمى فنيًا "الخطيئة"، ولكن لك من سعة الأفق ما يجعلك تفكر - على الأقل - في مثل هذا الاحتمال.

- إن ذلك يضرب في الصميم كل الأفكار المستقرة.

- نعم، إننا أناس ضيقو الأفق، شديدو التزمّت، أحرص ما نكون على إطلاق الأحكام في قضايا لا نعرف عنها شيئاً. أنا أعتقد - بصدق - أن الجريمة موضوع ينبغي أن يعالجه الأطباء، لا الشرطة، وربما لا نجد في المستقبل شيئاً من أساليب معالجتنا الراهنة.

- أكنتم ستشفون المجتمع من الجريمة؟

- نعم، كنا سنشفيه، وهي فكرة رائعة. هل سبق لك أن درست إحصائيات الجرائم؟ كلا... قليلون هم من درسوها، وأنا من هؤلاء القليل. لو درستها لأدهشك مقدار جرائم المراهقين، وهنا نعود إلى مسألة الغدد. عذ مثلاً الشاب نيل، قاتل منطقة أو كسفوردشير؛ قتل خمس فتيات صغيرات قبل أن يشك به أحد. وكان شاباً لطيفاً، لم تبصر منه أية مشكلات. عذ ليلى روز، الفتاة الصغيرة من كورن وول، قتلت عمها لأنه قُتل عليها الحلويات. ضربته بمطرقة وهو نائم، ثم ذهبت إلى بيتها، وبعد أسبوعين قتلت أختها الكبرى من أجل قضية تافهة. لم يشق أي منهما بالطبع، بل أرسل إلى بيت الأحداث. ربما تحسناً لاحقاً وربما لم بتحسناً. وأنا أشك في إمكانية تحسن الفتاة، فالأمر الوحيد الذي كانت تهتم له هو رؤية

قتل الخنازير. أنعم السن التي تسجل فيها أعلى النسب في حالات الانتحار؟ بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من العمر، ولا يتطلب الانتفال من قتل النفس إلى قتل الآخرين قطع خطوة كبرى! ولكن الأمر ليس نقصاً علقياً... إنه نقص جسدي فيزيائي.

- إن ما نقوله قطيع!

- أبدأ، كل ما في الأمر أنه جديد عليك. لا بد من مواجهة الحقائق الجديدة، وتعديل أفكار المرء. ولكن ذلك... يجعل الحياة صعبة أحياناً.

جلس هناك متجنباً وعليه سيماء غريبة من السأم والإرهاق. قلت له: هيدوك، إذا اشتبهت... أو إذا عرفت أن شخصاً ما قاتل فهل ستسببه للعدالة أم ستميل إلى التستر عليه؟

ثم أكن مستعداً أبدأ للتأثير الذي أحدثه سؤالتي. التفت إليّ غاضباً مرثباً وقال: ما الذي يجعلك تقول ذلك يا كليمنت؟ ما الذي في ذهنك؟ أخرج به يا رجل.

قلت وقد فوجئت قليلاً: لا شيء خاصاً. كل ما في الأمر أن جريمة القتل تشغل بالنا في هذه الفترة، وقد تساءلتُ كيف سيكون شعورك إن صدف واكتشفت الحقيقة، هذا كل ما في الأمر.

تلاشي غضبه، وحائق ثانية أمامه كمن يحاول قراءة حلٍ لمعضلة تحيره رغم أنها لا توجد إلا في ذهنه، ثم قال: إذا ما ارتيت... إذا ما عرفت... فسوف أقوم بواجبي يا كليمنت. هذا ما آمله على الأقل.

- السؤال هو: ما الذي ستعتبره واجبك؟

نظر إليّ بعين لا يُدرك غورهما وقال: أحسب أن ذلك السؤال يا كليمنت يواجه كل امرئ في مرحلة ما من حياته، وعلى كل واحد أن يحدد طريقه بنفسه.

- أنت لا تدري؟

- كلا، لا أدري...

شعرت أن أفضل شيء هو تغيير الموضوع فقلت: إن ابن أخي يستمتع بالقضية أيما استمتاع، ويفضي كل وقته في البحث عن آثار أقدام ورماد لفائف تبغ.

ابتسم هيدوك وقال: كم عمره؟

- في السادسة عشرة فقط. لا يأخذ المرء المأسي بصورة جدية في مثل هذا العمر إذ لا يرى فيها إلا شيرلوك هولمز وأرسين لوين.

قال هيدوك متأملاً: إنه يبدو فتى رائعاً، ما الذي ستفعل له؟

- أخشى ألا أستطيع دفع تكاليف تعليمه الجامعي. إنه يريد الالتحاق بالأسطول التجاري؛ فقد فشل في الالتحاق بسلاح البحرية.

- إنها حياة صعبة، ولكن كان يمكن لحياته أن تكون أسوأ. نعم، كان يمكن أن تكون أسوأ.

قلت وقد لمحت ساعتني: علي أن أذهب. لقد تأخرت تحوُّاً من نصف ساعة عن موعد الغداء.

كان أفراد الأسرة قد جلسوا لتوهم على المائدة عندما وصلت، وقد طلبوا تقريراً كاملاً عن مجريات الصباح، وهو ما قمت بتقديمه وأنا أشعر بأن تلك المجريات كانت تشكل تباطؤاً في الأحداث وتراجعاً للإثارة. ومع ذلك فقد استمتع دينيس كثيراً بقصة المكالمة الهاتفية التي تلقتها السيدة برايس ريديلي، وانتهت نوبات من الضحك وأنا أبالغ في وصف الصدمة العصبية التي تلقتها والتي احتاجت معها لشرب الليمون. ثم هتف قائلاً: تستحق القطعة العجوز كل ذلك؛ إن لها أسوأ لسان في القرية. ليتني فكرت في مخايرتها وترويعها. ما رأيك يا عم لين بإعطائها جرعة ثانية؟

سارعت إلى التوسل إليه كيلا يفعل شيئاً من هذا القبيل؛ فليس ما هو أخطر من الجهود التي تبذلها الأجيال الأصغر سنّاً - بكل نية حسنة - بهدف مساعدتك وإظهار التعاطف معك.

تغير مزاج دينيس فجأة، فتحهم وجهه واتخذ سمت ذوي الخبرة الواسعة وقال: لقد قضيت معظم الصباح مع ليتيس، وهي - حقاً - قلقة جداً. إنها لا تريد إظهار ذلك، ولكنها قلقة جداً في الواقع.

قالت غريزلدا وهي تلقي برأسها إلى الوراء: هذا ما آمله لها.

غريزلدا لا تحب ليتيس كثيراً. قلت لها: لا أظنك تصفيها أبداً.

سكت غريزلدا وسكت أنا، فيما استمر دينيس قائلاً: إنها لا تتحدث مع كثير من الناس، ولكنها تتحدث معي أنا. وهي قلقة جداً من الأمر كله، وترى أنه لا بد من فعل شيء تجاه هذا الأمر.

قلت: ستجد أن المفتش سلاك يشاطرها هذا الرأي. إنه ذاهب

إلى منزل أولد هول عصر اليوم، ولا شك أنه سيجعل حياة الجميع جحيماً لا يطاق في معرض سعيه للوصول إلى الحقيقة.

سألت زوجتي فجأة: وما هي الحقيقة برأيك يا لين؟

- من الصعب الحزم يا عزيزتي؛ لا أستطيع الزعم بأنني أعرف.

- أظنك إن المفتش سلاك سيقوم بتتبع تلك المكالمة الهاتفية...

أعني المكالمة التي حملتك على الذهاب إلى عائلة أبوت؟

- نعم.

- ولكن، أأستطيع ذلك؟ أليس ذلك من أصعب الأمور؟

- لا أظن ذلك صعباً؛ فالبدالة تحتفظ بسجل للمكالمات.

- أوه!

ثم عادت زوجتي لتفرك في التفكير، فيما قال ابن أخي: لماذا غضبت مني كثيراً يا عم لين صباح اليوم عندما مازحتك بشأن تعنيك أن يقتل الكولونيل برونيرو؟

- لأن لكل شيء وقتاً. إن المفتش سلاك لا يعرف المزاح؛ لقد

أخذ كلماتك على محمل الجد تماماً، وربما اعتقلني بسببها.

- ألا يدرك متى يكون المرء مازحاً في كلامه؟

- كلا، لا يدرك. لقد وصل إلى موقعه الحالي بالجد وبإيلاء

الواجب كل انتباهه فلم يبقَ له وقت للتسلية الصغيرة في الحياة.

- أتجه يا عم لين؟

- لا، لا أحبه. لقد كرهته بشدة منذ أن رأيته، ولكنني لا أشك في أنه رجل ناجح في مجال عمله.

- أنظن أنه سيعثر على من أطلق النار على برونير؟

- إن لم يعثر عليه فلن يكون ذلك من قلة المحاولات.

ظهرت ماري وقالت: السيد هاويز يريد رؤيتك، إنه في غرفة الجلوس. وها هي رسالة تنتظر جواباً، ولا بأس أن يكون شغوباً.

فتحت الرسالة وقرأتها:

عزيزي السيد كليبنت... سأكون في غاية الامتنان لك إن استطعت المحي، لرؤيتي عصر اليوم في أبكر وقت ممكن. إنني في مأزق عظيم وأحتاج إلى مشورتك.

المخلصة: إيسنيل ليسترينج

قلت لماري: "قولي لحامل الرسالة إنني سأذهب في غضون نصف ساعة"، ثم ذهبتُ إلى غرفة الجلوس لرؤية هاويز.

* * *

الفصل الخامس عشر

أفلقني كثيراً مظهر هاويز. كانت يدها ترتجفان وظل وجهه يتلوى بعصبية. كان عليه -في رأيي- أن يلزم سريره، وقد أخبرته بذلك فأصرَّ على أنه في أحسن حال وقال: أؤكد لك يا سيدي أنني لم أشعر يوماً بأنني أفضل مني الآن، ولا في حياتي كلها.

كان واضحاً تماماً أن ذلك يبعد عن الحقيقة إلى الحد الذي لم أعرف معه كيف أحبيه. إنني أكنُ إعجاباً للرجل الذي لا يستسلم للمرض، ولكن هاويز كان يتجاوز في ذلك كل مدى. قال أخيراً: لقد جئت لأعبر لك عن مقدار أسفي لحدوث مثل هذا الأمر في بيتك الذي يشكل جزءاً من وقف الكنيسة.

- نعم، إنه ليس بالأمر السار.

- إنه فظيع... فظيع تماماً. يبدو أنهم لم يعتقلوا السيد ريدنج في نهاية الأمر، أليس كذلك؟

- نعم، كان ذلك خطأ. لقد أدلى بإفادة تنسم بالحمافة.

- وهل الشرطة مقتنعون تماماً الآن بأنه بريء؟

- نعم، تماماً.

- هل لي أن أسأل لماذا؟ ألا أنهم... أعني: هل يشكون بغيره؟

ما كنت لأعتقد أبداً أن من شأن هاوز أن يهتم بقضية قتل إلى هذه الدرجة. ربما كان ذلك لأن الجريمة وقعت في حرم الكنيسة. بدت عليه لهفة أشبه بلهفة الصحفيين. قلت: لا أظن أن المفتش سلاك ياتعنني على دعيه نفسه. ولكنه - حسبما أعرف - لا يشك بأحد تحديداً. إنه مشغول حالياً بإجراء تحقيقاته.

- نعم، نعم... بالطبع. ولكن من عساه يقدم على فعل مثل هذا الأمر؟

هزرت رأسي حيرة فقال: أعرف أن الكولونيل بروثيرو لم يكن رجلاً محبوباً، ولكن ليس إلى درجة أن يقتل! فالمرء يحتاج إلى دافع قوي حتى يقتل.

- هذا ما أظنه.

- منذ عساه يمتلك مثل هذا الدافع؟

- لا أدري.

- كلما فكرت في الأمر ازدادت قناعة بأنه من ذلك النوع الذي يكسب الأعداء؛ إنه معروف بقسوته الشديدة في المحكمة.

- نعم، أظنه كذلك.

- ألا تذكر يا سيدي؟ لقد كان بخيرك صباح أمس كيف أنه

تلقي تهديداً من ذلك الرجل آرثر.

- الآن تذكرت ذلك، نعم. كنت قريباً منا تماماً وقتها.

- نعم، لقد سمعتُ ما كان يقوله. يكاد يستحيل على المرء ألا يسمع كلام بروثيرو بصوته القوي العالي، أليس كذلك؟ وأذكر أنني تأثرت بكلماتك أنت، بأنه عندما يحين أوان حسابه فلن يجد جزاء له الرحمة بل هو لن يجد إلا العدالة.

سأله متحجماً: "هل قلتُ ذلك؟"، فقد كان ما أذكره من كلماتي مختلفاً قليلاً عن هذا.

- لقد قلتها بأسلوب مؤثر جداً يا سيدي. لقد هزنتي كلماتك، فالعدالة مسألة فظيعة. ثم جاء مصرع المسكين بعد ذلك بوقت قصير. يبدو الأمر وكأن لديك قوة تنبؤ.

قلت باقتضاب: ليس عندي شيء من ذلك.

- هل أخبرت الشرطة عن هذا الرجل آرثر يا سيدي؟

- إنني لا أعرف شيئاً عنه.

- أعني هل كررت لهم ما قاله الكولونيل بروثيرو... حول تهديد آرثر له؟

قلت ببطء: لا... لم أفعل.

- ولكنك ستخبرهم؟

بقيت ساكناً، فأنا أكره الإصرار على ملاحقة رجل تغف ضده

أساساً قوى الحفاظ على الأمن والنظام. ومع ذلك فيأني لا أريد الدفاع عن آرثر، فهو سارق طيور مدمن... شخص من أولئك الرجال المرحين المتحالفين مع الفشل ممن يراهم المرء دائماً. ومهما كانت أقواله في حمأة غضبه لدى إصدار الأحكام ضده، فيأني لا أملك معلومات مؤكدة تفيد أن مشاعره تبقى على حالها بعد خروجه من السجن. ولذلك قلت أخيراً: لقد سمعت المحادثة، فإن كنت ترى أن من واجبك أن تذهب بها إلى الشرطة فعليك القيام بذلك.

- ولكنها ستكون أفضل لو أنت منك يا سيدي.

- ربما... ولكنني - بصراحة - لا أرغب بهذا؛ فربما كنت أساعد بذلك في وضع الحبل حول رقبة رجل بريء.

- ولكن لو كان هو الذي قتل الكولونيل...

- أوه، إنها مجرد "لو" ليس من دليل على أنه فعل ذلك.

- وتهديداته.

- لم تكن التهديدات - بالمعنى الحرفي للكلمة - تهديداته هو بل تهديدات بروثيرو. كان الكولونيل بروثيرو يهدد بأنه سيُري آرثر ما هو معنى الانتقام إذا ما أمسك به ثانية.

- إنني لا أفهم موقفك يا سيدي.

قلت سبباً: حقاً؟ إنك شاب صغير، متحمس لقضية الحق. ولكنك ستجد - عندما تصل إلى عمري - أنك تميل إلى إعطاء الناس فائدة أخلوهم على محمل حسن النية.

قال: "الأمر ليس... أعني..."، ثم توقف، ونظرت إليه بدهشة فقال: أليست لديك أية فكرة... أعني عن هوية القاتل؟

- يا إلهي! كلا.

أصر هاوز قائلاً: أو عن... الدفاع؟

- كلا. أليست أنت؟

- أنا؟ كلا في الواقع. كنت أتساءل فقط. إن كان الكولونيل قد... قد أفضى لك بالأمر بأية طريقة... أو ذكر شيئاً...

قلت ببرود: إن ما أفضى به - كائناً ما كان - سمعه كل من كان في شارع القرية صباح أمس.

- نعم، نعم بالطبع. وأنت، ألا ترى... بشأن آرثر؟

- سرعان ما سيعرف الشرطة كل شيء بخصوص آرثر. لو كنت سمعته شخصياً يهدد بروثيرو لاختلف الأمر، ولكن نأكد أنه لو هدد بروثيرو فعلاً فإن نصف أهل القرية قد سمعوه، وسرعان ما يصل الأمر إلى مسامع الشرطة دون شك. أما أنت فعليك طبعاً أن تفعل ما تشاء في هذا الأمر.

ولكن بدا أن هاوز متردد على نحو غريب في فعل أي شيء. كان محمل سلوك الرجل عصبياً وغريباً، وتذكرت ما قاله هيدوك عن مرضه، وافترضت أن تفسير سلوكه يكمن في هذه النقطة.

استأذن للإنتصاف متردداً، وكان لديه المزيد مما يريد قوله ولا يعرف كيف يقوله. وقبل أن يغادر رُتبت معه أن يتولى القيام عني

ببعض الأنشطة؛ فقد كانت لذي مشاريعي الخاصة لعصر هذا اليوم.

وبعد أن صرفت هاوز ومشاكله عن ذهني انطلقت إلى السيدة ليسترينج. وعلى الطاولة في الصالة كانت صحيفة الغارديان موضوعة غير مفتوحة. وفيما كنت أمشي تذكرت أن السيدة ليسترينج كانت قد قابلت الكولونيل بروثيرو في الليلة التي سبقت مقتله، وربما كان شيء ما قد تسرب في تلك المقابلة مما يمكن أن يلقي الضوء على مشكلة قتله.

فُضِّلْتُ مباشرة إلى غرفة الجلوس الصغيرة، ونهضت السيدة ليسترينج لاستقبالي. دهشتُ مجدداً لذلك الجو الرائع الذي تستطيع هذه المرأة إشاعته. كانت ترتدي ثوباً من قماش أسود قاتم، وكان ثمة ما يوحي بالموت على نحو غريب في وجهها. عيناها فقط كانتا تشتعلان حياة، وكانت بهما اليوم نظرة ترقب واحتراس. وفيما عدا ذلك لم تُظهر أية إشارة حيوية. قالت وهي تصافحتي: أشكرك كثيراً على قدومك يا سيد كليمنت. لقد أردت التحدث معك في المرة الماضية، ثم قررت ألا أتحدث، وكنت مخطئة في ذلك.

- كما قلتُ لك وقتها، يسعدني القيام بكل ما أستطيعه لمساعدتك.

- نعم، لقد قلتُ ذلك، وقد قلته كما لو كنت تعنيه. قليلون جداً في هذا العالم يرغبوا مخلصين في مساعدتي يا سيد كليمنت.

- لا أكاد أصدق ذلك يا سيدة ليسترينج.

- إنه صحيح. معظم الناس.. أو لنقل بالأحرى: معظم الرجال لا يلتفتون إلا لمصالحهم الخاصة.

كانت في صونها مرارة. سكْتُ ولم أحب فمضت قائلة:
اجلس من فضلك.

جلستُ فيما اتخذت هي كرسياً قبالي. ترددتُ لحظة ثم بدأت تتكلم بكل ببطء وتأن وهي تبدو كمن يزن كل كلمة قبل التلنق بها: إنني في موقف غريب جداً يا سيد كليمنت، وأريد أن أطلب نصيحتك. أي أنني أريد أن تنصحتني فيما يتوجب عليّ فعله تالياً؛ فما مضى قد مضى ولا يمكن تغييره. أنفهمني؟

وقبل أن أستطيع الإجابة فتحت الباب الخادمة التي أدخلتني وقالت ووجهها ممتلئ رعباً: أوه! رجاء يا سيدتي، يوجد هنا مفتش شرطة، ويقول إنه يريد التحدث إليك، رجاء.

ساد صمت قصير. لم يتغير وجه السيدة ليسترينج، وخدمها عيناها أبطفتا ثم فتحتا ببطء شديد. بدا أنها ازدردت لعابها مرة أو مرتين، ثم قالت بنفس ذلك الصوت الواضح الهادي: أدخليه يا هيلدا.

كنت على وشك النهوض، ولكنها أشارت لي بالجلوس ثانية بيد أمرة وقالت: إن كنت لا تمانع... سأكون ممتنة كثيراً لو بقيت.

جلست ثانية وأنا أتمتم قائلاً: بالتأكيد، إن كنتِ ترغبين بذلك.

وسرعان ما دخل سلاك بخطوته النظامية الرشيقة وقال: طاب مساؤك يا سيدتي.

- طاب مساؤك أيها المفتش.

في تلك اللحظة وقعت عينه عليّ فعبس وجهه. ما من شك في

أن سلاك لا يجني. قالت مضيفتنا: أرحو ألا تعارض في بقاء الكاهن؟

أحسب أنه لم يكن بمقدور سلاك أن يقول إن لديه اعتراضاً.
قال متذمراً: كـ... كلا، رغم أنه قد يكون من الأفضل...

لم تلق السيدة ليسترينج لإشارته بالأذى، وسأله: بماذا أستطيع مساعدتك أيها المفتش؟

- الأمر كالتالي: إنني توليت قضية مقتل الكولونيل بروشير، وأقوم ببعض التحريات.

أومأت السيدة ليسترينج برأسها فمضى قائلاً: وكإجراء شكلي فقط فإنني أسأل الجميع أين كان كل منهم مساء أمس بين الساعة السادسة والسابعة. كإجراء شكلي فقط، إن كنت تفهميني.

- أتريد أن تعرف أين كنت مساء أمس بين السادسة والسابعة؟

- إن كنت يا سيدتي.

قطبت جبينها لحظة ثم قالت: كنت هنا، في هذا البيت.

رأيت عيني المفتش ثلثمجان وهو يقول: أوه! وهل تستطيع خادمته - التي لا أفهم أن لديك غيرها - أن تؤكد قولك هذا؟

- لا، فقد كان مساء أمس عطلتها الدورية.

- فهمت.

قالت السيدة ليسترينج بمرح: ولذلك فليس أمامك مع الأسف - إلا الاعتماد على كلمتي وحدها.

- أنت تعلين جدياً - إذن - أنك كنت في البيت طوال مساء أمس؟

- لقد قلت بين السادسة والسابعة أيها المفتش. خرجت للترهة سيراً على الأقدام في وقت سابق من عصر أمس، وقد عدت في وقت ما، قبل الخامسة بقليل.

- وإذا ما أعلنت سيدة - ولتقل الأنسة هارتيل مثلاً - أنها جاءت هنا في حوالي السادسة وقرعت الجرس ولم تلق جواباً بحيث اضطرت للعودة، أفقولين عندها إنها مخطئة؟

هزت السيدة ليسترينج رأسها بالنفي وقالت: أوه، كلا.

- ولكن...

- إن كانت خادمتك موجودة فبوسعك إرسالها لتقول إنك لست في البيت، ولكن إن كان المرء بمفرده وصدف أنه لا يريد رؤية زوار فإن كل ما يستطيع فعله عندها هو تركهم يقرعون الجرس.

بدأ المفتش سلاك متحيراً قليلاً، فقالت السيدة ليسترينج: إن النساء الكهلات يثرن في السأم الشديد، والأنسة هارتيل مملة بشكل خاص. أقلنها قرعت الجرس خمس مرات على الأقل قبل أن تذهب.

ثم ابتسمت بغدوبة للمفتش سلاك الذي يذل متحياً أسئلته: إذا فُدر لأحد أن يقول إنه رآك خارجة في مثل ذلك الوقت...

- أوه! ولكن أحداً لم يقل ذلك، أليس كذلك؟

كانت سريعة في تلقف نقطة ضعفه، فأضافت تقول: لم

يشاهدني أحد في الخارج؛ لأنني كنت في الداخل كما قلت لك.

- صحيح تماماً يا سيدتي.

قدم المفتش كرسيه قليلاً وقال: فهمتُ يا سيدتي أنك قمت
بزيارة للكولونيل بروثيرو في منزله في الليلة التي سبقت مقتله؟

قالت السيدة ليسترينج بهدوء: هذا صحيح.

- هل يمكنك أن تعطيني لمحة عن مضمون تلك الزيارة؟

- كانت تتعلق بقضية خاصة أيها المفتش.

- أحشى أن من واجبي سؤالك عن طبيعة تلك القضية الخاصة.

- لن أعيرك شيئاً من هذا القبيل. سأكتفي بأن أؤكد لك أن
شيئاً مما قيل في تلك المقابلة لا يمكن أن تكون له علاقة بالجريمة.

- لا أظنك أفضل من يحكم على ذلك.

- على كل حال ستضطر للاعتماد على ما أقوله أنا في هذا
الشأن أيها المفتش.

- إنني -في الواقع- مضطر للاعتماد على ما تقولينه في الأمور
كلها كما يبدو.

وافقته قائلة وهي ما تزال على نفس الهدوء المبتسم: يبدو
الأمر كذلك بالفعل.

احمرَّ وجه المفتش سلاك كثيراً وقال: "هذه قضية جديدة يا

سيدة ليسترينج. إنني أريد الحقيقة..."، ثم ضرب بقيضته على
الطاولة وأضاف: وأنا أنوي الحصول عليها.

لم تقل السيدة ليسترينج شيئاً على الإطلاق، فقال المفتش: ألا
ترين يا سيدة أنك تضعين نفسك في موضع الشك الكبير؟

مرة أخرى لم تقل السيدة ليسترينج شيئاً، فقال المفتش:
سيتعين عليك أن تدلي بشهادتك في التحقيق.

- نعم.

لم ترد على هذه الكلمة شيئاً، وقالتها دون تشديد أو اهتمام.
غير المفتش أسلوبه وقال: أكنت على معرفة بالكولونيل بروثيرو؟

- نعم، كنت على معرفة به.

- معرفة وثيقة؟

سكنت قليلاً قبل أن تحيب: لم أكن قد رأيته منذ عدة سنوات.

- وهل كنت على معرفة بالسيدة بروثيرو؟

- لا.

- أعذريني، ولكن زيارتك له كانت في وقت غير طبيعي أبداً
ولا يصلح لزيارة الناس.

- ليس من وجهة نظري.

- ماذا تعنين بذلك؟

الفصل السادس عشر

كدت أصطدم -وأنا خارج- بالدكتور هيدوك على عتبة البيت. كان قد التفت لينظر بحدة إلى سلاك الذي كان يعبر البوابة لتوه، ثم سألتني: أكان يحقق معها؟
- نعم.

- أرجو أن يكون قد تصرف بتهذيب؟

التهذيب برأيي فن لم يتعلمه سلاك أبداً، ولكنني افترضت أنه كان مهذباً وفقاً لمعايير هـ، كما أنني لم أرد على أية حال أن أزيد في إزعاج هيدوك؛ فقد كان يبدو قلقاً مزعجاً أساساً، ولذلك قلت إنه كان مهذباً تماماً.

أوماً هيدوك برأسه ودخل المنزل فيما مضيت أنا عبر شارع القرية حيث ما لبثت أن لحقت بالمفتش. ويخيل لي أنه كان يمشي متمهلاً عن قصد؛ إذ بالغاً ما بلغ كرهه لي، لم يكن المفتش بالرجل الذي يدع الكراهية تقف في طريق اكتسابه لمعلومة مفيدة.

سألني مباشرة ودون مواربة: هل تعرف شيئاً عن المرأة؟

- أردت أن أرى الكولونيل بروثيرو بمفرده. لم أرغب برؤية زوجته أو ابنته؛ واعتبرت ذلك أفضل طريقة لتحقيق هدفي.

- ولماذا لم ترغي برؤية السيدة أو الأنسة بروثيرو؟

- هذا أمر يخصني أنا أيها المفتش.

- أنت -إذن- ترفضين قول المزيد؟

- تماماً.

نهض المفتش سلاك قائلاً: ستضعين نفسك في موقف سيء يا سيدتي إن لم تحذري. هذا كله يبدو سيئاً... يبدو سيئاً جداً.

ضحكت. وكان بودي أن أقول للمفتش سلاك إن هذه ليست من النساء اللاتي يمكن تخويفهن بسهولة.

قال وهو ينسحب بما بقي له من كرامة: حسناً، لا تقولي إنني لم أحذرك، هذا كل ما في الأمر. طاب مساؤك يا سيدتي، وتذكري أننا سنصل إلى الحقيقة.

ثم غادر، فنهضت السيدة ليسترينج ومدت يدها إليّ قائلة: ساودعك... نعم، هذا أفضل. لقد فات وقت النصيحة الآن. لقد اخترت دوري.

ثم كررت بصوت فيه شيء من الوحدة والكآبة: لقد اخترت دوري.

* * *

قلت له إنني لا أعرف شيئاً أبداً، فسألتني: ألم تقل شيئاً عن سبب قدومها للعيش هنا؟

- لا.

- ومع ذلك ذهبت ورأيتهما؟

أجبتته متفادياً الإشارة إلى أنني استعدت لرؤيتهما: إن زيارة أعضاء أبرشيته تشكل أحد واجباتي.

- هممم، أظنها كذلك.

سكت لحظات ثم مضى يقول وكأنه لا يستطيع مقاومة إغراء الحديث عن فشله الأخير: يبدو لي الأمر مريباً.

- أترى ذلك؟

- إن سألتني لقلت لك إنه موضوع "ابتزاز". يبدو ذلك غريباً عندما يفكر المرء بكل ما كان يُفترض بالكولونيل بروثيرو أن يكونه، ولكن هذه هي الدنيا، لا يستطيع المرء أن يحزر الناس. لن يكون أول راعي كنيسة ذي حياة سرية أخرى.

طافت بذهني ذكريات باهتة لملاحظات أبدتها الأنسة ماريل عن نفس الموضوع. قلت له: أنظرن حقاً أن ذلك محتمل؟

- إنه تفسير يناسب الحقائق يا سيدي. لماذا تأتي سيده أنيقة جميلة إلى مثل هذه المنطقة البائسة الصغيرة؟ لماذا تذهب وتراه في ذلك الوقت الغريب المستهجن؟ لماذا تحب رؤية السيدة والأنسة بروثيرو؟ نعم، الأمر كله ينسجم مع بعضه البعض. شيء رهيب

بالنسبة لها أن تعترف... فالابتزاز جرم يعاقب عليه القانون. ولكننا منحصل منها على الحقيقة، فربما كان لها علاقة وثيقة بالقضية. إن كان للكولونيل بروثيرو سر دفين في حياته يشعر إزاءه بالذنب... شيء مشين مثلاً، قبوسعك أن ترى بنفسك أي مجال يفتح بذلك.

أحسب أن مجالاً قد انفتح فعلاً.

- كنت أحاول حمل كبير الخدم على الكلام. ربما كان قد سمع شيئاً من الحديث الذي دار بين الكولونيل بروثيرو والسيدة ليسترينج. الخدم يسمعون أحياناً، ولكنه أقسم أنه لا يعرف شيئاً أبداً عن موضوع الحديث. وبالمناسبة فقد طُرد من عمله بسبب ذلك؛ فقد هاجمه الكولونيل غاضباً من إدخاله لها، وقد رد كبير الخدم بأن قدّم إشعاراً بترك العمل. قال إن المكان لم يعجبه أساساً وأنه كان يفكر بالمغادرة منذ وقت طويل.

- غريب.

- وهذا ما يعطينا شخصاً آخر بحمل ضعيفة للكولونيل.

- لا أظنك تشتهيه به جدياً... ما هو اسمه بالمناسبة؟

- اسمه ريفز، وأنا لا أقول إنني أشك به فعلاً. ما أقوله هو إن المرء لا يستطيع الحزم؛ إنني لا أرتاح لحُلُقهِ المتعلق المداهن ذاك.

تساءلت ما الذي يمكن لريفز أن يقوله عن حُلُقِ المفتش سلاك.

قال: إنني ذاهب لاستجواب السائق الآن.

قلت له: ربما استطعت - إذن - أن تأخذني معك في سيارتك.

أريد أن أرى السيدة بروثيرو قليلاً؟

- لماذا؟

- بشأن ترتيبات الجنازة.

- أوه!

بدأ المفتش وكأنه فوجي، ثم قال: جلسة التحقيق غداً، السبت.

- نعم، ربما تم ترتيب أمر الجنازة لتكون يوم الثلاثاء.

بدأ المفتش سلاك وكأنه عجل قليلاً من جفائه معي، وقد حاول أن يتلطف بدعوتي للحضور في مقابلته مع السائق المدعو مانغ.

كان مانغ فتى لطيفاً لم يتجاوز الخامسة أو السادسة والعشرين من عمره. وكان كمن يرى في المفتش مصيبة تؤرقه. قال سلاك: حسناً يا فتاي، أريد معلومة صغيرة منك.

تمتم الشاب متلعثماً: "نعم يا سيدي، بالتأكيد". ولو كان هو نفسه الذي ارتكب الجريمة لما بدا أكثر ذعراً مما هو الآن.

- لقد أخذت سيدك إلى القرية أمس؟

- نعم يا سيدي.

- في أي وقت؟

- في الخامسة والتصف.

- والسيدة بروثيرو ذهبت أيضاً؟

- نعم يا سيدي.

- وهل ذهبت مباشرة إلى القرية؟

- نعم يا سيدي.

- ولم تتوقف في أي مكان على الطريق؟

- كلا يا سيدي.

- وماذا فعلت عندما وصلت هناك؟

- أخبرني الكولونيل بأنه لن يحتاج السيارة ثانية وأنه سيعود إلى البيت مشياً. كان لدى السيدة بروثيرو أشياء تريد شرائها، وقد وضعت الأكياس في السيارة، ثم قالت إن ذلك يكفي فرجعت إلى البيت.

- تاركاً إياها في القرية؟

- نعم يا سيدي.

- في أي وقت كان ذلك؟

- في السادسة والرابع يا سيدي، في السادسة والرابع تماماً.

- أين تركتها؟

- قرب الكنيسة يا سيدي.

- هل أشار الكولونيل أية إشارة إلى أين كان يعتزم الذهاب؟

- قال شيئاً عن اضطرابه لرؤية الطبيب البيطري... بشأن أحد العيول كما أظن.

- فهمت. وهل قدت السيارة مباشرة إلى المنزل هنا؟

- نعم يا سيدي.

- لمنزل أولد هول مدخلان؛ جنوبي وشمالى، وأظن أن الذهاب إلى القرية يقتضي استخدام المدخل الجنوبي، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي، دائماً.

- وقد عدت من نفس الطريق؟

- نعم يا سيدي.

- همم، أظن أن هذا كل ما لدي. آه! ها هي الآنسة بروثيرو.

جاءت ليتيس نحونا وقالت: أريد سيارة الفيات يا مانتغ، هل لك أن تشغلها لي؟

- حسناً يا آنستي.

ذهب باتجاه سيارة ذات مقعدين ورفع غطاء محركها.

قال المفتش سلاك: لحظة يا آنسة بروثيرو... من الضروري أن أسجل تحركات الجميع مساء أمس، دون أن يعني ذلك أية إساءة.

حدقت ليتيس به وقالت: لا أعرف وقت أي شيء أقوم به.

- علمت أنك عرجت مباشرة بعد الغداء أمس؟

أومات بالإيجاب فقال: إلى أين ذهبت، من فضلك.

- ذهبت للعب التنس.

- مع من؟

- مع عائلة هارنلي نابيير.

- في قرية مَنش بينهام؟

- نعم.

- ومتى عدت؟

- لا أدري، قلت لك إنني لا أعرف هذه الأشياء.

قلت: لقد عدت في حوالي الساعة والنصف.

قالت: هذا صحيح، عدت في وسط المعمة، حيث كانت آن تعرض لنوبات وغريزدا تعتي بها.

قال المفتش: شكراً لك يا آنسة، هذا كل ما أردت معرفته.

قالت الفتاة: ما أغرب ذلك، يبدو الأمر خالياً من أية إثارة!

ثم تحركت باتجاه السيارة.

لمس المفتش جيبه كمن يفعل ذلك خلسة وقال: مهزوزة قليلاً؟

- أبداً، ولكنها تحب أن يُعتقد فيها ذلك.

- حسناً، سأذهب لاستجواب الخادومات الآن.

لا يمكن للمرء حقاً أن يحب سلاك، ولكنه يمكن أن يعجب

بطاقته ونشاطه. افترقنا وسألت ريفز إن كان يوسعي رؤية السيدة

بروثيرو فقال: إنها مستلقية الآن يا سيدي.

- إذن فمن الأفضل ألا أزعجها.

- ولكن ربما كان بوسعك الانتظار يا سيدي. أظن أن السيدة بروثيرو تنوِّق لرؤيتك... كانت تقول شيئاً من ذلك أثناء الغداء.

فأدني إلى غرفة الجنوس وأضاء الأنوار؛ إذ كانت المصاريح الخشبية للنوافذ مغلقة. قلت: إن هذا الأمر كله محزن جداً.

- نعم يا سيدي.

كان صوته بارداً يوحي بالاحترام. نظرتُ إليه... ترى ما هي المشاعر التي تعتمل تحت هذا المظهر السلي المحايِد؟ أكان يعرف أشياء وكان بوسعه إخبارنا بها؟ ما من شيء أكثر بعداً عن الإنسانية من قناع الخادم الجيد.

- أحتاج شيئاً بعد يا سيدي؟

تساءلت إن كان خلف تلك العبارة الدقيقة شيء من الحرص على الذهاب، ولكنني أجبت قائلاً: لا شيء بعد.

لم يطل انتظاري كثيراً قبل أن تأتي آن بروثيرو. ناقشنا وأقررنا بعض الترتيبات، ثم هتفت: ما أطف الدكتور هيدوك!

- إن هيدوك أفضل رجل أعرفه.

- لقد كان شديد اللطف معي. ولكنه يبدو حزناً جداً، أليس كذلك؟

لم يكن قد خطر لي أبداً من قبل أن أفكر بهيدوك كرجل حزين.

قلبت الفكرة في رأسي ثم قلت أخيراً: لا أظنني لاحظت ذلك أبداً.

- وأنا أيضاً لم ألاحظه، حتى اليوم.

- إن متاعب المرأة تجعل نظرتها حادة أحياناً.

قالت: "هذا صحيح جداً"، وسكنت قليلاً ثم قالت: يا سيد كليمنت، شيء واحد لا أستطيع فهمه على الإطلاق: إن كان زوجي قد قُتل مباشرة بعد أن تركته فكيف لم أسمع الطلقة؟

- إن لديهم سبباً للاعتقاد بأن الطلقة أطلقت في وقت لاحق.

- ولكن ماذا عن الساعة ٦.٢٠ على الرسالة؟

- ربما أضافتها يد أخرى... يد القاتل.

شجبت وجنتها فقلت: ألم يثر انتباهك أنها لم تكن بخط يده؟

- ما أفضح ذلك!

- ولا يبدو شيء من تلك الرسالة شبيهاً بخط يده.

كان في تلك الملاحظة شيء من الصحة. فقد كانت الرسالة مكتوبة بخط ضخم كتب على عجل بحيث لا يكاد يفهم، ولم يكن عطاءً دقيقاً محكماً كخط بروثيرو المعتاد. سألتني آن: أأنت متأكد من أنهم ما عادوا يشكون في لورنس؟

- أظن أن ساحته قد بُرئت بالتأكيد.

- ولكن يا سيد كليمنت، من عسى القاتل يكون؟ صحيح أن

زوجي لم يكن محبوباً ولكني لا أظن أن له أعداء حقيقيين. ليس...
ليس هذا النوع من الأعداء.

هزرت رأسي وقلت: إنه لغز.

فكرت متعجباً بالمشتبهين السبعة الذين ذكرتهم الآنسة ماربل.
من عساهم يكونون؟

بعد أن استأذنت بالانصراف شرعت في تنفيذ خطة معينة
خاصة بي. عدت من أولد هول سالكاً الممشى الخاص، وحين وصلت
إلى الدرج الصغير المخصص للعبور فوق السياج عدت أدراجي، ثم
اختبرت مكاناً تخيلت أن به آثاراً تدلّ على أن أحداً قد جاس في
العشب، فانعطفت عن الممشى وشفقت طريقي بصعوبة بين
الأغصان. كانت الغابة كثيفة، وتحت الأشجار أعشاب وشجيرات
كثيرة، ولذلك لم يكن تقدمي سريعاً. وفجأة أحسست أن شخصاً
يتحرك بين الأغصان غير بعيد عني، وفيما وقفت متردداً ظهر لورنس
ريدنغ وهو يحمل حجراً ضخماً.

وأحسب أن الدهشة ارتسمت على وجهي، لأنه انفجر ضاحكاً
فجأة وقال: أوه، كلا. ليس هذا أحد أدلة الجريمة، إنه عرض سلام.

- عرض سلام؟

- أيمكن أن نسميه أساساً لمفاوضات مثلاً؟ أريد حجة
لزيرة جارتك، الآنسة ماربل، وقد قيل لي إنها لا تحب شيئاً جها
لصخرة صغيرة جميلة تضعها في الحديقة الصخرية اليابانية التي
تنظمها في حديقته.

- صحيح تماماً، ولكن ما الذي تريده من العجوز؟

- أريد التالي: إن كان من شيء يُرى في أحداث الأمس فإن
الآنسة ماربل هي المؤهلة لرؤية ذلك الشيء. وأنا لا أعني بالضرورة
شيئاً ذا علاقة بالجريمة... أو تحسب هي أن له علاقة بالجريمة. ما
أعنيه هو حدث غريب أو حدث خارج عن المألوف، حدث بسيط
صغير يمكن أن يعطينا مؤشراً ما على الحقيقة؛ شيء ربما لا ترى فيه
الآنسة ماربل ما يستحق أن يُذكر للشرطة.

- أحسب ذلك ممكناً.

- إنه يستحق المحاولة على أية حال. أنا أريد أن أصل إلى
قراره هذا الأمر، إكراماً لأن إن لم يكن لشيء آخر. كما أنني لا أثق
كثيراً بقدرة سلاك... إنه رجل متحمس، ولكن الحماسة لا يمكن
حقاً أن تغني عن العقل.

- أراك واحداً من تلك الشخصيات القصصية التي تظهر في
القصص البوليسية، شخصية رجل التحري الهاوي. ولكني لا أظن أن
مثل هذه الشخصية يمكن أن تقف بمحاذاة المحترفين في واقع الحياة.

نظر إليّ نظرة حادة ثم ضحك فجأة وقال: ما الذي تفعله في
الغابة أنت؟

احمرّ وجهي فقال لورنس: يوسعي أن أقسم أنك تفعل ما
أفعله أنا تماماً. إن لدينا نفس الفكرة، أليس كذلك؟ كيف جاء
القائل إلى المكتب؟ الطريق الأول عبر الطريق الترابي ثم عبر
البوابة، والطريق الثاني من خلال الباب الأمامي، والطريق الثالث...

هل يوجد ثالث؟ كانت فكرتي أن أرى إن كان في أي مكان قرب
حدار حديقتكم آثار لإفساد العشب أو تكسير أغصان الشجيرات.

اعترفت له قائلاً: كانت تلك بالضبط فكرتي.

- ولكنني لم أشرع بالمهمة فعلاً بعد، فقد خطر لي أن أرى
الآنسة ماربل أولاً لأؤكد من أن أحداً لم يعبر الطريق الترابي مساء
أمس ونحن في المرسى.

هزئت رأسي مشككاً وقلت: لقد كانت جازمة تماماً بأن
أحداً لم يعبر من هناك.

- نعم، لم يعبر أحد معني يمكن للآنسة ماربل أن تسميهم
"أحداً"... تبدو تلك فكرة محنونة، ولكنك تفهم ما أعنيه. إذ ربما
مر من هناك شخص كساعي البريد أو بائع الحليب أو صبي
الجزار... شخص يكون حضوره طبيعياً إلى درجة لا يشعر معها
المرء بضرورة ذكره.

- أظنك كنت تقرأ قصص غيلبرت تشيسترين البوليسية.

لم يتكرر لورنس ذلك ولكنه قال: ولكن ألا تظن أن هذه الفكرة
قد تحمل شيئاً في طياتها؟

- حسناً، ربما كان بها شيء.

مضينا بعد ذلك إلى بيت الآنسة ماربل دون مزيد من اللغط.
كانت الآنسة ماربل تعمل في الحديقة، وقد نادتنا عندما صعدنا الدرج
الصغير فوق السياج، فتمتم لورنس قائلاً: إنها ترى الجميع فعلاً.

استقبلتنا بكل لطف، وسررت كثيراً بالحجر الضخم الذي
أحضره لورنس وقدمه لها بكل جدية، إذ قالت له: هذا لطف بالغ
منك يا سيد ريدنغ... لطف بالغ حقاً.

شرع لورنس بالقاء أسئلته وقد شجعه سماعه لذلك، فيما
أصغت الآنسة ماربل باهتمام ثم قالت: نعم، أفهم ما تعنيه وأنفق
معك تماماً، فهذا أمر لا يهتم أحد بذكره. ولكنني أؤكد لك أن شيئاً
من ذلك لم يحصل، إطلاقاً.

- أنت واثقة يا آنسة ماربل؟

- واثقة تماماً.

سألته أنا: هل رأيت أحداً يذهب عبر الممشى إلى الغابة أو
يأتي منها عصر ذلك اليوم؟

- أوه، نعم، كثير من الناس. فقد ذهب الدكتور ستون
والآنسة كرام من تلك الطريق؛ فهي الأقرب إلى ذلك القبر بالنسبة
إليهم. كان ذلك بعد الساعة الثانية بقليل، وقد عاد الدكتور ستون
من ذلك الطريق كما تعلم يا سيد ريدنغ... باعتباره انضم إليكما
أنت والسيدة بروثيرو.

قلت: "بالمناسبة، تلك الطلقة... التي سمعناها يا آنسة ماربل.
لا بد أن السيد ريدنغ والسيدة بروثيرو سمعاها أيضاً". ثم نظرت
متسائلاً إلى لورنس، فقال وهو يعبس: نعم، أظنني سمعت صوت
بعض الطلقات. ألم تكن طلقة أو اثنتين؟

قالت الآنسة ماربل: أنا لم أسمع إلا واحدة.

قال لورنس: إنه انطباع باهت جداً في ذهني. تباً، ليتني
أستطيع التذكر. لو أنني كنت أعرف فقط. المشكلة أنني كنت...

ثم توقف محرجاً. وسعلت بشيء من اللياقة، فقامت الأنسة
ماربل بتغيير الموضوع قائلة: لقد كان المفتش سلاك يحاول حملي
على أن أحدد إن كنت قد سمعت الطفلة بعد أن غادر السيد ريدنغ
والسيدة بروثيرو المرسم أم قبل ذلك، وقد اضطررت للاعتراف
بأنني لا أستطيع الحزم بالتحديد، ولكن لدي انطباعاً يقوى كلما
فكرت فيه، وهو أن الطفلة كانت بعد خروج الإثنين.

تهدد لورنس وقال: هذا ما يجعل الدكتور ستون خارج
الموضوع على أية حال، دون أن يعني ذلك وجود أدنى سبب
للالترياب بأنه هو الذي أطلق النار على بروثيرو المسكين.

قالت الأنسة ماربل: آه! ولكنني أجد دوماً من التعقل الالترياب
قليلاً بالجميع. ما أقوله هو أنك حقاً لا تدري، أليس كذلك؟

كان ذلك هو المعهود من الأنسة ماربل. سألت لورنس إن
كان يتفق معها بشأن الطفلة فقال: لا أستطيع الحزم حقاً فقد كان
الصوت عادياً تماماً. إنني أميل إلى الظن بأن الطفلة أطلقت وتحن
في المرسم؛ إذ أن ذلك يخفف من سماع الصوت، ويقلل من
احتمال الإلتباه إليه.

رأيت في نفسي أسباباً غير هذه لعدم الانتباه.

قال لورنس: يجب أن أسأل آن، فربما تذكرت. بالمناسبة،
يبدو لي أن حقيقة غريبة تحتاج إلى تفسير. السيدة ليسترينج، لغز

قريبة سينت مبيري ميد، قامت بزيارة لبروثيرو بعد العشاء ليلة
الأربعاء، ويبدو أن أحداً لا يدري ما هو سبب الزيارة؛ إذ لم يقل
بروثيرو شيئاً لا لزوجه ولا لابنته.

قالت الأنسة ماربل: ربما كان الكاهن يعرف.

حسناً، كيف قُدر لهذه المرأة أن تعرف أنني كنت في زيارة
السيدة ليسترينج عصر اليوم؟ غريبة جداً الطريقة التي تُعرف بها
الأمور دوماً. هزرت رأسي وقلت إنني لا أستطيع إلقاء أي ضوء على
هذه المسألة، فسألت الأنسة ماربل: ما رأي المفتش سلاك؟

- بذل كل ما في وسعه لتخويف الخادم... ولكن الخادم لم
يكن في الظاهر فضولياً بحيث يسرق السمع خلف الباب. وهكذا
بقي الأمر على حاله... لا أحد يدري.

قالت الأنسة ماربل: ومع ذلك فإنني أظن أن أحداً ما قد سمع
شيئاً، ما رأيك؟ أعني أنك تجد دوماً من يسمع أشياء. وفي هذه
النقطة أحسب أن بوسع السيد ريدنغ أن يعثر على شيء ما.

- ولكن السيدة بروثيرو لا تعرف شيئاً.

قالت الأنسة ماربل: لم أقصد السيدة بروثيرو، بل قصدت
الخادومات. إنهن يكرهن كثيراً إبلاغ الشرطة بما يعرفن، أما بالنسبة
لشباب وسيم لطيف... وأرجو أن تعذرني في ذلك يا سيد ريدنغ...
وبالنسبة لشباب تم الاشتباه به دون وجه حق... أوه! إنني واثقة أنهن
سيخبرنه في الحال.

قال لورنس بحماسة: سأذهب وأقوم بمحاولة مساء اليوم،

شكراً على هذه اللقطة يا آنسة ماريل. سأذهب بعد... بعد القيام بعملية بسيطة أريد أنا والكاهن القيام بها.

خطر لي أن من الأفضل أن نمضي لعملنا، فودعت الآنسة ماريل ثم دخلنا الغابة من جديد.

ذهبنا أولاً في الممشى صعوداً حتى وصلنا إلى نقطة بدا مؤكداً فيها أن أحدهم ترك الممشى عندها ودخل يميناً إلى الغابة. وقد شرح لورنس بأنه قد سبق وتابع هذا الأثر تحديداً ووجد أنه لا يعود إلى شيء، ولكنه أضاف أن لا ضير من المحاولة ثانية، إذ ربما كان مخطئاً. ولكن الأمر كان كما قال، فما هي إلا عشرة أمتار أو أكثر قليلاً حتى اختفى أي أثر لائتواء الأغصان أو دوس العشب. وكانت هذه المنطقة هي التي تركها لورنس وعاد إلى الممشى ليجدني هناك في وقت سابق من عصر اليوم.

عدنا إلى الممشى ثانية ومشينا فيه مسافة أبعد، ومرة أخرى وصلنا مكاناً بدت فيه الأغصان وكان أحداً جالس خلالها. كانت الآثار خفيفة جداً ولكن لا مراء فيها كما بدا لي. كان اقتفاؤنا للأثر هذه المرة واعداً أكثر، فقد اتبع الأثر خطأ ملتوياً والتفت حتى اقترب من يميني، وسرعان ما وصلنا إلى حيث تنمو الأغصان بكثافة إلى أعلى الحائط، والحائط عال غرست في أعلاه شطايا من الزجاج، ولو أن أحداً وضع عليه سُلماً لتوجب العثور على آثار ذلك.

كنا نشق طريقنا ببطء بمحاذاة الحائط عندما تناهى إلى أسمعنا صوت انكسار غصن صغير. اندفعت للأمام شاقاً طريقتي عبر مجموعة من الشجيرات الكثيفة، وسرعان ما وجدت أمامي المفتش

سلاك وجهاً لوجه. قال المفتش: هذا أنت إذن، والسيد ريدنغ أيضاً. ماذا تفعلان هنا أيها السيدان؟

شرحنا له وقد هبطت معنوياتنا بعض الشيء فقال: حسناً، أنا شخصياً خطرت لي نفس الفكرة، فنحن لسنا بالمغفلين كما يُظن عادة. أنا هنا منذ ساعة تقريباً... أتودون أن تعرفوا شيئاً؟

قلت بإذعان: نعم.

- كائناً من كان قاتل الكولونيل بروثيرو فإنه لم يأت من هذا الطريق! لا أثر في هذا الجانب من الحائط ولا في الجانب الآخر. القاتل دخل من الباب الأمامي، ولا يمكن أن يكون قد اتبع طريقاً آخر.

صحت: مستحيل!

- لماذا مستحيل؟ إن بابك مفتوح دائماً، وما على المرء إلا أن يدخل، فلا يمكن لأحد أن يرى من المطبخ مَنْ يدخل من الباب الأمامي. والداخل متيقن من أنك غائب، ويعلم أن زوجتك في لندن وأن دينيس مشغول بلعبة تنس. الأمر أبسط من البساطة... كما أن القاتل ليس بحاجة لأن يذهب أو يأتي عبر القرية، فمقابل بوابة بيتك تماماً طريق ترابي عام، ومن ذلك الطريق يمكن للمرء أن ينعطف ليدخل في هذه الغابة نفسها ثم يخرج من أي مكان يريد. الأمر كله في غابة الأمان ما لم تخرج السيدة ريدلي من بوابة بيتها الأمامية في تلك اللحظة بالذات. نعم، لقد سلك القاتل تلك الطريق، عذاها مني.

بدا الأمر فعلاً وكأن المفتش مصيب فيما يقوله.

* * *

مسبقاً، ولو كان الأمر مجرد مزحة بريئة أو مقلب لما تم مسح البصمات بكل ذلك الحرص.

- نعم، أفهم ذلك.

- ويرهن ذلك أيضاً على أن القاتل كان يعرف تماماً منزل أولاد هول وما حوله. لم تكن السيدة بروثيرو هي من أجرى تلك المكالمات؛ فقد تحققت من كل دقيقة قضتها في عصر ذلك اليوم. العديد من الخدم مستعدون للقسم بأنها كانت في البيت حتى الساعة الخامسة والنصف، ثم جاء المسائق بالسيارة فأخذها وزوجها إلى القرية حيث ذهب الكولونيل لرؤية الطبيب البيطري بشأن أحد الخيول. أما السيدة بروثيرو فقد طلبت بعض الطلبات من البقال وبائع السمك، ومن هناك ذهبت مباشرة عبر الممشى الخلفي حيث رأتها الآنسة ماربل. كل أصحاب الدكاكين متفقون على أنها لم تكن تحمل حقيبة معها، وبذلك كانت العجوز على صواب.

- هي دائماً على صواب!

- ولينيس كانت في متش بينهما في الخامسة والنصف.

- صحيح، فقد كان ابن أخي هناك أيضاً.

- ذلك يجعلها خارج الموضوع. الخادمة تبدو على ما يرام... منزعة وهستيرية التصرفات قليلاً، ولكن ماذا يوسع المرء أن يتوقع غير ذلك؟ لقد أقيمت كبير الخدم تحت انتباهي بالطبع، بسبب تقديم إشعار إنهاء عمله وغير ذلك، ولكنني لا أظنه يعرف شيئاً عن الأمر.

- يبدو أن تحرياتك انتهت إلى نتيجة سلبية أيها المفتش.

الفصل السابع عشر

جاء المفتش سلاك لرؤيتي في صباح اليوم التالي، ورأيت أنه بدأ يصبح ودوداً تجاهي، فربما نسي مع الوقت حادث الساعة. قال محيياً: مرحباً يا سيدي. لقد تبعت تلك المكالمات الهاتفية التي جاءتك.

قلت بلهفة: حقاً؟

- أمرها غريب بعض الشيء. لقد أحرّيت من غرفة البواب عند البوابة الشمالية لمنزل أولاد هول. تلك الغرفة فارغة الآن، فالبواب القديم أحيل على التقاعد ولم يوظف بواب جديد بعد. كان المكان خالياً ومناسباً... وكانت النافذة الخلفية مفتوحة! ولم نعر على آثار بصمات على جهاز الهاتف نفسه فقد تم مسحها بعناية، وهو أمر ذو دلالة.

- ماذا تعني؟

- أعني أن ذلك يرهن أن المكالمات أحرّيت معك عمداً بقصد إبعادك عن البيت؛ ولذلك فإن الجريمة قد تم التخطيط لها بعناية

- هذا صحيح وغير صحيح يا سيدي؟ فقد ظهر أمر غريب جداً... وعلى غير توقع إذا صح التعبير.

- وما هو؟

- أنذكرُ تلك الضجة التي أثارها جارتك السيدة برايس ريديلي صباح أمس؟ بشأن تلك المكالمة التي تلقيتها؟

- نعم.

- تتبعنا تلك المكالمة لمجرد تهديتها، فمن أين تقننها أجريت؟

توقعت قائلاً: من مكتب بريدي؟

- لا يا سيد كليمنت... فقد أجريت المكالمة من بيت السيد

لورنس ريدينغ.

هتفتُ مندهشاً: ماذا؟

- نعم، أمر غريب، أليس كذلك؟ ولكن لا علاقة للسيد ريدينغ

بالمكالمة؛ ففي ذلك الوقت (أي السادسة والنصف) كان في طريقه

إلى فندق بلو بور مع الدكتور ستون على مرأى من سكان القرية

جميعاً. ولكن هذا ما جرى، وهو أمر له مدلولاته، أليس كذلك؟

لقد دخل أحدهم إلى ذلك البيت الفارغ واستخدم الهاتف، فمن

هو؟ نحن أمام مكالمتين غريبتين في يوم واحد، وهذا ما يدفع إلى

الاعتقاد باحتمال وجود علاقة بين المكالمتين، ولن أسمي نفسي

مفتش شرطة إن لم يكن من أجرى المكالمتين شخصاً واحداً.

- ولكن بأي هدف؟

- هذا ما ينبغي لنا أن نكشفه. لا يظهر أي هدف في المكالمة الثانية، ولكن لا بد من وجود هدف خفي ما. هل تدرك المغزى من ذلك كله؟ بيت السيد ريدينغ يُستخدم لإجراء المكالمة، ومسدسه يُستخدم للقتل، وكل ذلك يجعله محل الشبهات.

اعترضت قائلاً: كان الأقرب إلى ذلك الهدف أن تُجرى المكالمة الأولى من بيته.

- آه، كنت أفكر في حل لذلك. ما الذي يفعله السيد ريدينغ دائماً في فترة العصر؟ إنه يذهب إلى أولد هول ليرسم ليثيس، وهو يذهب راكباً دراجته النارية ويمر من خلال البوابة الشمالية. أترى الآن المغزى من إجراء المكالمة من هناك؟ إن القاتل لم يكن يعرف بأمر الشجار وبأن السيد ريدينغ لم يعد يذهب إلى أولد هول.

فكرت دقيقة لأستوعب النقاط التي ذكرها المفتش. بدت تلك النقاط منطقية لا مفر منها، وسألته: أكانت على هاتف السيد ريدينغ أية بصمات أصابع؟

قال المفتش بأسى: لم نجد بصمات... تلك العجوز المزعجة التي تنظف البيت كانت قد جاءت ونظفت كل شيء صباح أمس.

تفكرت بشيء من الاكتئاب ليضع دقائق ثم قال: إنها عجوز غبية على أية حال؛ فهي لا تستطيع أن تتذكر متى رأت المسدس آخر مرة، وبدأت تقول إنه ربما كان موجوداً هناك صباح يوم الجريمة وربما لم يكن! إنها لا تستطيع الحزم... كلهن سواء!

ثم مضى قائلاً: كإجراء شكلي ذهبت وقابلت الدكتور ستون،

وعليّ القول إنه كان سعيداً بالتجاوب في هذا الأمر. قال إنه ذهب مع الأنسة كرام إلى ذلك القبر المكتشف في حوالي الثانية والنصف من بعد ظهر أمس ويقبى هناك طوال فترة العصر، ثم عاد الدكتور ستون بمفرده وعادت هي لاحقاً. قال إنه لم يسمع أي صوت لطفلة، ولكنه اعترف بأنه شارد الذهن. ولكن أقواله كلها تؤيد ما نعتقده نحن.

- إلا أنك لم تمسك بالمحرم.

- هممم، لقد كان ما سمعته في الهاتف صوت امرأة، وكان ما سمعته السيدة برايس ريدلي في الهاتف صوت امرأة في أغلب الاحتمالات. ليت تلك الطفلة لم تأت مباشرة بعد انتهاء المكالمات.. حسناً، سأعرف أين أبحث.

- أين؟

- آه! هذا هو بالضبط ما يُستحسن ألا أقوله يا سيدي.

دعوت المفتش سلاك لشرب القهوة، وقد نجحت الفكرة - كما ظننت - فما كدنا نجلس لشربها حتى بدأ يغدو ودياً، ثم ما لبث أن قال: لا أظن أن في الحديث بأساً معك أنت، فسوف تبقي الحديث لنفسك، أليس كذلك؟ لن تدعه يدور بين الناس.

طمأنته في ذلك الصدد فقال: إنني أشعر - وأنا أرى كيف وقع الأمر كله في يديك - أن لك حقاً في المعرفة.

- هذا تماماً ما أشعر به أنا.

- حسناً إذن، ماذا عن المرأة التي زارت بروثيرو ليلة مقتله؟

صحت بصوت عال من دهشتي: السيدة ليسترينج؟

رماني المفتش بنظرة تأنيب وقال: لا تصرخ هكذا. إن السيدة ليسترينج هي المرأة التي أضعها نصب عيني. أنت تذكر ما أخبرتك به... عن الابتزاز.

- لا يكاد ذلك يكون مبرراً للقتل. ألن يكون ذلك بمثابة قتل الدجاجة التي تبيض ذهباً؟ هذا إذا افترضنا نظريتك صحيحة، وهو ما لا أقره لحظة واحدة.

رمش المفتش بعينه تحاملي وقال: آه! إنها من النوع الذي يعمل الرجال إلى مساندتها. اسمعني يا سيدي، لنفترض أنها قد نجحت في الماضي في ابتزاز الرجل، وبعد مرور عدة سنوات سمعت به فجاءت إلى هنا وحاولت ممارسة ذلك من جديد. ولكن الأمور تغيرت بعد كل هذه الفترة، فقد اتخذ القانون موقفاً مختلفاً تماماً، حيث منع في أيامنا هذه كل التسهيلات لمن يريدون رفع قضايا ابتزاز... فالأسماء مثلاً لا يُسمع بذكرها في الصحافة. لنفترض أن الكولونيل بروثيرو وقف في وجهها وقال إنه سيلاحقها قضائياً. ستكون عندها في ورطة صعبة. إنهم يصدرون أحكاماً مشددة جداً على الابتزاز. وهكذا انقلب السحر على الساحر، وبذلك لا يعود أمامها - لتنتقد نفسها - إلا أن تزيحه عن الطريق بأسرع ما يمكن.

كنت ساكناً. اضطررت للاعتراف بأن القضية التي رتبها المفتش كانت قابلة للتصديق. أمر واحد جعلها غير مقبولة لعقلي... ذلك هو شخصية السيدة ليسترينج.

قلت: إنني لا أتفق معك أيها المفتش، فهي لا تبدو لي كذلك.

إنها... حسناً، سأستعمل كلمة قديمة الطراز، إنها سيدة حقاً.

رماني بنظرة مشفقة ثم قال بشيء من التسامح: آه! حسناً يا سيدي، إنك رجل دين، ولا تعرف إلا قليلاً مما يجري. هه، سيدة! ستدهش لو عرفت بعضاً مما أعرفه.

- أنا لا أتحدث عن المنزل الاجتماعية المجردة. ويخيل لي على أية حال أن السيدة ليسترينج "عزيزة قوم ذلت" كما يقال. إن ما أعنيه هو مسألة... تهذيب شخصي.

- إننا ننظر إلى الأمر من زاويتين مختلفتين يا سيدي. صحيح أنني رجل... ولكني أيضاً ضابط شرطة، وليس بوسعي أن أعادي بتهذيبهم الشخصي. إن تلك المرأة من النوع الذي يمكنه طعن امرئ يسكين دون أن يرف لها حفن.

الغريب أن إمكانية إقدام السيدة ليسترينج على القتل بدت لي أسهل تصديقاً من احتمال إقدامها على الابتزاز. ومضى المفتش قائلاً: ولكنها لا يمكن بالطبع أن تكون قد اتصلت هاتفياً بحارثك وأطلقت النار في الوقت نفسه تماماً على الكولونيل بروثيرو.

لم تكذب تلك الكلمات تخرج من فمه حتى ضرب يده على فخذه بشدة وقال: وجدتها، كان ذلك هو الهدف من المكالمات الهاتفية. كانت بمثابة دليل غياب عن مكان الجريمة؛ فقد عرفت أننا ستربط بين المكالمتين. سوف أحقق في ذلك... ربما كانت قد رشت أحد صبيان القرية ليقوم بالاتصال نيابة عنها، وما كان لذلك الصبي أن يربط أبداً بين المكالمات وجريمة القتل.

ثم انطلق المفتش عارجاً. وأطلت غريزداً من الباب وقالت: الأنسة ماربل تريد رؤيتك؛ لقد أرسلت ملاحظة مكتوبة ليس فيها أي انسجام وقد كتبت بأحرف طويلة رفيعة وتحبتها خطوطاً للتأكيد. لم أستطع قراءة الكثير منها... أسرع بالذهاب إليها وانظر ما هي المسألة. ستأتيني العجائز في غضون دقائق، وإلا لكنت جئت معك.

أسرعت بالخروج وأنا حائر الذهن كثيراً فيما يخص سبب هذا الاستدعاء. وجدت الأنسة ماربل في حالة من العصبية والارتباك. كانت محمرة الوجه تخونها الكلمات، وبإدراستي شارحة: ابن أخي، ريموند ويست، الكاتب. إنه آت لزيارتي اليوم... أمر مرهق جداً. أنا مضطرة لأن أشرف بنفسي على كل شيء. لا يمكنك ائتمان خادمة حتى على ترتيب سرير بشكل جيد، كما ينبغي طبعاً تحضير وجبة فيها لحم هذا المساء. إن الرجال شديداً الحرص على وجود اللحم في طعامهم، أليس كذلك؟

- إن كان بوسعي أن أساعد...

- أوه! كم هو لطيف منك، ولكنني لم أقصد ذلك... ما يزال لدي وقت طويل في الواقع. يسعدني أنه يحضر معه غليونه الخاص وتبغ، ولكنني حزينة أيضاً لأن تخليص الستائر من رائحة الدخان التي تعلق بها يحتاج وقتاً طويلاً. إنني أقوم طبعاً بفتح النوافذ وهز الستائر جيداً كل صباح، فريموند يتأخر كثيراً في نومه... وأظن أن هذا حال الكتاب غالباً. إنه يكتب قصصاً رائعة، رغم أن الناس ليسوا بذلك السوء كما يصورهم، ألا ترى ذلك؟

سألتها وأنا ما أزال عاجزاً عن فهم سبب استدعائي: أتودين أن

ندعوه لتناول العشاء عندنا؟

- أوه! كلا، شكرًا لك. إنه لطيف بالبحر منك.

قلت وقد شارفت على اليأس: كان لديك... كان لديك شيء أردت رؤيتي بشأنه كما أظن.

قالت: أوه! طبعاً، غاب ذلك عن ذهني في غمرة الانفعال. ثم أغلقت الباب وعادت إليّ تمشي على رؤوس أصابعها وقالت: إنه أمر غريب نوعاً ما، حصل ليلة أمس. حسبت أنك ربما أحييت سماعه، مع أنه لا يبدو حالياً أمراً ذا معنى. لقد أصابني الأرق ليلة أمس، وأنا أفكر بكل هذا الأمر المحزون الذي حدث، ثم نهضت ونظرت من نافذتي، فماذا تظن أنني رأيت؟

نظرت إليها متسائلاً فقالت بتركيز شديد: غلاديس كرام. رأيتهما كما أراك الآن، تذهب إلى الغابة ومعها حقيبة.

- حقيبة؟

- أليس ذلك غريباً؟ ماذا عساها تفعل بحقيبة في الغابة في الساعة الثانية عشرة ليلاً؟ لا أظن أن للأمر علاقة بالجريمة، ولكنه أمر غريب جداً... ونحن نشعر في الوقت الراهن أن علينا أن نتنبه إلى الأشياء الغريبة.

- أمر مدهش جداً. أتراها كانت ذاهبة لتنام في ذلك القبر؟

- لم تفعل ذلك على كل حال؛ لأنها عادت بعد وقت قصير.

* * *

الفصل الثامن عشر

عقدت جلسة التحقيق في الساعة الثانية من عصر ذلك اليوم (السبت) في فندق بلو سور، ومن نافذة القول أن أذكر أن انفعال الأهالي كان عظيماً؛ إذ لم تحدث جريمة قتل في سينت ميري منذ أكثر من خمسة عشر عاماً على الأقل، كما أن مقتل رجل كالكولونيل بروثيرو في مكتب بيت الكاهن كان وليمة كبرى من الإثارة ما كان جمهور القرية ليحظى بمثلها إلا نادراً.

تناهت إلى مسامعي تعليقات متنوعة ربما لم يكن يراد لي أن أسمعها: "ها هو الكاهن، يبدو شاحباً، أليس كذلك؟ أنساءل إن كان له يد في هذه الجريمة. فقد ارتكبت الجريمة في بيته!". كيف تقولين ذلك يا ميري آدمز؟ ألم يكن في زيارة لهنري أبوت وقتها؟ "أوه! ولكن يقال إن كلاماً قد جرى بينهما. ها هي ميري هيل. إنها تختال، باعتبارها تعمل هناك. اسمعي، ها قد جاء المحقق".

كان المحقق هو الدكتور روبرتس من بلدة متش بينهام المجاورة، وقد تتنح وعُدل وضع نظارته وبدأ رجلاً ذا أهمية قبل أن يبدأ التحقيق. إن إعادة سرد كل ما تم الإدلاء به من شهادات سيكون

أمراً مملأً. قدم لورنس ريدنغ شهادته حول عشوره على الحثة، وتعرف على المسلسل مقرأ أنه لعد. وقال إنه يظن - بأفضل ما تسعفه ذاكرته - أنه رأى المسلسل يوم الثلاثاء، أي قبل يومين، وكان موضوعاً على رف في بيته، ولم يكن باب البيت يُغفل عادة.

أدلت السيدة بروثيرو بشهادة قالت فيها إنها رأت زوجها لآخر مرة في حوالي الساعة السادسة إلا ربعا عندما افترقا في شارع القرية، وقد وافقت على أن تمر عليه في بيت الكاهن لاحقاً. ذهبت إلى بيت الكاهن في حوالي السادسة والرابع من خلال الممشى الخلفي وبوابة الحديقة. لم تسمع أصواتاً في المكتب فتخيلت أن الغرفة فارغة، ولكن ربما كان زوجها جالساً إلى طاولة الكتابة، وفي هذه الحالة لم يكن من شأنها أن تراه. وقالت إنه كان - كما رآته - في حالته الطبيعية صحةً ومعنويات، وهي لا تعرف بوجود عدو يمكن أن يحمل له ضغينة.

ثم أدليت بشهادتي بعد ذلك، وشرحت مسألة مواعدي مع بروثيرو واستدعاني إلى بيت عائلة أبوت، وشرحت كيف وجدت الحثة وكيف استدعيت الدكتور هيدوك. سألتني المحقق: "كم من الناس كانوا على علم بأن الكولونيل بروثيرو سيأتي لرؤيتك في تلك الأمسية يا سيد كليمنت؟"، فقلت: "يخيل إلي أن الكثيرين كانوا يعلمون بذلك. زوجتي كانت تعلم، وابن أخي، وقد لمّح الكولونيل بروثيرو لتلك الحقيقة صباح ذلك اليوم عندما قابلته في القرية. وأظن أن الكثير من الناس ربما سمعوه، إذ كان يتحدث دوماً بصوت عالٍ لأن سمعه ثقيل". وسألتني المحقق: "أكان الأمر - إذن - أقرب إلى المعلومات العامة؟ وربما عرف به الجميع؟"، فأجبت بالإيجاب.

جاء دور الدكتور هيدوك بعد ذلك، وكان شاهداً هاماً. وصف بدقة وبأسلوب فني متخصص مظهر الحثة والإصابة التي تعرضت لها بالضبط. كان رأيه أن النار قد أطلقت على القنيل ما بين ٦.٢٠ و ٦.٣٠ تقريباً، ولم تتجاوز بالتأكيد الساعة ٦.٣٥، وكان ذلك أقصى حد لوقت ارتكاب الجريمة، وقد أكد الدكتور هيدوك جازماً على تلك النقطة. كانت مسألة الانتحار مستبعدة كلياً؛ إذ لم يكن ممكناً لأحد أن يلحق بنفسه مثل تلك الإصابة.

كانت شهادة المفتش سلاك مفتضبة متحفظة. تحدثت عن استدعائه والظروف التي عثر بها على الحثة. وقد تم إبراز الرسالة التي لم تكتمل، والإشارة إلى التوقيت المكتوب في أعلاها، كما تم ذكر ساعة الحائط. وقد ساد - بشكل غير مباشر - اقتراض أن وقت الوفاة كان ٦.٢٢. لم يكن الشرطة يفضون بشيء، وقد أخبرتني أن بروثيرو لاحقاً أنهم أوصوها بأن تعطي لزيارتها وقتاً أبكر قليلاً من الساعة ٦.٢٠.

كانت خادمتنا مارري هي الشاهدة التالية، وقد أثبتت أنها شاهدة شرسة. قالت إنها لم تسمع شيئاً، ولا تريد أن تسمع شيئاً؛ فليس كل من يأتي لزيارة الكاهن تطلق عليه النار، أبداً... كما أنها مشغولة بواجباتها الخاصة. قالت إن الكولونيل بروثيرو وصل في تمام السادسة والرابع، ونفت أن تكون نظرت إلى ساعتها عند ذاك، بل إنها سمعت دقة ساعة الكنيسة وهي تصحبه إلى المكتب. قالت إنها لم تسمع أية طلقة، ولو كانت طلقة لسمعتها. ثم استدركت قائلة إنها تعرف طبعاً أن طلقة قد أطلقت دون شك، طالما أن الرجل وحده مرمياً بالرصاص... ولكن هذا ما جرى، فهي لم تسمع الطلقة.

لم يلمح المحقق كثيراً على هذه النقطة، وقد أدركت أنه يعمل بالاتفاق مع الكولونيل ميلتشيت.

كانت السيدة ليسترينج قد تلقت استدعاء للإدلاء بشهادتها، ولكن تم إبراز شهادة طبية بإمضاء الدكتور هينوك تقول إنها مريضة إلى حد يمنعها من الحضور.

لم يبقَ إلا شاهدة وحيدة أخرى، وهي عجوز ترتعش أطرافها، وهي التي كانت تنظف بيت لورنس ريدنغ. تم عرض المسلس على السيدة آرثر، وقد تعرفت إليه باعتباره المسلس الذي رأيته في غرفة جلوس السيد ريدنغ. قالت: "كان يحتفظ به مرمياً هناك على رف خزنة الكتب". وجواباً عن سؤال آخر قالت إنها واثقة تماماً أن المسلس كان هناك وقت الغداء يوم الخميس... في الساعة الواحدة إلا رباعاً عندما غادرت.

تذكرت ما قاله لي المفتش ودهشت قليلاً، فكانت ما كان غموضها وعدم ثبوتها عندما حقق معها سلاك فهي تبدو الآن جازمة تماماً فيما تقول.

لخص المحقق الموقف بطريقة سلبية، ولكن بكثير من الحزم. وتم إصدار الحكم بشكل شبه فوري:

"جريمة قتل ارتكبتها شخص أو أشخاص غير معروفين".

انتبهت - وأنا أفاقد قاعة التحقيق - لوجود جيش صغير من الشباب ذوي الوجوه اللامعة اليقظة الذين يشبهون بعضهم بعضاً شيئاً مصطنعاً. كنت أعرف العديد منهم بالشكل من قبل، باعتباره

ترددوا كثيراً على الكنيسة في الأيام القليلة الماضية. وبغية الخلاص منهم عدت بسرعة إلى الفندق، وحالفني الحظ إذ رأيت أمامي عالم الآثار، الدكتور ستون. أمسكت به دون تردد وقلت بالمختصر المفيد: الصحفيون... إن كنت تستطيع إنفاذي من برائتهم!

- بالتأكيد يا سيد كليمنت، تعال معي إلى غرفتي فوق.

قادني على الدرج الضيق ثم إلى غرفة جلوسه حيث كانت الأنسة كرام جالسة "تعرف" على مفاتيح الآلة الطباعة بخفة المتعربين. حيتني بإبتسامة ترحيب عريضة واغتصمت الفرصة لتتوقف عن العمل. قالت: أمر فظيع، أليس كذلك؟ أعني ألا يعرفوا من فعلها. لقد عاب أُملي بهذا التحقيق.. كان بلا طعم، هذا ما حدثه. ليس فيه ما يمكن اعتباره شيئاً من بدايته حتى نهايته.

- فقد كنتِ هناك - إذن - يا أنسة كرام؟

- كنت هناك بالتأكيد. أبعقل أنك لم ترني؟ إنني أشعر بشيء من الإهانة لذلك. نعم، أشعر بذلك. لا بد أن تكون لمرجل عيمان في رأسه حتى لو كان رجل دين.

سألت الدكتور ستون في محاولة مني للتخلص من هذه السخرية الهازلة، فالشابات كالأنسة كرام يُشعرنني دوماً بالحرج الشديد: أكنتِ حاضراً أنت أيضاً؟

- لا. إنني لا أهتم كثيراً بمثل هذه الأمور؛ فأنا امرؤ مستغرق تماماً في هوايته الخاصة.

- لا بد أنها هواية ممتعة جداً.

سألني قائلاً: ربما كنت تعرف شيئاً عنها؟

اضطرت للاعتراف بأن ما أعرفه عنها لا يكاد يذكر، ولكن الدكتور ستون لم يكن ممن يشط مثل هذا الاعتراف بالجهل همهم؛ فقد كانت نتيجة اعترافي بجهلي كما لو أنني قلت إن التقيب عن القبور هو متعتي الوحيدة! اندفع في شرح لا نهاية له عن القبور الطويلة والقبور المستديرة والعصر الحجري والبرونزي والصناديق التي تضم متعلقات الموتى والشواهد الحجرية، وداهمني ذلك كله كشلال دافق، ولم أجد ما أستطيع فعله باستثناء هز رأسي والظهور بمظهر الفاهم الذكي... وهذه الصفة الأخيرة لا أقولها إلا من باب التفاؤل المفرط! مضى الدكتور ستون يتكلم بصوته العميق. كان رجلاً ضئيل الجسم أصلع مكور الرأس، أحمر الوجه مستديره، وهو ييش في وجهك من خلال نظارة سميكة جداً. ولم أر أبداً رجلاً تبلغ به الحماسة مثل هذه الدرجة مقابل مثل هذا التشجيع الذي لا يكاد يذكر؛ فقد استعرض بالتفصيل كل الآراء التي دعمت أو عارضت نظريته الخاصة الأثيرة... وهي - بالمناسبة - نظرية فشلت تماماً في فهمها!

شرح بالتفصيل خلافه مع الكولونيل برونيرو، وقال بحماسة: إنه دعي نزق. نعم، نعم، أعرف أنه ميت الآن، وأن على المرء ألا يتكلم بسوء عن الموتى، ولكن الموت لا يغير الحقائق. إن عبارة الدعي النزق تصفه بدقة، فلمجرد أنه قرأ بعض الكتب تراه ينصب نفسه حجة ومرجعاً... أمام رجل قضى حياته في دراسة الموضوع. لقد كرست حياتي كلها يا سيد كليمنت لهذا العمل. حياتي كلها...

كان يتلنم لقرط اتفعاله. أعادته غلاديس كرام إلى الواقع بحملة مقتضية، إذ قالت: سيفوتك الفطار إذا لم تنبه.

توقف الرجل الضئيل في وسط كلامه وسحب ساعة من جيبه وقال: يا إلهي، إلا ربعا؟ مستحيل!

قالت له الأنسة كرام: ما أن تشرع في الحديث حتى تنسى الوقت تماماً. ما الذي كنت ستفعله لو لم أكن موحودة للاهتمام بك؟ هذا ما أريد حقاً معرفته.

قال وهو يربت على كتفها بودة: هذا صحيح تماماً يا عزيزتي... صحيح تماماً. إنها فتاة رائعة يا سيد كليمنت. لا تنسى شيئاً. إنني أعتبر نفسي محظوظاً جداً بالعثور عليها.

قالت الفتاة: أوه! استمر في ذلك يا دكتور ستون، إنك تقسدي بإطرائك فعلاً.

لم يسعني إلا الشعور بأنني أوشك أن أكون في موقع أدم فيه المدرسة الفكرية الثانية... تلك المدرسة التي تنبأ بأن مستقبل الدكتور ستون والأنسة كرام سينتهي بالزواج الشرعي. وقد رأيت أن الأنسة كرام شابة ذكية على طريقتها الخاصة.

قالت له: من الأفضل أن تغادر الآن.

- نعم، نعم... علي أن أغادر.

دخل إلى الغرفة المجاورة ثم عاد حاملاً حقيبة. سأله بشيء من الدهشة: أأنت مسافر؟

- سأذهب على عجل إلى المدينة ليومين. علي أن أرى والدني العجوز غداً، ثم أنهي مسألة مع محامي يوم الاثنين، وسأعود

يوم الثلاثاء. بالمتاسبة، أحسب أن وفاة الكولونيل بروثيرو لن تغير في ترتيباتنا شيئاً... أعني فيما يخص القبر. أتظن أن السيدة بروثيرو يمكن أن تعترض على استمرارنا بالعمل؟

- لا أظن ذلك.

وفيما كان يتكلم كنت أتساءل مع نفسي عمّن سيكون المسؤول في منزل أولد هول، إذ ربما كان بروثيرو قد أوكل تلك المسؤولية لابنته ليتيس. شعرت أن من المشير أن يعرف المسرة محتويات وصية بروثيرو.

قالت الأنسة كرام بشيء من المتعة التي يشوبها التحهم: إن الموت بسبب الكثير من المتاعب للعائلة. لا يكاد المرء يصدق مقدار السوء الذي يخلفه الموت أحياناً.

قال الدكتور ستون: "حسناً، عليّ أن أذهب"، ثم قام ببعض المحاولات الفاشلة للسيطرة على الحقيقة وعلى بساطة تخمين يريد جمعه، وعلى شمسية تصعب السيطرة عليها.

تقدمت لمساعدته فاعترض قائلاً: لا تتعب نفسك... لا تتعب نفسك. بوسعي تدبير الأمر تماماً... لا شك أنني سأجد أحداً في الطابق السفلي.

ولكن لم يكن في الطابق السفلي أي حمال أو سوى ذلك من الناس، وشككت بأن مستخدمي الفندق قد دُعوا إلى وليمة ما. كان الوقت يتقدم، ولذلك انطلقنا معاً إلى المحطة والدكتور ستون يحمل حقيبته فيما أحمل أنا البساط والشمسية.

ونحن نسرع باتجاه المحطة قذف الدكتور ستون ببعض الملاحظات القصيرة وهو يلهث: هذا فعلاً لطيف كبير منك... لم أرد إزعاجك... أأمل ألا يفوتنا القطار... غلاديس فتاة طيبة... رائعة حقاً... ذات طبيعة عذبة جداً... ليست سعيدة جداً في بيتها... قلبها كقلب طفل تماماً... أؤكد لك أنني... رغم فارق السن... أحد الكثير من الأمور المشتركة بيننا...

ما أن انعطفنا باتجاه المحطة حتى رأينا بيت لورنس ريدنغ. كان البيت في موقع منعزل لا يوت حوله، ولاحظت وجود شاخين أنيقين المظهر يقفان على عتبة البيت، فيما وقف اثنان آخران ينظران إلى داخل المنزل من خلال النوافذ. لا شك أن هذا اليوم كان زائراً بالعمل بالنسبة لرجال الصحافة.

قلت لأرى ما يقوله رفيقي: إن ريدنغ شاب لطيف.

كان اللهاث قد بلغ منه مبلغاً وجد معه صعوبة في قول شيء، ولكنه تفخ كلمة لم أفهمها للوهلة الأولى. وعندما طلبت منه إعادة كلمته قال: خطير.

- خطير؟

- خطير جداً. بالنسبة للفتيات البرقيات... ليس ما هو أخطر منه... يتخذهن بالشباب من أمثاله... ممن تراهم يدورون دوماً خلف النساء... أمر سيء.

ومن ذلك استنتجت أن غلاديس الجميلة لم تفتها ملاحظة الشاب الوحيد في القرية.

هتف الدكتور ستون: يا إلهي، القطار!

كنا قد اقتربنا كثيراً من المحطة، فهرعنا راكضين. كان القطار الذي ينطلق من القرية واقفاً في المحطة، فيما كان القطار القادم من لندن يدخل المحطة لنوه.

عند بوابة مكتب الحجز اصطدمنا بشاب غريب المظهر نوعاً ما، وسرعان ما مئزت فيه ابن أخ الأتسة ماربل الذي وصل لنوه. رأيت فيه شاباً لا يحب الاصطدام بأحد، وبدأ وكأنه يشعر بالفخر بانزاهه ومظهر الحياء الذي يبدو عليه، وما من شك في أن أي اصطدام فظي يلحق ضرراً بالغاً بأي مظهر اتزان مصطنع من هذا القبيل. ترنح متراجعاً، واعتذرت له على عجل، ثم دخلنا. صعد الدكتور ستون إلى القطار، وتناولته حاجياته في الوقت الذي اهتز فيه القطار وبدأ ينطلق.

لوحث له مودعاً ثم قفلت راجعاً. كان ريموند وست قد غادر المحطة، وكذلك كان صيدلي قريتنا يغادرها لنوه باتجاه القرية. مشيت إلى جانبه فقال: لقد كاد القطار يقونكما. كيف مضى التحقيق؟

أخبرته بالحكم الذي صدر، فقال: أوه! هذا - إذن - ما حدث. لقد حبيت أن الحكم سيكون كذلك. أين ذهب الدكتور ستون؟

كررت ما قاله الدكتور ستون حول سفره، فقال: من حظه أن القطار لم يفته. مع أن المرء لا يستطيع الجزم أبداً في هذا الخط... يا له من عار يا سيد كليمنت! إنني أسميه أمراً مشيناً. لقد تأخر القطار الذي جئت به عشر دقائق. ويحدث هذا يوم السبت، حيث لا يوجد أي ازدحام في الخطوط. وفي يوم الأربعاء... كلا، الخميس...

نعم، كان يوم الخميس، أذكر أنه كان يوم الجريمة، لأنني أردت أن أكتب شكوى شديدة اللهجة للشركة ولكن الجريمة أنستي الموضوع. نعم، في يوم الخميس الماضي كنت ذاهباً لحضور اجتماع جمعية الصيادلة، فكم تأخر قطار السادسة وخمسين دقيقة برأيك؟ نصف ساعة كاملة. نصف ساعة بالضبط! ما رأيك بذلك؟ لا بأس في تأخير عشر دقائق، ولكن إن كان القطار لا يصل المحطة حتى الساعة والثلاث فإنك لا تستطيع الوصول إلى بيتك قبل الساعة والنصف. لماذا يسمونه إذن قطار السادسة وخمسين دقيقة؟

قلت له: هذا صحيح.

ثم انفصلت عنه رغبة في الخلاص من هذا الحديث من طرف واحد معتدراً بأن لدي ما أقوله للورنس ريدنف الذي رأيته يقترب منا من الجانب الآخر من الطريق.

- لا أدري، ولكنه الحقيقة. لو بدلت معجون حلافك لكان ذلك موضوع حديث في القرية!

- لا بد أنهم يعانون من نقص رهيب في الأخيار.

- نعم، بالطبع. فلا يحدث هنا شيء مثير أبداً.

- حسناً، ها قد حدث الآن... وبانتقام.

وافقته على ذلك فسأل: ولكن من يخبرهم بكل هذه الأمور؟
عن معجون الحلافة مثلاً؟

- ربما أخبرتهم السيدة آرثر العجوز.

- تلك العجوز العجباء؟ إنها بنصف عقل كما يبدو لي.

شرحت له قائلاً: ذلك هو التمويه الذي يتبعه الفقراء. إنهم يحتمون خلف قناع الغباء، ولعلك تجد أن تلك العجوز أكمل ما تكون عقلاً. بالمناسبة، إنها تبدو الآن واثقة تماماً من أن المسدس كان في مكانه المعتاد ظهر الثلاثاء، فما الذي جعلها فجأة حازمة لهذا الحد؟

- ليست لدي أية فكرة عن ذلك.

- أنظرن أنها مصيبة في قولها؟

- هذا أيضاً لا أعرفه؛ فأنا لا أقوم بحرد لمفتياتي كل يوم.

نظرت حولي في غرفة الجلوس الصغيرة. كانت كل الرفوف والطاولات تزخر بأشياء مختلفة عديدة. كان لورنس يعيش وسط فوضى "فنية" كان من شأنها أن تفقدني صوابي لو كنت مكانه.

الفصل التاسع عشر

قال لورنس: يسعدني جداً أنني قابلتك. تفضل معي إلى البيت.

التفتنا عند البوابة الصدئة ومشينا صعوداً على الممشى. أخرج من جيبه مفتاحاً وأدخله في القفل فقلت له: أرى أنك أصبحت تغفل اليااب الآن؟

ضحك بمرارة وقال: نعم. مثل أولئك الذين أقفلوا الأسطبل بعد أن سرقت المهرة، أليس كذلك؟ هذا يشبه ذلك.

فتح الباب ودخل قائلاً: أتعلم يا سيد كليمنت؟ في هذا الأمر شيء لا أرتاح له. إنه يبدو... يبدو أمراً أشبه بمسألة داخلية. لقد عرف أحدهم بأمر مسدسي. وهذا يعني أن القاتل - كائناً من كان - قد دخل عملياً إلى هذا البيت... وربما تناول معي الشاي.

اعترضت قائلاً: ليس بالضرورة، فربما كانت قرية سينت ميري ميد بأسرها تعرف أين تضع فرشاة أسنانك وما نوع معجون الأسنان الذي تستعمله.

- ولكن لماذا يشير ذلك اهتمامهم؟

قال وقد لاحظ نظرتي: يكون من الصعب أحياناً العثور على الأشياء، ومن جانب آخر فإن كل شيء في متناول اليد... وليس مخفياً في زاوية ما.

- ما من شيء مخفٍ بالتأكيد، وربما كان من الأفضل لو كان المسدس كذلك.

- أتعلم أنني توقعت من المحقق أن يقول شيئاً كهذا؟ المحققون أغبياء جداً... لقد توقعت توجيه تقرير شديد لي.

- بالمناسبة، هل كان المسدس محشواً؟

هز لورنس رأسه بالنفي وقال: لست مهملأ إلى هذه الدرجة. كان فارغاً، ولكن كانت بجانبه عليه طلقات.

- يبدو أن حجراته الست قد ملئت بالطلقات، وأن طلقة واحدة قد أطلقت.

أوما لورنس برأسه موافقاً وقال: ومن هو صاحب اليد التي أطلقتها؟ لن يكون الأمر على ما يرام حتى يتم اكتشاف القاتل الحقيقي، وبغير ذلك سأبقى موضع شبهة في هذه الجريمة حتى موتي.

- لا تقل ذلك يا بني.

- بل سأقوله.

سكت عابساً مع نفسه، ثم نهض أخيراً وقال: ولكن دعني أخبرك كيف سارت الأمور معي ليلة أمس. أنت تعلم أن الأنسة ماريل تعرف بعض الأمور.

- أظن أنها لا تحظى بشعبية واسعة بسبب ذلك.

مضى لورنس في روايته لقصته. فقد ذهب إلى منزل أولد هول بناء على نصيحة الأنسة ماريل، وهناك استطاع بمساعدة آن إجراء مقابلة مع الخادمة. كانت آن قد قالت لها ببساطة: "يريد السيد لورنس ريدنغ أن يسألك بضعة أسئلة"، ثم تركتهما وغادرت الغرفة. وقد شعر لورنس بشيء من الارتباك. أما الخادمة روز، الفتاة الجميلة ابنة الخامسة والعشرين، فقد حدثت به بنظرة دهشة وجدها مربكة نوعاً ما، ثم قال: الأمر... الأمر يخص وفاة الكولونيل بروثيرو.

سألته: نعم يا سيدي.

- إنني حريص جداً على الوصول إلى الحقيقة.

- نعم يا سيدي.

- أشعر أنه ربما كانت.. أن أحداً ربما... أنه ربما وقع حادث معين...

عند هذه النقطة شعر لورنس أنه لا يعطي صورة مشرفة عن نفسه، فشتم الأنسة ماريل واقتراحاتها. ثم قال للفتاة: كنت أنساءل إن كان بوسعك مساعدتي؟

- نعم يا سيدي.

كان موقف روز ما يزال الموقف التقليدي للخادمة المثالية: مودبة، حريصة على المساعدة، محافظة تماماً على عدم الفضول. قال لها: دعينا من كل شيء. ولكن، ألم تناقشوا الأمر معاً في قاعة الخدم؟

ارتبكت روز قليلاً من طريقة الهجوم هذه وقالت: في قاعة
الخدم يا سيدي؟

- أو في غرفة مربية المنزل، أو المطبخ، أو أي مكان تحدثون
فيه؟ لا بد من وجود مكان ما.

أظهرت روز ميلاً خفيفاً جداً للضحك، فوجد لورنس في
ذلك تشجيعاً له وقال: اسمعيني يا روز، أنت فتاة في غاية اللطف
والروعة، وأنا واثق أنك ستفهمين ما أشعر به. أنا لا أريد أن أنتهي
مشتوقاً. إنني لم أقتل سيدك، ولكن كثيراً من الناس يرون أنني قتلته.
ألا يمكنك مساعدتي بأية طريقة؟

بوسعي أن أنصور في هذه النقطة كيف بدا لورنس وقتها أشد
ما يكون وسامة وإثارة للعطف، برأسه الحميل وعينيه الزرقاوين.
استسلمت روز قائلة: أوه يا سيدي! إنني على ثقة... إن استطاع أي
منا مساعدتك بأية طريقة. لا أحد منا يرى أنك فعلت ذلك... أبداً.

- أعرف يا فتاتي العزيزة، ولكن هذا لن يساعدني مع الشرطة.

مالت روز برأسها وقالت: الشرطة! بوسعي أن أخبرك يا سيدي
أنا لم نحب كثيراً بذلك المفتش المدعو سلاك. يا للشرطة!

- ومع ذلك فالشرطة أقوىاء جداً. والآن يا روز، لقد قلت:
إنك ستفعلين ما بوسعك لمساعدتي. لا أملك إلا أن أشعر بأنه
يوجد الكثير مما لم نعرفه بعد. فمثلاً تلك السيدة التي جاءت لزيارة
الكولونيل بروثيرو ليلة مقتله.

- السيدة ليسترينج؟

- نعم، السيدة ليسترينج. لا يسعني إلا الشعور بأن في زيارتها
تلك شيئاً غريباً.

- نعم، بالفعل يا سيدي، هذا ما قلناه جميعاً.

- حقاً؟

- لقدومها بتلك الطريقة، وسؤالها عن الكولونيل. وقد سبق
ذلك بالطبع الكثير من الأحاديث... إذ لا أحد يعرف شيئاً عنها هنا.
والسيدة سيمونز، وهي مديرة المنزل هنا، ترى أن هذه السيدة مسيئة
جداً. ولكن بعد سماع ما قالته غلاديس فإنني لا أدري ماذا أقول.

- ماذا قالت غلاديس؟

- لم تقل شيئاً يا سيدي! كان ذلك مجرد... كنا نتحدث فقط.

نظر لورنس إليها، وراوده شعور أنها أبقت على شيء لم
تذكره فقال: إنني أتساءل كثيراً عن موضوع مقابلتها تلك للكولونيل.

- نعم يا سيدي.

- وأنتك تعرفين يا روز؟

- أنا؟ أوه، لا يا سيدي! أنا حقاً لا أعرف. وكيف لي ذلك؟

- اسمعيني يا روز، لقد قلت إنك ستساعديني. إن كنت قد
سمعت بالصدفة شيئاً... أي شيء... حتى لو لم يذم مهمماً، فساكون
في منتهى الامتنان لك. إذ ربما سمع أحدهم بالصدفة... بمحض
الصدفة شيئاً ما.

- ولكني لم أسمع شيئاً يا سيدي... لم أسمع حقاً.

قال لورنس بذلكاء حاد: إذن فقد سمع أحد غيرك شيئاً.

- أوه يا سيدي...

- أخبريني رجاء يا روز.

- لا أدري ما الذي ستقوله غلاديس.

- لا شك أنها تريد منك إبلاغي. من هي غلاديس بالمناسبة؟

- إنها خادمة المطبخ يا سيدي. وكانت قد خرجت قليلاً لمجرد الحديث مع صديق لها، وكانت تعبر أمام النافذة... وكان سيدي هناك مع تلك السيدة. كان يتكلم طبعاً بصوت عال جداً، وهو دائماً يتكلم بصوت عال. وكان طبعياً... أعني مع ما كانت تشعر به من فضول...

- هذا طبيعي جداً، أعني أن المرء يجد نفسه مضطراً للإصغاء.

- ولكنها لم تخبر أحداً بالطبع... باستثنائي أنا. وكلانا وجدنا الأمر غريباً جداً. ولكن غلاديس لم تستطع قول شيء، إذ لو عرفت أنها كانت خارجة لرؤية... لرؤية صديق، لسبب ذلك الكثير من المشكلات مع السيدة برات، أي الطباخة. ولكني واثقة أنها مستعدة لإخبارك بكل شيء يا سيدي.

- حسناً، هل أذهب إلى المطبخ وأتحدث معها؟

أرعب روز هذا الاقتراح فقالت: أوه، كلا يا سيدي، لن ينفع

ذلك أبداً! كما أن غلاديس فتاة شديدة الارتباك على كل حال.

وأخيراً تمت تسوية الأمر بعد نقاش مطول حول النقاط الصعبة، وتم الترتيب للقاء سري بين الشجيرات في الحديقة.

وهناك قابل لورنس في نهاية الأمر تلك الفتاة المرتبكة العصبية التي شبهها بأنها أقرب إلى أرنب مرتعد منها إلى إنسانة طبيعية. وقد تطلبت تهدئتها عشر دقائق، وهي تشرح أنها لا تستطيع... وأنها لا تظن... وأنها لا ينبغي لها، وأنها لم تحسب أن روز ستفشي أمرها، وأنها لم تقصد إيذاء أحد، وأنها ستضطر كثيراً إن قُدِّر للسيدة برات أن تسمع بالموضوع.

ومارس لورنس كل ما في وسعه من تهدئة وإقناع... وفي النهاية وافقت غلاديس على الكلام: "إن كنت واثقاً أن الأمر لن يعدونا نحن يا سيدي"، كما قالت.

- بالطبع لن يعدونا.

- ولن يُنسب ذلك إليّ في أية محكمة؟

- أبداً.

- ولن تخبر سيديني؟

- ولا بأي شكل.

- أأنت واثق أن الأمر سيكون على ما يرام؟

- طبعاً، وستكون سعيدة يوماً ما لأنك أنقذتني من حبل المشنقة.

صارت عن غلاديس صرخة خفيفة وقالت: أوه! إنني لا أحب ذلك بالطبع يا سيدي. حسناً، إن ما سمعته قليل جداً... وكان ذلك كله بمحض الصدفة إن جاز لي القول...

- أنهم ذلك تماماً.

- ولكن سيدي كان غاضباً جداً. كان يقول لها: "بعد كل هذه السنوات تحررين على القدوم إلى هنا...". ثم قال: "إنه أمر يثير الغضب...". لم أستطع سماع ما قالته السيدة، ولكنه قال بعد قليل: "إنني أرفض نهائياً... نهائياً...". لا أستطيع تذكر كل شيء... بدا وكأنهما متحاربان في مساحلة حامية، هي تريد منه القيام بشيء وهو يرفض. كانت إحدى العبارات التي قالها: "إنه لمن العار أن تأتي إلى هنا". كما قال أيضاً: "إنك لن ترينها... أمنعك من ذلك...". وهذا ما جعلني أصغي بكل انتباه. بدا وكأن السيدة تريد إخبار زوجة الكولونيل برونيرو شيء ما وهو خائف من ذلك. وفكرت قائلة لنفسي: "ماذا؟ أيعقل ذلك من سيدي؟ سيدي دون غيره؟ وهو الذي لا يتمتع بأية وسامة في نهاية الأمر، أيعقل ذلك؟". وقلت لصديقي بعدها: "الرجال كلهم سواء". وهو لم يتفق معي، بل ناقش وجادل، ولكنه اعترف أنه مندهش من أمر الكولونيل برونيرو... باعتباره عضواً في هيئة الكنيسة ويقرأ الدروس أيام الأحد. وقلت له: "نعم، عادة ما يكون هؤلاء أسوأ من غيرهم إذا انصرفوا". هذا ما سمعت أُمي تردده دوماً.

توقفت غلاديس لتسترد أنفاسها، وحاول لورنس بلباقة إعادتها إلى حيث بدأ الموضوع فقال: هل سمعت شيئاً آخر؟

- من الصعب أن أتذكر بدقة يا سيدي. كان الكلام متشابهاً إلى حد بعيد. قال مرة أو مرتين: "لا أصدق ذلك". جاءت العبارة هكذا: "لا أصدق ذلك مهما قال الدكتور هيدوك".

- أوافق ذلك؟ مهما قال الدكتور هيدوك؟

- نعم، وقال إن الأمر كله مؤامرة.

- ألم تسمعي السيدة تتكلم أبداً؟

- سمعتها فقط في النهاية تماماً. كانت قد نهضت لتذهب كما يبدو واقتربت أكثر من النافذة، وسمعت ما قالت، وقد جمّد قولها الدم في عروقي فعلاً. لن أنسى أبداً ما قالته... قالت: "في مثل هذا الوقت من ليلة الغد قد تكون ميتاً"! وكانت طريقة قول العبارة شريرة. وبمجرد سماعي لتبدأ الجريمة قلت لروز: "أرأيت؟ أرأيت؟".

وقف لورنس متعجباً يتساءل. تساءل بشكل رئيس عن المقدار الذي يمكن فيه الاعتماد على قصة غلاديس، ومع أنه رأى أنها صحيحة في خطوطها العامة، إلا أنه شك في أنها قد مرت بشيء من التزييق والتجميل منذ مقتل الكولونيل. وشك بشكل خاص في دقة تلك الملاحظة الأخيرة، ورأى من الممكن كثيراً أن يكون السبب في وجود تلك العبارة هو مقتل الكولونيل فقط. شكر غلاديس وكافأها بما تستحقه وطمأنها بأنه لن ييوح بهفواتها للسيدة برات، ثم غادر أولد هول وفي ذهنه الكثير مما يشغله.

شيء واحد كان واضحاً، وهو أن لقاء السيدة ليسترينج مع الكولونيل برونيرو لم يكن بالتأكيد لقاء هادئاً، وأنه كان لقاء حارص

الكولونيل على عدم علم زوجته به.

فكرتُ في قصة الأنسة ماربل عن عضو هيئة الكنيسة الذي كانت له عائلة أخرى لا يعلم بها أحد. أتكون هذه القصة مشابهة لتلك؟ وتعجبت -أكثر ما تعجبت- من علاقة هيدوك بالأمر كله. لقد أنقذ السيدة ليسترينج من الاضطرار للإدلاء بشهادتها في التحقيق، ولقد فعل كل ما في وسعه لحمايتها من الشرطة. ولكن: إلى أي مدى سيستمر في تلك الحماية؟ وإذا افترضنا أنه يشك في ارتكابها للجريمة... أترأه يحاول -رغم ذلك- التستر عليها؟

كانت امرأة غامضة غريبة.. امرأة ذات سحر مغنطيسي لا يقاوم. أنا نفسي كرهت فكرة ربطها بالجريمة بأي شكل. شيء ما في داخلي قال: "لا يمكن أن تكون هي!" لماذا؟ وأجاب شيطان في رأسي قائلاً: "لأنها امرأة رائعة الجمال والحسن، هذا هو السبب".

وكما كان من شأن الأنسة ماربل أن تقول في مثل هذه المواقف، فإن فينا جميعاً الكثير من طبائع النفس البشرية.

* * *

الفصل العشرون

عندما عدت إلى بيتي وجدت أننا في وسط أزمة منزلية. قابلتني غريزلدا في الصالة وسحبني -والدموع في عينيها- إلى غرفة الجلوس قائلة: إنها ذاهبة.

- من هي الزاهبة؟

- ماري؛ لقد أعطتني إشعاراً بذلك.

لم أستطع فعلاً تلقي الخبر بشكل مأساوي، فقلت: حسناً، سنضطر للحصول على عادمة أخرى.

بدا لي أن قول ذلك مسألة طبيعية تماماً، فعندما يذهب عادم المرأة فإنه يوظف عادمًا غيره. كنت حائراً في فهم تظيرة التأنيب في عيني غريزلدا التي قالت: لين... إنك شديد قسوة القلب؛ أنت لا تهتم!

والحقيقة أنني لم أهتم؛ بل إنني شعرت بقليل من الارتياح وأنا أفكر بأننا سننتخلص من الفطائر المحروقة والحضار التي لا تنضج.

مضت غريزلدا قائلة بصوت كله رثاء للنفس: سيتعين عليّ البحث عن فتاة، والعتور عليها، ثم تدريبها.

- وهل ماري مدربة؟

- بالطبع مدربة.

- لا أحسب إلا أن أحداً سمعها تنادينا: "سيدي وسيدي"، فانتزعها منا فوراً باعتبارها فريدة عصرها. كل ما يمكنني قوله هو أن أمل ذلك الشخص سيخيب.

- ليس الأمر كذلك، فلا أحد يريدنا، ولا أدري كيف يمكن لأحد أن يريدنا. المسألة في مشاعرنا. جُرحت مشاعرنا لأن ليتيس برونيرو قالت إنها لا تحسن التنظيف بشكل جيد.

كثيراً ما تخرج عليّ غريزدا بأقوال مدهشة، ولكن عبارتها هذه بدت مدهشة إلى حد جعلني أشك بها. بدا لي أن أبعد الأمور احتمالاً في العالم أن تخرج ليتيس عن طبيعتها لتتدخل في شؤوننا المنزلية وتوبخ خادمتنا على كسلها في أعمال البيت. كان ذلك أبعد ما يكون عن طبيعة ليتيس. وقد قلت ذلك: لا أرى ما هي العلاقة بين ليتيس برونيرو وتنظيف بيتنا.

- ليست لها أية علاقة؛ ولذلك كان الأمر غير معقول أبداً. ليتك لذهب وتكلم مع ماري بنفسك... إنها في المطبخ.

لم أكن أرغب بالحديث مع ماري في الموضوع، ولكن غريزدا - وهي شديدة النشاط والسرعة - دفعتني عبر الباب باتجاه المطبخ قبل أن يتاح لي الاعتراض. كانت ماري تقشر البطاطا عند المحلى. قلت لها ياربك: هم، مساء الخير.

رفعت ماري رأسها وأطلقت صوتاً كالشخير، ولم ترد عليه.

- السيدة كليمنت تقول لي إنك مشتركنا.

تنازلت ماري وأجابت عن ذلك بغموض قائلة: بعض الأمور ينبغي ألا يُطلب من أية فتاة التعايش معها.

- هل لك أن تخبريني ما الذي أزعجك بالضبط؟

- أستطيع أن أخبرك بذلك بكلمتين (وهنا أظن أنها أخلفت وعدها أيما إخلاف): ما بال الناس يأتون إلى هنا ويدسون أنوفهم بحثاً عن الأخطاء عندما أدير ظهري؟ وما هذا التسكع؟ وما شأنها هي بعدد المرات التي يُسمح فيها أثاث المكتب أو يُنظف المكتب تنظيفاً شاملاً؟ إن كنت أنت والسيدة لا تشكيان فليس من شأن أحد أن يتدخل. إن كنت أرضيكما فهذا كل ما يهم.

لم تكن ماري ترضيني أبداً... وأعترف أن بي شوقاً لغرفة نسم مسحها وترتيبها كل صباح. وإن عادة ماري في نفخ الأتربة الأكثر ظهوراً عن الطاولات الصغيرة لم تكن برأيي كافية أبداً. ولكني أدركت أن لا فائدة في الوقت الحاضر من الدخول في قضايا جانبية.

- ألم اضطر للذهاب إلى ذلك التحقيق؟ فتاة محترمة مثلي تقف هناك أمام اثني عشر رجلاً ومن يدري أية أسئلة يطرحون. سأقول لك ما يلي: لم أكن أبداً من قبل في مكان تقع فيه جريمة قتل، ولا أريد أبداً أن أكون ثانية في مثل ذلك المكان.

- أرجو ألا تكوني، ولكن أظن أن ذلك سيكون مستبعداً جداً حسب قانون الاحتمالات.

- إنني لا أهتم للقانون. ألم يكن هو حاكماً؟ وكم من فقير

سحبه لمحرد اصطلياد أرتب... وهو الذي يربي طيور الزينة وغيرها الكثير. وفوق ذلك، وقبل أن يتم دفعه تأتي ابنته تلك وتقول إنني لا أقوم بعملتي كما ينبغي.

- أتعتين أن الأنسة بروثيرو كانت هنا؟

- وجدتها هنا عندما عدت من فندق بلو بور. كانت في المكتب، وعندما دخلت قالت: "أوه! إنني أبحث عن فيعتي الصغيرة... إنها قبة صغيرة صفراء تركتها هنا قبل أيام". قلت لها: "إنني لم أر أية قبة هنا. لم تكن هنا عندما نظفت الغرفة صباح الخميس". فقالت: "أوه! ولكنني أظن أنك ما كنت لترينها. إنك لا تقضين وقتاً طويلاً في تنظيف الغرف، أليس كذلك؟". ومع قولها هذا مررت أصبعها على رف الموقد ثم نظرت إليها. وكأني كنت أملك وقتاً كافياً في مثل هذا اليوم لأزيج كل التحفيات ثم أعيدها، والشرطة لم يفتحوا الغرفة إلا ليلة أمس. قلت لها: "إن كان الكاهن وزوجته راضين فإنني أظن يا آنسة أن هذا هو كل ما يهم". فما كان منها إلا أن ضحكت وخرجت من الباب الزجاجي قائلة: "أوه! ولكن هل أنت واثقة أنهما راضيان؟".

قلت لها: فهمت.

- وهذا ما حصل.. إن للفتاة شعوراً! إنني مستعدة -بالتأكيد- لبذل كل جهد من أجلك أنت وسيدتي، ولو أنها رغبت في تجربة طبق جديد لكنت دوماً مستعدة لصنعه.

قلت مهدداً: أنا واثق من ذلك.

- ولكن لا بد أنها سمعت شيئاً، وإلا لما قالت ما قالت. وإن كنت لا أرضي أحداً فالأفضل أن أذهب. وهذا لا يعني أنني أهتم بما تقوله الأنسة بروثيرو، فهي غير محبوبة في أولد هول. لا يسمع أحد منها كلمة "شكراً" أو "من فضلك"، كما أنها تبغض المال ذات اليمين وذات الشمال. ما كنت شخصياً لأضع دكاناً قرب الأنسة ليتيس بروثيرو، رغم كل تعلق السيد دينيس بها. ولكنها من ذلك النوع الذي يمكنه التلاعب بالشباب الصغار كيفما يريد.

خلال حديثها كله كانت ماري تنظف البطاطا من العيون والبثور التي تكون بها، وكانت تقوم بذلك بقوة بلغت حداً جعل تلك العيون تتطاير في أرجاء المطبخ كأنها حبات برد. وفي هذه اللحظة أصابتني إحداها في عيني وسببت توقفاً مؤقتاً في الحديث، فقلت وأنا أجفف عيني بالمنديل: ألا ترين أنك قد ملت كثيراً إلى الشعور بإهانة لم تكن مقصودة أبداً؟ إنك تعرفين يا ماري أن سيدتك ستكون حزينة جداً لفقدانك.

- ليس عندي شيء ضد سيدتي... ولا ضدك أنت يا سيدتي.

- حسناً، ألا ترين إذن أنك تصرفين بشيء من السخف؟

نشقت ماري وقالت: لقد كنت متزعجة قليلاً، بسبب التحقيق وما شهده. كما أن لفتاة مشاعرها... ولكني لا أريد أن أسبب لسيدتي أية إرباكات.

- خلّت القضية إذن.

غادرت المطبخ لأحد غريزelda ودينيس ينتظرانني في الصالة.

هتفت غريزلدا: هاه؟

- إنها باقية.

ثم نهدتُ فقالت زوجتي: لين، لقد كنتَ ذكياً فعلاً.

شعرت بأنني لا أميل للاتفاق معها. أنا لا أرى أنني كنت ذكياً؛ إذ أعتقد جازماً أنه ما من حادسة يمكن أن تكون أسوأ من ماري، وأرى أن أيَّ تغيير سيكون بالضرورة تغييراً للأفضل. ولكنني أحب إسعاد غريزلدا، وقد رويت لها الخطوط العريضة لشكوى ماري، فقال دينيس: يا لطبيعة ليتيس! لا يمكن أن تكون قد نسيت تلك القبعة الصفراء هنا يوم الأربعاء، فقد كانت تلبسها للعب التنس يوم الخميس.

قلت: يبدو لي ذلك محتملاً جداً.

قال دينيس بشيء من الفخر الممزوج بالحب الذي شعرت أن لا داعي له إطلاقاً: إنها لا تعرف أبداً أين تترك أشياءها، وتفقد دسنة من الأغراض كل يوم.

علقتُ قائلاً: يا لها من ميزة رائعة!

قال دينيس متنهداً: وليتيس رائعة بالفعل... والشباب دائماً يتقدمون لخطبتها، هي قالت لي ذلك.

- لا بد أن عروض الخطبة هذه غير شرعية إن كانت تتم هنا في القرية، فليس لدينا هنا أي أعزب.

قالت غريزلدا وعيناها تترققان: يوجد الدكتور ستون.

اعترفتُ قائلاً: لقد دعاها بالأمس للذهاب لرؤية القبر.

قالت غريزلدا: طبعاً دعاها، فهي جذابة بالفعل يا لين. وحتى عالم آثار أصلع يوسعه أن يشعر بذلك.

قال دينيس وهو يفتعل الحكمة: فيها الكثير من الحاذية.

ومع ذلك فإن سحرها لم يؤثر أبداً في لورنس ريدنغ. ولكن غريزلدا فسرت ذلك بطريقة الواثق من صحة كلامه: لورنس نفسه لديه الكثير من الحاذية، وهذا النوع يُجِب دائماً... ماذا يسمون ذلك... يحب من يكنّ كثيرات التحفظ والحياء. أظن أن آن هي المرأة الوحيدة التي يوسعها إقناع لورنس، ومع ذلك فبأنني أرى أنه كان -بطريقة ما- غيباً بعض الشيء. لقد استخدم ليتيس بشكل أو بآخر، ولا أظنه حلم أبداً بأن تكون مهتمة به؛ فهو متواضع جداً من بعض الجوانب. ولكن لدي شعور بأنها مهتمة به بالفعل.

قال دينيس جازماً: إنها لا تطيقه. هي قالت لي ذلك.

استقبلت غريزلدا ملاحظته بصمت مشفق لم أر مثله أبداً من قبل. وذهبت إلى مكثي، فتحيلت أن جواً غريباً مخيفاً لا يزال يخيم على الغرفة، وعرفت أن عليّ التغلب على هذا الشعور، إذ قد لا أستطيع استخدام المكثب ثانية أبداً لو استسلمت له. مشيت متأملاً إلى حيث طاولة الكتابة. هنا جلس برونثيرو بوجهه الأحمر وحيويته وأخلاقياته الصارمة، وهنا قُتل بغتة. هنا -حيث أقف أنا- وقف عدو من قبل... وهكذا... ثم بعد برونثيرو وجود!

هنا القلم الذي أمسكته أصابعه. وعلى الأرض كانت توجد

بقعة قائمة باهنة... لقد أرسلت السحادة إلى المصبغة لتنظيفها، ولكن الدم كان قد تخللها عميقاً. ارتعدت وقلت بصوت عالٍ: لا أستطيع استخدام هذه الغرفة، لا أستطيع استخدامها.

ثم وقعت عيناى على شيء... مجرد نقطة من اللون الأزرق اللامع. انحنيت، فرأيت بين طرف الطاولة والأرض شيئاً صغيراً فأخذته. وفيما أنا واقف أحديق فيه وهو في راحة يدي دخلت غريزelda قائلة: نسيت أن أخبرك يا لين، تريد الآنسة ماربل منا زيارتها اليوم بعد العشاء لتسالية ابن أختها؟ فهي تخشى أن يناله السأم، وقد قلت لها إننا سنأتي.

- حسناً يا عزيزتي.

- ما الذي تنظر إليه؟

قلت لزوجتي: لا شيء. وأطبقت كفي وأكملت وأنا أنظر إليها: إن كان السيد ريموند وست لا يُسرُّ بك يا عزيزتي فهذا يعني أن إسعاده صعب جداً.

احمرُّ وجه زوجتي وقالت: لا تكن سخيفاً يا لين.

ثم خرجت ثانية وعدت لأفتح يدي. كان في راحة يدي قرط أزرق لازوردي ذو لآلي صغيرة جداً.

كانت قطعة غير عادية من المجوهرات، وكنت أعرف تماماً أين رأيتها آخر مرة.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

لا يمكنني القول إنني كنت أكنُّ في أي وقت إعجاباً كبيراً بريموند وست. أعلم أنه - كما يُفترض - روائي ألمعي، وأنه جعل نفسه اسماً كشاعر، ولكن قصائده لا يمكن فهمها، الأمر الذي يشكل - كما أعتقد - جوهر الحداثة، ورواياته تدور حول شخصيات كريمة تعيش في سأم قاتل.

ويدي السيد وست حياً سمحاً لي "العمة جين" التي يشير إليها وهي حاضرة باعتبارها من "بقايا زمن غابر". وهي تصغي لحديثه باهتمام كبير، ولكن طرقت بعينها أحياناً مسرورة بحديثه فإنني واثق أنه لا ينتبه لذلك أبداً.

وقد وجه اهتمامه فوراً إلى غريزelda بسرعة تلفت النظر. ناقش الاثنان المسرحيات الحديثة، ثم انتقلا من ذلك إلى أساليب الديكور الحديثة. وقد تصنعت غريزelda السخيرة من ريموند وست، ولكنني أظن أنها تأثرت بحديثه.

وخلال حديثي (المعمل) مع الآنسة ماربل تناهت إلى مسامعي عدة مرات عبارة "تدفنون أنفسكم هنا". وأخيراً بدأت هذه العبارة

تزعجني فقلت فحاة: أحسب أنك تعتبرنا خارج العالم تماماً هنا في هذه القرية.

لوح ريموند وست بلفافة التبغ في يده وقال بلهجة الواثق: إنني أعتبر سينت ميرري ميد بركة مياه راكدة.

ثم نظر إلينا وكأنه مستعد لتلقي السخط من عبارته، ولكن أحداً لم يعبر عن انزعاجه، الأمر الذي أظنه أزعجه كثيراً. قالت الأنسة ماربل بسرعة: ليس هذا حقاً بالتشبيه الجيد يا عزيزي ريموند. لا أظن أن بوسعتك أن ترى شيئاً يوضح بالحياة تحت المجهر أكثر من نقطة ماء أخذت من بركة مياه راكدة.

اعترف الروائي قائلاً: هذه حياة... من نوع ما.

قالت الأنسة ماربل: وهي - حقاً - من نفس نوع الحياة أينما كانت، أليس كذلك؟

- أنقارين نفسك مع أحياء بركة راكدة يا عمه حين؟

- يا عزيزي، إنني أتذكر أنك قلت شيئاً من هذا القبيل في آخر كتاب لك.

ما من شاب ذكي يحب أن يتم الاستشهاد بأعماله ضده شخصياً، ولا يُستثنى ريموند وست من ذلك، فقد صاح بسرعة: ذلك مختلف تماماً.

قالت الأنسة ماربل بصوتها الهادئ: إن الحياة في نهاية الأمر هي نفسها أينما كانت. يولد الإنسان، ثم ينمو... ثم يحتك بغيره

من الناس... ويتزاحم معهم، ثم يأتي الزواج والمزيد من الأطفال...

قال ريموند وست: وأخيراً الموت، ولا يكون ذلك موتاً بشهادة وفاة دوماً، فبين الأحياء من هم موتى.

قالت غريزلدا: بمناسبة الحديث عن الموت، أتعلم أن جريمة قتل قد حدثت عندنا هنا؟

نحى ريموند وست جرائم القتل جانباً بإشارة من يده وقال: القتل مسألة بالغة الغموض... إنني لا أهتم بها.

لم يخذلني قوله هذا دقيقة واحدة؛ إذ أنك لن ترى أحداً لا يهتم بجرائم القتل. وفيما يمكن للبسطاء من أمثالي وأمثال غريزلدا أن يعترفوا بهذه الحقيقة، فإن شخصاً مثل ريموند وست مضطر للتظاهر بالسأم... في الدقائق الخمس الأولى على الأقل.

ولكن الأنسة ماربل فضحت ابن أخيها بقولها: أنا وريموند لم نكن نناقش شيئاً غير ذلك طوال العشاء.

سارع ريموند إلى القول: إنني أهتم كثيراً بكل الأنباء المحلية. ثم ابتسم بلطف وتسامح للأنسة ماربل.

سأته غريزلدا: أأدبك نظرية فيما يخص هذه الجريمة؟

قال وهو يلوح بلفافته: منطقياً، شخص واحد يمكن أن يكون قد قتل برونو.

- من؟

أشرأبت عيوننا إليه بانتباه فقال: الكاهن.

شهقتُ فقال بطمئنتي: إنني أعرف طبعاً أنك لم تقتله؛ فالحياة لا تكون أبداً كما ينبغي أن تكون. ولكن فكر فيما يشتمل عليه ذلك من دراما... ومن تناسب... عضو هيئة كنيسة يُقتل في مكتب الكاهن على يد الكاهن... قضية مثيرة جداً!

سألته: والدافع؟

اعتدل في جلسته تاركاً لفافته تنطفئ وقال: أوه! هذا أمر مثير. أظنه عقدة النقص... ربما كان يسبب كبت هائل. بودي لو أكتب قصة هذه القضية.. معقدة بشكل رهيب! أسبوعاً بعد أسبوع، وستة بعد أخرى كان يرى ذلك الرجل في اجتماعات الكنيسة كل يوم، وكان يكره ذلك الرجل دوماً... وكان يتلع دوماً مشاعر الكراهية لديه، فهي مشاعر لا يفرها الدين. وهكذا اعتملت تلك المشاعر في الداخل، تحت السطح، وفي أحد الأيام...

ثم قام بحركة تصويرية برأسه.

التفتت غريزلدا إليّ وقالت: أشعرت يوماً بمثل ذلك يا لين؟

قلت صادقاً: أبداً.

قالت الأنسة ماربل: ومع ذلك فقد سمعتُ أنك تعنيت مغادرته هذا العالم من وقت ليس بالبعيد.

(يا لذلك المتعس دينيس! ولكنها كانت غلطني بالطبع أن أقول تلك الملاحظة). قلت: أخشى أنني قلت ذلك فعلاً، كانت ملاحظة سخيفة بدرت مني، ولكنني كنت قد قضيت معه صباحاً متعباً جداً.

قال ريموند وست: هذا مخيب للآمال، فلو كان عقلك الباطن يخطط فعلاً لقتله لما سمح لك بقول تلك الملاحظة أبداً.

ثم تنهد وقال: لقد سقطت نظريتي. ربما كانت هذه جريمة قتل اعتيادية تماماً... سارق طيور يريد الانتقام أو ما شابه ذلك.

قالت الأنسة ماربل: لقد جاءت الأنسة كرام لرؤيتي بعد ظهر اليوم. قابلتها في القرية وسألتها إن كانت تحب رؤية حديقتي.

سألت غريزلدا: أهى مغرمة بالحدائق؟

قالت الأنسة ماربل وهي تطرف بמושها قليلاً: لا أظنها مغرمة، ولكن في ذلك حجة مفيدة جداً للحديث، ألا نظنين ذلك؟

سألت غريزلدا: وكيف وجدتها؟ لا أظنها سيئة لتلك الدرجة؟

- تطوعت بالكثير من المعلومات... أعطت حقاً الكثير من المعلومات، حول نفسها وحول أسرتها. يبدو أنهم جميعاً إما أموات أو غائبون في الهند... أمر محزن جداً! بالمناسبة، لقد ذهبتُ إلى أولاد هول لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

- ماذا؟

- نعم، يبدو أن السيدة بروثيرو دعته (أو أنها هي التي لمحت للسيدة بروثيرو... لا أدري تماماً أيهما الذي حصل)، وذلك للقيام ببعض الأعمال الكتابية؛ فكثير من الرسائل ينبغي كتابته. وقد كان في ذلك بعض الحظ، باعتبار الدكتور ستون غائباً وليس لديها ما تفعله. كم أثار اكتشاف ذلك القبر من حماسة.

قال ريموند: ستون؟ أهو رجل الآثار؟

- نعم، إنه ينقب عن قبر أثري في أرض بروثيرو.

- إنه رجل طيب، حاذق جداً في اختصاصه. أثقته في مناسبة عشاء قبل فترة قريبة وتبادلنا حديثاً ممتعاً. لا بد أن أزوره.

قلت: لقد سافر قبل قليل مع الأسف إلى لندن لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. بل لقد اصطدمت به عملياً في المحطة عصر اليوم.

- لقد اصطدمت بك أنت.. وكان معك رجل سمين ضئيل الجسم، ويضع نظارات.

- نعم... إنه الدكتور ستون.

- ولكن يا صاحبي... لم يكن ذلك الدكتور ستون.

- لم يكن ستون؟

- ليس ستون عالم الآثار. إنني أعرفه تماماً. لم يكن ذلك الرجل هو الدكتور ستون... بل إنه لا يحمل أي شبه به!

حدثنا كلنا ببعضنا البعض، وحدثت أنا خصوصاً بالآنسة ماريل وقلت: غريب جداً!

قالت الآنسة ماريل: الحفية.

قالت غريزلدا: ولكن لماذا؟

تمتعت الآنسة ماريل قائلة: بذكرني ذلك بزمان ادعى فيه أحدهم أنه مقتش الغاز... ولم يكسب إلا القليل.

قال ريموند وست: شخص متحل، هذا حقاً مثير.

قالت غريزلدا: السؤال هو هل لذلك أية علاقة بالجريمة؟

- ليس بالضرورة، ولكن...

ثم نظرت إلى الآنسة ماريل التي قالت: هذا فعلاً أمر غريب. أمر غريب آخر!

قلت وأنا أنهض: نعم، إنني أشعر أن علينا إبلاغ المفتش بذلك فوراً.

* * *

- ما الذي تريد فعله؟

- أريد الالتحاق بعالم المال.

ازدادت دهشتي أضعافاً وسألته: ما الذي تعنيه بالمال؟

- ما قلته تماماً. أريد الذهاب إلى المدينة.

- ولكن يا بني العزيز، أنا واثق أنك لن تحب الحياة هناك.
حتى لو حصلت على وظيفة في مصرف...

قال دينيس إنه لم يقصد ذلك، فهو لا يريد الالتحاق بمصرف.
سأله عما يعنيه بالضبط فوجدت أن الفتى - كما توقعت - لم يكن
يعرف حقاً ما يريد.

كان يعني بالذهاب "إلى عالم المال" مجرد أن يصبح غنياً
بسرعة، الأمر الذي أوحى له تفاؤل الشباب بأنه مؤكد بمجرد
"الذهاب إلى المدينة". خلصته من هذه الفكرة بأفضل ما أستطيعه
من لطف ثم سأله: ما الذي أوحى لك بهذه الفكرة؟ لقد كنت
مقتنعاً تماماً بفكرة الالتحاق بالبحرية.

- أعرف يا عم لين، ولكنني كنت أفكر. إذ لا بد لي من أن
أتزوج يوماً ما... ولا بد أن يكون المرء غنياً حتى يتزوج فتاة.

- الحقائق تدحض نظرتك هذه.

- أعرف... ولكنني أعني فتاة اعتادت العيش الرغيد.

كان حديثه غامضاً، ولكن حسبت أنني عرفت ما يعنيه فقلت

الفصل الثاني والعشرون

كانت أوامر المفتش سلاك مختصرة جازمة فور حديثي معه
بالهاتف. يتبغي ألا "يتسرب" شيء، ويتبغي - بشكل خاص - عدم
تنبيه الأنسة كرام. وفي غضون ذلك سيتم البدء ببحث عن الحقيقة
في المنطقة المجاورة للغير الأثري.

عدت وغريرلدا إلى البيت ونحن في غاية الانفعال لهذا التطور
الجديد. ولم يكن بوسعنا قول الكثير بحضور دينيس بعد أن وعدنا
المفتش بصدق ألا ننسب بكلمة لأحد، وقد كان دينيس منشغلاً بمتاعبه
الخاصة على أية حال؛ جاء إلى مكثتي وبدأ يعيث بأصابعه ويورجج
قدميه شأنه حين يكون محرراً جداً. قلت له أخيراً: ما الأمر يا دينيس؟

- يا عم لين، إنني لا أريد مهنة البحرية.

دهشت لقلوبه، فقد كان الفتى - حتى تلك اللحظة - مصمماً
جداً بشأن مهنته المستقبلية.

- ولكنك كنت منحمساً جداً لها.

- نعم، ولكنني غيرت رأيي.

بلطف: أندري، ليست كل الفتيات مثل ليتيس برونيرو.

رد فوراً بغضب: أنت متحامل جداً عليها، ولا تحبها. غريزلدا أيضاً لا تحبها، تقول إنها متعينة.

إن غريزلدا محقة تماماً من وجهة النظر النسوية؛ فليتيس متعينة فعلاً، ولكن بوسعي أن أدرك أن من شأن فتى مثل دينيس أن يكره هذا الوصف.

- لو أن الناس يبدون فقط بعض التسامح. حتى عائلة هارنلي نايبير يدورون ويتذمرون منها في وقت كهذا! لمجرد أنها غادرت لعبة التنس مبكرة قليلاً. لماذا تبقى إن هي أحست بالعمل؟ أقول أنه كان لطفاً كبيراً منها أن تذهب أساساً.

- ذلك فضل عظيم.

ولكن دينيس لم يتبه لعبارتي الساخرة، فقد كان مستغرقاً في آلامه الخاصة التي يحسها نياحة عن ليتيس. وأضاف قائلاً: إنها حقاً أبعد ما تكون عن الأنانية. وحتى أريك فقط عدم أنانيتها أقول إنها جعلتني أبقى هناك، فقد أردت أن أذهب أيضاً بالطبع، ولكنها رفضت ذلك بثبات. قالت إن ذلك سيكون سيئاً على أسرة نايبير، وهكذا بقيت ربع ساعة أخرى لمجرد إسعادها. والآن سمعت أن سوزان هارنلي نايبير تدور في كل مكان وتقول إن ليتيس قليلة الأدب.

فكرت بأن للشباب آراء بالغة الغرابة في الأنانية والإيثار. قلت: لو كنت مكانك لما اهتممت.

قال دينيس: "حسناً، ولكن..." وبعد توقف طويل أكمل قائلاً: إنني على استعداد لأن... لأن أفعل أي شيء من أجل ليتيس.

- قليلون منا يستطيعون عمل أي شيء لأحد، وكأنا ما كانت رغبتنا في ذلك، فلا حول لنا ولا قوة.
- ليتي كنت ميتاً.

يا للفتى المسكين، إن حب المراهقين مرض فتاك! أحجمت عن قول أي من الأمور الواضحة التي تتبادر بسهولة إلى الذهن وقد تكون مزعجة له، وبدل ذلك تمنيت له ليلة طيبة وذهبت للنوم.
قمت صباح اليوم التالي لأحد غريزلدا جالسة إلى طاولة الإفطار وفي يدها رسالة مفتوحة. كانت الرسالة من آن برونيرو:

عزيزتي غريزلدا

إن استطعت القدوم أنت وزوجك للغداء هنا بهدوء اليوم فسأكون ممتنة كثيراً لكما. لقد حدث أمر غريب جداً، وأرغب في استشارة الكاهن.

رجاء لا تذكرني ذلك عند قدومك فأنا لم أخبر أحداً بشيء.

المخلصة: آن برونيرو

قالت غريزلدا: ينبغي أن نذهب بالطبع.

واقفتها على ذلك، فقالت: أتساءل ما الذي عساه حصل؟

كنت أنا أيضاً أتساءل عن ذلك. قلت لغريزلدا: أتعلمين، أشعر بأننا لم نصل بعد إلى نهاية هذه القضية.

- أتعني أننا لن نصل حتى يُعتقل أحدٌ فعلاً؟

- كلا لم أقصد ذلك. أقصد أن فيها تفرعات وأموراً تجري في الخفاء ولا نعلم شيئاً عنها. هناك كم كبير من الأمور التي ينبغي إزاحتها وتبديدها قبل أن نصل إلى الحقيقة.

- أتعني بذلك أموراً ليست ذات أهمية ولكنها تعترض الطريق؟

- نعم، أظن ذلك يعبر عن المعنى بشكل جيد.

قال دينيس وهو يتناول بعض العربي: أظن أننا نشير جميعاً ضجة كبرى لا داعي لها. إنه لأمر رائع أن يموت برونيرو، فلم يكن أحد يحبه. أود أن أعرف أن الشرطة لا بد أن يهتموا... فهذا عملهم. ولكنني أتمنى شخصياً أن لا يعثروا على شيء. إنني أكره رؤية سلاك وقد ترقى ومضى متبحراً بذكائه.

إن لدي من الضعف الشري ما يجعلني أميل إلى الموافقة على نقطة الخاصة بترقية سلاك؛ إذ ليس من حق رجل جعل دأبه إزعاج الناس ومضايقتهم أن يأمل حبهم.

مضى دينيس قائلاً: الدكتور هيدوك يرى تقريباً نفس ما أراه؛ فهو لم يسلم قائلاً إلى العدالة أبداً. هو الذي قال ذلك.

أعتقد أن هذا هو الخطر في آراء الدكتور هيدوك. فقد تكون صحيحة بحد ذاتها - وهذا ما لا أقرره أنا - ولكنها تترك على عقل الشباب اللاهي انطباعاً لا يقصده هيدوك نفسه بكل تأكيد.

نشرت غريزelda من النافذة وقالت إن في الحديقة صحفيين، ثم

أضافت متنهدة: أظنهم بصورون نوافذ المكتب ثانية.

لقد عانينا الكثير من هذا الأمر؛ ففي البداية كان فضول أهل القرية، حيث جاء الجميع لينظروا ويحذقوا. ثم جاء الصحفيون مسلحين بأجهزة تصويرهم، وجاء أهل القرية من جديد ليروا المصورين. وفي النهاية اضطررنا لإحضار شرطي من بلدة مَنش بينهام المجاورة ووضع خارج المنزل. قلت: حسناً، ستكون الحنازة صباح غد، وبعدها ستخف الحماسة بالتأكيد.

عندما وصلنا إلى أولد هول لاحظت وجود بعض الصحفيين يتسكعون هناك، وقد أمطروني بالعديد من الأسئلة التي لم أحب عنها بغير الجواب المعتاد (الذي وجدناه الأفضل): "ليس لدي ما أقوله".

قادتنا كبير الخدم إلى غرفة الجلوس التي بدا أن شاغلتها الوحيدة كانت الأنسة كرام... وقد بدت في سعادة كبيرة. قالت وهي تصافحتنا: إنها مفاجأة، أليس كذلك؟ ما كنت لأفكر أبداً بمثل هذا الأمر، ولكن السيدة برونيرو امرأة لطيفة، كما أنه ليس من المستساغ بالنسبة لشابة مثلي أن تبقى بمفردها في مكان كفنندق بلو بور مع وجود كل أولئك الصحفيين. وهذا لا يعني طبعاً أنني لم أستطع تقديم بعض المساعدة... فالمرء يحتاج فعلاً لسكرتيرة في مثل هذا الوقت، والأنسة ليتيس لا تقدم أية مساعدة، أليس كذلك؟

لاحظت أن عداها القديم ليتيس باق، ولكن الفتاة أصبحت - كما هو واضح - نصيرة منحمسة للسيدة برونيرو. وقد تساءلت في نفس الوقت إن كانت قصة قدومها إلى هنا دقيقة جداً، فهي تدعي أن المبادرة جاءت من أن، ولكنني تساءلت إن كان الأمر

كذلك بالفعل. ربما كانت أول إشارة منها لكراميتها الإقامة في الفندق هي التي صدرت من الفتاة. ورغم أنني تركت عقلي مفتوحاً لتقبل كل الاحتمالات في هذا الأمر، إلا أنني لم أر أن الأنسة كرام كانت صادقة كل الصدق.

في تلك اللحظة دخلت آن برونيرو الغرفة. كانت ترتدي السواد الهادي، وتحمل في يدها صحيفة مدتها إلى بنظرة حزينة وقالت: ليست لدي أية عسيرة بمثل هذه الأمور. أمر كريبه جداً، أليس كذلك؟ لقد رأيت صحفياً أثناء التحقيق. قلت له فقط إنني متزعجة جداً وليس لدي ما أقوله، ثم سألتني إن كنت متلهفة على العثور على قاتل زوجي فقلت له: "نعم". ثم سألتني إن كانت لدي أية شكوك فأجبتته بالنفي، وسألتني إن كنت أرى أن الجريمة تدل على معرفة تفصيلية بالقرية فقلت إنها تبدو كذلك بالتأكيد. وكان ذلك كل ما دار من حديث. والآن انظر إلى هذه!

في وسط الصفحة كانت صورة من الواضح أنها أخذت قبل عشر سنوات (والله أعلم من أين جاؤوا بها)، وتحتها بعنوان بارز:

أرملة تعلن أنها لن تستريح حتى توقع بقاتل زوجها

"السيدة برونيرو، أرملة الرجل القاتل، وافقة أن تبحث عن القاتل ينبغي أن يتم في حدود القرية. ولديها شكوكها، ولكن لا شيء مؤكد. وهي تقول إن الحزن قد شلها، ولكنها مصممة على الإيقاع بالقاتل".

قالت آن: كلام لا يشبهني في شيء، أليس كذلك؟

قلت وأنا أعيد لها الصحيفة: كان من الممكن أن يكون الأمر

باعتقادي أسوأ من ذلك.

قالت الأنسة كرام: أليس ذلك وقاحة منهم؟ بودي لو أرى واحداً من أولئك الذين يحاولون الحصول مني على شيء.

من طرفة عين السيدة برونيرو اقتنعت بأنها ترى في هذا القول من الصحة أكثر مما أرادت الأنسة كرام له أن يبدو.

جاء من يعلن أن الغداء جاهز فدخلنا إلى غرفة الطعام. لم تأت ليتيسر للغداء حتى كنا في منتصف وجبتنا، حيث دخلت ومضت بأسلوبها الناثه إلى حيث المكان الفارغ وهي تحيي غريزتها بابتسامة وتحيني أنا بإيماءة من رأسها. راقبتها ببعض الانتباه لأسباب خاصة بي، ولكنها كانت على نفس طبيعتها الغامضة المبهمة. كانت رائحة الجمال... هذا ما يضطرني الإنصاف للاعتراف به، وكانت ما تزال محجمة عن لبس السواد حيث ارتدت لباساً أخضر فاتح اللون.

بعد شرب القهوة قالت آن يهتو: أريد أن أتكلم قليلاً مع الكاهن، سادعوه إلى الطابق العلوي حيث غرفة جلوسي.

جاء الوقت أخيراً لأعرف سبب استدعائها. نهضت وتبعها على الدرج. توقفت عند باب الغرفة، وحينما كنت على وشك الكلام مدت يدها لتوقفتني. بقيت منصتة وهي تنظر إلى الأسفل حيث الصالة، ثم قالت: حسناً، إنهم يخرجون إلى الحديقة. كلا... لا تدخل هناك، ستصعد إلى الأعلى.

ووسط دهشتي سارت أمامي عبر العمر حتى نهايته، حيث كان درج ضيق أشبه بالسلم يفضي إلى الطابق الأعلى. ارتقت وأنا خلفها

حتى وجدنا نفسي في ممر خشبي يعلوه القبار. فتحت آن أحد الأبواب وأدخلتني إلى سقيفة واسعة قليلة الإضاءة بدا واضحاً أنها تُستخدم لتخزين الأثاث والحاجيات القديمة. كانت فيها صناديق ثياب، وقطع أثاث قديم مكسور، وبعض الصور المكدمسة، مع كل تلك الأشياء العديدة التي تحفل بها مثل هذه الغرف.

كانت دهشتي بادية لدرجة جعلتها تنسم قليلاً ونقول: عليّ أولاً أن أشرح لك الأمر. إن نومي خفيف جداً في هذه الأيام، وفي الليلة الماضية... أو بالأحرى صباح هذا اليوم، في حوالي الثالثة ليلاً، كنت على قناعة بأنني سمعت أحداً يتحرك في المنزل. أصغيت لبعض الوقت، ثم نهضت أخيراً وخرجت لأرى، وعلى استراحة الدرج خارج غرفتي أدركت أن الأصوات تأتي من فوق وليس من الأسفل. تقدمت حتى أسفل هذا الدرج الضيق، وهناك خيل لي أيضاً أنني سمعت صوتاً. ناديت: "هل من أحد؟"، فلم ألق جواباً ولم أعد أسمع شيئاً، وهكذا افترضت أن أعصابي هي التي تخدعني وعدت إلى النوم. ولكنني صعدت إلى هنا في وقت مبكر من صباح اليوم لا بدفعني لذلك إلا الفضول. ووجدت هذه!

انحنت وأدارت صورة كانت تستند إلى الجدار وظهرها إلينا.

شبهت دهشة. بدا واضحاً أن الصورة كانت رسماً شخصياً بالألوان الزيتية، ولكن الوجه كان مقطوعاً بطريقة وحشية لم يعد بالإمكان معها التعرف على صاحب الصورة، وفوق ذلك بدا واضحاً أن ذلك التقطيع والتشويه تم حديثاً. قلت: يا له من أمر غريب جداً!

- أليس كذلك؟ قل لي، هل يخطر في بالك أي تفسير؟

هزرت رأسي نائياً وقلت: في هذا الأمر نوع من الوحشية التي لا أرتاح لها. يبدو وكأن ذلك تمّ خلال نوبة من الغضب الجنوني.

- نعم، هذا ما ظننته أيضاً.

- ما هي هذه الصورة؟

- ليست لدي أدنى فكرة عن ذلك، فلم أرها أبداً من قبل. كل هذه الأشياء كانت في السقيفة عندما تزوجت لوكيوس بروثيرو وبحثت للعيش هنا.

- غريب جداً!

انحنيت وتفحصت الصور الأخرى. كانت من تلك الصور التي يتوقع المرء وجودها في مثل هذه السقيفة... صور عادية لمناظر طبيعية، وأخرى للوحات زيتية، ولوحات مقلدة ذات أطر رخيصة.

لم أجد ما يفيد. صندوق ثياب ضخم قديم الطراز وقد كتبت عليه الأحرف الأولى "إب". رفعت غطاءه فوجدته فارغاً، ولم يكن في السقيفة شيء آخر ذو دلالة. قلت: إنه فعلاً حدث مدهش جداً. ولكنه أيضاً... غير ذي معنى.

- نعم، وهذا يخيفني قليلاً.

لم يكن ثمّ ما يرى غير ذلك. رافقتها إلى غرفة جلوسها فأغلقت الباب وقالت: أتظن أن عليّ أن أفعل شيئاً حيال ذلك؟ أخبر الشرطة؟

ترددت وقلت: من الصعب القول ظاهرياً إن كان...

أكملت هي العبارة قائلة: إن كان الأمر علاقة بجريمة القتل أم

لا، أعرف ذلك. هذا هو ممكن الصعوبة، فظاهرياً لا تبدو أية علاقة بين الأمرين.

- نعم، ولكنه أمر غريب آخر.

جلسنا ساكتين نقطب حاجبتنا، ثم قلت: ما هي عطلتك، إن كان لي أن أسأل؟

رفعت رأسها وقالت بشيء من التحدي: سأستمر في العيش هنا لستة أشهر أخرى على الأقل! رغم أنني لا أحب ذلك، فأنا أكره فكرة العيش هنا. ولكنني أرى أن ذلك هو السبيل الوحيد، وإلا فالناس إنني هربت... وإن ضميري يعذبني.

- ليس هذا معقولاً.

- أوه، نعم. سيقولون ذلك. خاصة أنني عندما... عندما تنتهي الأشهر الستة... سأتزوج لورنس.

الثقت عيناها وهي تقول: كلانا لا يريد الانتظار أكثر من ذلك.

- كنت أحسب أن ذلك سيحدث.

فجأة انهارت ودفنت رأسها بيديها قائلة: أنت لا تدري كم أنا ممثلة لك... لا تدري. كنا قد ودعنا بعضنا، وكان على وشك الرحيل. أشعر بشعور فظيع نحاه موت لوكيوس، ولو كنا نخطط للهروب معاً ومات وقتها لكان الأمر فظيئاً بالنسبة لي الآن، ولكنك جعلتنا نرى مقدار الخطأ في ذلك التصرف. ولهذا أنا ممثلة لك.

قلت لها متجهماً: أنا أيضاً شاكر لكما.

اعتذلت في جلستها وقالت: ومع ذلك، طالما أن القاتل الحقيقي لم يكشف فإنهم سيظلون دوماً أنه لورنس... أوه! نعم، سيظلون ذلك، وخاصة عندما يتزوجني.

- يا عزيزتي، لقد أثبتت شهادة الدكتور هيدوك بما لا يدع مجالاً للشك...

- ومتى اهتم الناس بالشهادات؟ إنهم لا يعرفون بأمرها، والدليل الطبي لا يعني شيئاً بالنسبة لأناس غرباء على أية حال. وهذا سبب آخر لبقائي هنا يا سيد كليمنت. إنني سأعثر على الحقيقة.

التمعت عيناها وهي تتكلم، ثم أضافت: ولذلك طلبت من تلك الفتاة القدوم إلى هنا.

- الآنسة كرام؟

- نعم.

- أنت التي دعوتها إذن. أعني أن الفكرة كانت فكرتك.

- فكرتي تماماً، لقد دعوتها إلى هنا عامدة.

- ولكن، أترك نظنين من الممكن أن تكون لتلك الشابة السخيفة علاقة بالجريمة؟

- من السهولة البالغة الظهور بمظهر السخافة يا سيد كليمنت. هذا واحد من أسهل الأمور في الدنيا.

- إذن فأنت حقاً نظنين...

- لا، لا تكمل، فأنا لا أظن شيئاً سوى أن تلك الفتاة تعرف شيئاً ما... أو ربما عرفت شيئاً، أريد دراستها عن كثب.

قلت متأملاً: وفي أول ليلة لها هنا تم تمزيق تلك الصورة!

- أنظنها هي التي فعلت ذلك؟ ولكن لماذا؟ يبدو ذلك في منتهى السخف والاستحالة.

- يبدو لي في منتهى السخف والاستحالة أن يُقتل زوجك في مكنتي، ولكنه قتل فيه!

وضعت يدها على ذراعي وقالت: أعرف، إنه أمر فظيع بالنسبة لك. إنني أدرك ذلك، مع أنني لم أتحدث كثيراً عنه.

أخرجت القرط الأزرق اللازوردي من جيبي ورفعته أمامها قائلاً: أظن أن هذا لك؟

- أوه، نعم!

مدت يدها لتأخذه بابتسامة سرور قائلة: أين وجدته؟

ولكنني لم أضع القرط في يدها الممدودة، بل قلت: أتمنعين إن احتفظت به لفترة بسيطة؟

- لا أمانع بالتأكيد.

بدت متسائلة، ولكنني لم أشيع فضولها. سألتها عن وضعها المالي وقلت: أعرف أنه سؤال وقع، ولكنني لا أقصده بهذا المعنى.

- لا أراه وقحاً أبداً، فأنت وغريزelda أفضل صديقين لي هنا،

كما أنني أحب تلك العجوز المسلية الأنسة ماريل. لقد كان لوكيوس كما تعلم غتياً جداً، وقد قسم تركته بالتساوي تماماً بيني وبين ليتيس. هذا المنزل يؤول إلي، ولكن تقضي الوصية بأن تختار ليتيس من الأثاث ما يكفي لفرش بيت صغير لها، وقد ترك لها مبلغاً منفصلاً لشراء بيت، بحيث تصبح القسمة متساوية.

- ما هي عخططها، أتعرفين؟

ابتسمت أن بسخري وقالت: إنها لا تخبرني بخططها. يخيل إلي أنها ستترك هذا المنزل بأسرع ما تستطيع. إنها لا تحبني... لم تحبني أبداً. أظنني المخطئة، رغم أنني حاولت حقاً أن أكون منصفة معها دائماً. ولكني أحسب أن أية فتاة تكره وجود امرأة أب شابة.

سألتها فجأة: أتحبها؟

لم تحبني على الفور، وهذا ما أقنعني بأن آن بروثيرو امرأة شديدة الصدق. قالت أخيراً: أحببتها في البداية. كانت فتاة رائعة جداً، ولكن لا أظن أنني أحبها الآن. لا أدري لماذا... ربما لأنها لا تحبني. أنا أحب أن يحبني الناس.

قلت: "كلنا نحب ذلك"، فرأيتها تبتسم.

بقيت أمامي مهمة واحدة، وهي تبادل بضع كلمات مع ليتيس بروثيرو على انفراد. وقد تدبرت ذلك بسهولة عندما رأيتهما وحدهما في غرفة الجلوس، وكانت غريزelda وغلاديس كرام في الحديقة. دخلت وأغلقت الباب خلفي وقلت: ليتيس، أريد الحديث معك.

رفعت رأسها دون اهتمام وقالت: نعم؟

كنت قد فكرت مسبقاً فيما سأقوله. مددت يدي بالقرط الأزرق وقلت: لماذا أسقطت هذا في مكثي؟

رأيتها تتصلّب للحظة... كاد ذلك يكون أقرب للمص البصر، ثم استعادت السيطرة على نفسها بسرعة مذهلة جعلتني أشك فيما رأيته عيناى، وقالت دون اهتمام: أنا لم أسقط في مكثك شيئاً أبداً. هذا ليس لي... إنه قرط آن.

- أعرف ذلك.

- حسناً، لماذا تسألني إذن؟ لا بد أن آن أسقطته.

- إن السيدة بروثيرو لم تدخل إلى مكثي إلا مرة واحدة بعد الجريمة، وعندها كانت تلبس السواد، ولذلك لا يمكن أن ترتدي مع السواد قرطاً أزرق.

- في تلك الحالة لا بد أنها أسقطته قبل ذلك... هذا هو التفسير المنطقي.

- منطقي جداً. أنراك تذكرين متى كانت زوجة أبيك تضع هذا القرط في أذنيها آخر مرة؟

- أوه!

نظرت إلى نظرة بدت فيها بعض الحيرة وقالت: أهذا مهم جداً؟

- ربما كان مهماً.

- سأحاول التذكر.

جلست هناك عاقدة الحاجبين تفكر. لم يسبق لي رؤية ليتيس بروثيرو بمثل هذه الفتنة التي بدت عليها في هذه اللحظة. قالت فجأة: أوه، نعم! كانت تلبسه... يوم الخميس. تذكرت الآن.

قلت ببطء: الخميس كان يوم الجريمة، وقد جاءت السيدة بروثيرو إلى غرفة المكث من الحديقة في ذلك اليوم. ولكنها قالت في شهادتها - إن كنت تذكرين - إنها لم تصل إلا للباب الزجاجي للمكث، وليس إلى داخله.

- وأين وجدته أنت؟

- ملقى تحت طاولة الكتابة.

قالت ليتيس ببرود: يبدو الأمر - إذن - كما لو أنها لم تقل الحقيقة، أليس كذلك؟

- أتعنين أنها دخلت ووقفت عند الطاولة؟

- هكذا يبدو، أليس كذلك؟

ثم نظرت إلى بعينين صافيتين وقالت بهدوء: إن أردت رأيي فإنني لم أحسب أبداً أنها كانت تقول الحقيقة.

- وأنا أعرف أنك أنت لا تقولين الحقيقة يا ليتيس.

جفلت وقالت: ما الذي تعنيه؟

- أعني أن آخر مرة رأيت فيها هذا القرط كانت صباح يوم الجمعة عندما أتيت إلى هنا مع الكولونيل ميلنشتيت. كان موضوعاً

مع فردته الأخرى على طاولة زينة السيدة بروثيرو، وقد تلمستُ
الفردتين كليهما بنفسى عملياً.

- أوه...!

اضطربتُ وقذفت نفسها فجأة على ذراع كرسيها وانفجرت
بالبكاء. تدلى شعرها الأشقر حتى كاد يبلغ الأرض. كان موقفاً
غريباً... جميلاً وتلقائياً.

تركتها تتحب ليضع دقائق في صمت ثم قلت لها بكل لطف:
لماذا فعلت ذلك يا لينيس؟

- ماذا؟

قفزت وعدلت من جلستها وهي تقذف شعرها بقوة إلى
الخلف. بدت مذعورة... بل مرعوبة إلى حد ما. قالت: ماذا تعني؟

- ما الذي جعلتك تفعلين ذلك؟ أهي الغيرة؟ كراهيتك لأن؟

- أوه!... أوه، نعم!

ردت شعرها عن وجهها إلى الخلف وبدت فجأة وكأنها
استعادت السيطرة على نفسها ثم قالت: نعم، يوسفك أن تسمي
ذلك غيرة. كنت دوماً أكره أن... منذ أن أنت هنا لتلعب دور
الملكة. لقد وضعتُ ذلك القوط البائس تحت الطاولة. كنت أرجو
أن يوقعها ذلك في المتاعب... وكان سيوقعها لو لم تكن أنت ذلك
المتدخل الذي يمس أنفه ويتلمس طاولات زينة الآخرين. وعلى كل
حال، ليس من شأن رجل الدين أن يقوم بمساعدة الشرطة.

يبدأ أن من الصعب النظر بحدية إلى محاولتها الانتقام من أن.
وقد قلت لها ذلك، وأضفت أنني سأعيد القوط للسيدة بروثيرو دون
أن أخبرها شيئاً عن ملابسات عشوري عليه. بدت متأثرة بذلك بعض
الشيء وقالت: هذا لطف كبير منك.

سكنت قليلاً ثم قالت وهي تختار كلماتها بعناية وتشيح
بوجهها: لو كنت مكانك يا سيد كليمنت... لو كنت مكانك
لأبعدت دينيس من هنا بأسرع ما يمكن. أظن... أظن أن ذلك أفضل.

رفعت حاجبي بشيء من التعجب، ولكن بشيء من التسلي أيضاً.
أضافت قائلة بنفس ذلك الأسلوب الفطيع: سيكون ذلك أفضل فيما
أظن. إنني آسفة بشأن دينيس. لا أظنه... على كل حال، أنا آسفة.

وتركتنا الموضوع عند تلك النقطة.

* * *

يكتبه هو لها يمكن أن يلقي الضوء على الأمور... ولكن بمجرد أن تعلم أننا نعرف بأمرها فستطبق فيها هكذا.

لم يوضح الشرطي كيف هي هذه الهكذا، ولكنني شككت في إمكانية أن تطبق الآنسة غلاديس كرام فمعها بالطريقة التي وصفها؛ فقد كان من المستحيل تصورهما إلا كفتاة تتدفق كلاماً.

قال الشرطي هيرست بأسلوب تعليمي: عندما ينتحل امرؤ شخصية غيره فلا بد أن تعرف لماذا ينتحل.

- أمر طبيعي.

- والجواب لا بد أن يوجد في هذا القبر... وإلا لماذا بقي يعيث فيه دوماً؟

- ربما اتخذ عذراً ليحوم هنا.

غير أن فكري لم ترق للشرطي فقال بيروود: ذلك رأي الهواة.

- ولكنك لم تجد الحقيقة على أية حال.

- سنجدها يا سيدي، لا شك في ذلك.

- لست واثقاً إلى هذا الحد. كنت أفكر بقول الآنسة ماربل إن الفتاة عادت بعد وقت قليل وهي لا تحمل شيئاً، وفي هذه الحالة ما كان لها من الوقت ما يكفي للوصول إلى هنا والعودة ثانية.

- لا تأبه لما تقوله العجائز، فعندما يشاهدن شيئاً غريباً ويتنظرون عواقبه بكل لهفة يمر الوقت سريعاً بالنسبة إليهن. وعلى أية

الفصل الثالث والعشرون

في طريق عودتنا اقترحت علي غريزلدا أن نحول طريقنا بحيث نمر على القبر الأثري؛ كنت راغباً في معرفة ما إذا كان الشرطة يعملون هناك، وإن كانوا كذلك فما الذي اكتشفوه، ولكن كان لدى غريزلدا ما تفعله في البيت، وهكذا تركتني لأقوم بالمهمة بمفردي.

وجدت الشرطي هيرست يتولى مسؤولية العمل هناك. قال: ما من أثر حتى الآن يا سيدي، ومع ذلك فإن المنطق يقول إن هذا هو المكان الوحيد لكثرنا.

وقد احترت في فهم ما يرمي إليه، إلا أنه سرعان ما أوضح قائلاً: ما أعنيه يا سيدي هو أنه ما من مكان آخر يمكن أن تكون تلك الفتاة قد قصده به سلوكها ذلك الطريق، فهو لا يؤدي إلا إلى أولد هول وإلى هنا وحسب.

- أحسب أن من شأن المفتش سلاك أن يزدري أي إجراء بسيط من قبيل التوجه مباشرة وسؤال الفتاة.

- إنه حريص على عدم تضييعها للأمر؛ فكل ما نكتبه لستون أو

حال، لن تجد امرأة تعرف شيئاً عن الوقت.

لطالما تعجبت من ميل العالم كله للتعميم؛ إذ تسادراً ما تصح التعميمات، إن صح منها شيء، وعادة ما تكون خاطئة جداً. أنا شخصياً أعاني من ضعف الإحساس بالوقت (وذلك سبب تركي للساعة متقدمة عن الوقت الحقيقي)، أما الأنسة ماريل -مثلاً- فلها إحساس مرهف بالوقت؛ فساعات بيتها دقيقة كلها حتى الثواني، وهي نفسها دقيقة جداً في كل مواعيدها. ولكني لم أكن أنوي مجادلة الشرطي في هذه النقطة، ولذلك تمنيت له مساء سعيداً وحظاً طيباً ومضيئاً.

كنت أقرب من البيت عندما جاءني الفكرة، وقد جاءت دون مقدمات، بل التمعت فجأة في ذهني كحل محتمل.

ربما تذكرون أنني -لدى بحثي الأول في الطريق الترابي في اليوم التالي للجرime- وجدت الأغصان على غير طبيعتها في مكان معين، وقد تبين -أو أن ذلك ما حسبه وقتها- أن ذلك الأثر كان من مرور لورنس خلالها وهو يتابع مهمة كمهمني.

ولكنني تذكرت أننا عثرنا معاً بعد ذلك على أثر آخر لشخص مر بين الأغصان، وتبين أن ذلك الشخص لم يكن سوى المفتش. وأنا أعيد التفكير في الأمر تذكرت على نحو محدد بأن الأثر الأول (أثر لورنس) كان واضحاً ملحوظاً أكثر من الثاني، كما لو أن أكثر من شخص قد سلك ذلك الطريق، وفكرت في أن ذلك ربما كان هو الذي لفت انتباه لورنس أساساً لذلك الأثر. فماذا لو افترضنا أن ذلك الأثر الأول كان بفعل مرور الدكتور ستون أو الأنسة كرام؟

تذكرت -أو تخيل لي أنني تذكرت- أنني رأيت هناك العديد من الأوراق الذابلة على أغصان مكسورة، فإن كان الأمر كذلك لما كان إحداث ذلك الأثر قد تم في نفس الظهيرة التي بحثنا فيها أنا ولورنس. كنت أقرب لتوي من ذلك المكان المقصود، وقد ميزته بسهولة وشققت طريقي ثانية بين الأغصان، ولاحظت هذه المرة وجود أغصان كسرت حديثاً. لقد مر أحدهم فعلاً من هنا بعد مروري أنا ولورنس. وسرعان ما وصلت إلى المكان الذي التقيت فيه بلورنس. ولكن الأثر الخفيف امتد أبعد قليلاً، ومضيت ورائه. وفجأة اتسعت مساحة ذلك الأثر لتأخذ شكل مساحة صغيرة خالية بها آثار لتغيير حديث في قشرة الأرض. وإنني أقول مساحة خالية لأن النباتات فيها كانت أقل مما عداها، أما أغصان الأشجار فوقها فقد تشابكت، ولم يكن المكان كله أكثر من بضعة أقدام.

في الجانب الآخر كانت النباتات كثيفة مرة أخرى، وهذا واضحاً أن أحداً لم يشق طريقه عبرها مؤخراً. ومع ذلك بدت على غير طبيعتها في مكان واحد فقط. عبرت إليه وركعت على ركبتي وأخذت أبعد أغصان الشجيرات والنباتات بكلتا يدي. وقد وجدت مكافأتي في سطح بني لامع. أدخلت يدي وكلتي انفعال، وبكثير من الصعوبة أخرجت حقيبة بنية صغيرة.

أطلقت صيحة انتصار، فقد نجحت! ورغم ملاحظات الشرطي المتكلمة فإنني أثبت صحة تحليلي. إلى هنا حملت الأنسة كرام الحقيبة دون شك. حاولت معالجة قفل الحقيبة فوجدته مقفلاً.

وفيما أنا أنهض واقفاً لاحظت حبة كريستالية صغيرة تميل إلى

اللون البني، التفتها بشكل يكاد يكون آلياً ودستها في جيبي، ثم أمسكت بالحقيبة من مقبضها وعدت سالكة الطريق الترابي من جديد. وفيما أنا أصعد المرفاة لأعبرها إلى الممشى المؤدي إلى البيت صاح بي صوت منفعل قريب: أوه! سيد كليمنت. لقد وجدتها! يا لذكائك!

وازنت الحقيبة على السياج بيني وبينها وأنا أسجل في ذهني حقيقة أن الأنسة ماربل هي -بلا منازع- سيدة من يرون ولا يرون. قالت: هذه هي... كنت سأعرفها أينما كانت.

رأيت أن زعمها هذا ينطوي على شيء من المبالغة مع وجود الآلاف من الحقائق الرخيصة اللامعة التي يشبه بعضها بعضاً بحيث لا يملك أحد تمييز واحدة منها وهو يراها في ضوء القمر من مثل هذا البعد، ولكنني أدركت أن القصة كلها كانت انتصاراً يسجل للأنسة ماربل، الأمر الذي يخولها الخروج بشيء من المبالغة المغفورة.

- أحسبها مقلدة يا سيد كليمنت؟

- نعم، كنت على وشك أخذها إلى مركز الشرطة.

- ألا تظن من الأفضل الاتصال بهم هاتفياً؟

ما من شك في أن الاتصال الهاتفي أفضل بكثير؛ إذ سيكون مسيري عبر القرية حاملاً حقيقة بيدي مدعاة لدعاية غير مرغوبة. وهكذا فتحت بوابة حديقة الأنسة ماربل ودخلت البيت من خلال الباب الزجاجي، وهناك اتصلت وأبلغت عن الخبر من غرفة الجلوس التي أغلقت بابها.

كانت النتيجة أن المفتش سلاك أعلن أنه سيكون عندنا في غضون دقيقتين. وعندما وصل كان في أنكد حالته. بادرني قائلاً: حصلنا عليها إذن، أليس كذلك؟ كان عليك -يا سيدي- ألا تحتفظ بالمعلومات لنفسك. إن كان لديك ما يدعوك للاعتقاد بأنك تعرف مخبأ الغرض الذي يجري البحث عنه فقد كان عليك إبلاغ ذلك للسلطات المعنية.

- كان ذلك مجرد صدفة، فقد جاءتني الفكرة فجأة.

- وهذه قصة محتملة؟ تمشي ما يقرب من ثلاثة أرباع الميل داخل غابة، وتعتمد مباشرة إلى النقطة الصحيحة وتضع يدك على الحقيبة!

كان بإمكانني أن أشرح للمفتش سلاك الخطوات المنطقية التي قادتني إلى تلك البقعة تحديداً، ولكنه كان قد حقق غرضه المعتاد في إزعاجي، ولذلك لم أقل شيئاً.

قال المفتش سلاك وهو ينظر إلى الحقيبة بكراهية وباستعداد لعدم الاهتمام: حسناً؟ أحسب أن من الأفضل أن ننظر إلى ما بداخلها.

كان قد أحضر معه رزمة من المفاتيح وسلكاً. وكان القفل من النوع الرخيص، فلم يستغرق فتح الحقيبة أكثر من دقيقتين.

لا أدري ما الذي كنا نتوقعه... وبخيل لي أننا توقعنا شيئاً منيراً جداً. ولكن أول ما صادفته أعيننا كان وشاحاً ذا نقشة على شكل مربعات وقد اتسخ بالدهون. رفعه المفتش فظهر بعده معطف أزرق غامق قد بهت لونه وهو أسوأ من سابقه. وتبع ذلك كتاب من قماش ذي مربعات.

قال المفتش: بضاعة فاسدة.

ثم جاءت بعد ذلك حزمة منخفضة الكعب مهترئة، وفي أسفل الحقيبة كانت رزمة ملفوفة بورق الصحف.

قال المفتش بمرارة وهو يفتح الرزمة: أظنه قميصاً.

بعد لحظة كان يمسك أنفاسه دهشة؛ ففي داخل الرزمة كانت بعض الأغراض الفضية المزخرفة وصحن واسع من نفس المعدن!

صاحت الآنسة ماربل صيحة تعرف حادة وهتفت: إنها أواني الكولونيل بروثيرو، وبعضها يعود لعهد الملك تشارلز الثاني. هل سمعتما بمثل هذا الأمر!

احمرّ وجه المفتش كثيراً وقال: كانت تلك هي اللعبة إذن... مسألة سرقه؟ ولكني لا أستطيع فهم الأمر؛ إذ لم يذكر شيء عن فقد مثل هذه الأمور.

قلت: ربما لم يكتشفوا فقدانها. لا أظن مثل هذه الأغراض الثمينة تكون موضوعة بشكل ظاهر للاستخدام اليومي. ربما كان الكولونيل بروثيرو قد احتفظ بها في خزانة ما.

قال المفتش: ينبغي أن أحقق في ذلك. سأذهب الآن فوراً إلى أولد هول. لهذا - إذن - أطلق دكتورنا ستون ساقيه للريح... فيسبب الجريمة وغيرها من الأمور الغريبة، خشي أن نعلم بأنشطته. رأى أن من المرجح أن يتم تفتيش أمتعته، قدفع الفتاة لتخبئها في الغابة مع ثياب مناسبة للتكر. كان ينوي العودة من طريق مختلف لأخذ تلك الأغراض في ليلة ما بينما تبقى هي هنا لتبديد الشكوك. حسناً، في

ذلك أمر إيجابي واحد، فهذا يبرئه من قضية القتل. لا علاقة له بجريمة القتل، فتلك مسألة أخرى مختلفة.

أعاد وضع الأغراض في الحقيبة ثم انصرف رافضاً دعوة الآنسة ماربل لتناول كوب من الشاي.

قلت متتهداً: حسناً، ما قد حل أحد الألفاز. ما قاله سلاك صحيح تماماً، ما من مبررات للشك بالدكتور ستون فيما يخص جريمة القتل؛ فلكل أفعاله تفسير مقنع تماماً.

- يبدو الأمر حقاً على هذا النحو، مع أن المرء لا يمكن أن يكون واثقاً تماماً من كل شيء، أليس كذلك؟

- الدافع غائب بالتأكيد؛ فقد حصل على ما يريد وكان على وشك المغادرة.

- نعم.... نعم.

كان واضحاً أنها غير مقتنعة تماماً، ونظرت إليها بشيء من الفضول فسارعت للإجابة على نظرتي المتسائلة بلهفة يخالطها الاعتذار: لا شك أنني مخطئة تماماً، فأنا غيبية في مثل هذه الأمور، ولكنني كنت أتساءل فقط... أعني أن هذه القضايا ثمينة جداً، أليس كذلك؟

- أظن أن صحناً فضياً كالذي رأيناه قد بيع قبل أيام بنحو ألف جنيه.

- أعني أن القيمة ليست في المعدن فقط.

- كلا، فالقيمة تكمن في جماليته وتاريخه.

- هذا ما أعنيه، ويبيع مثل هذه التحف يتطلب وقتاً لترتيب الأمر، وحتى لو تم ترتيبه فلا يمكن المضي في الأمر إلا بسرية. أعني أن السرقة - إذا ما تم الإبلاغ عنها ودب الضياح لدى الشرطة - فسن يكون بالإمكان تسويق تلك الأغراض أبداً.

- لا أفهم تماماً ما الذي تعنيه؟

ازداد ارتياك الآنسة ماربل وازدادت لهجتها اعتذاراً وقالت: أعلم أنني لا أحسن التعبير. ولكن يبدو لي أن... أن هذه الأغراض لم يكن من الممكن سرقتها هكذا ببساطة. التصرف المقنع الوحيد هو أن يتم استبدال تلك التحف بنسخ زائفة عنها، وعندها ربما لا تكشف السرقة إلا بعد زمن طويل.

- هذه فكرة عبقرية.

- ستكون تلك هي الطريقة الوحيدة، أليس كذلك؟ وإن كان الأمر كذلك، ففور استبدال التحف لن يكون سبب - كما قلت - لقتل الكولونيل بروثيرو... بل على العكس.

- بالضبط، هذا ما قلته.

- نعم، ولكني كنت أتساءل فقط... لا أدري طبعاً... كما أن الكولونيل بروثيرو كان من عادته أن يتكلم كثيراً عما يعتزم فعله قبل القيام به فعلاً، وكان أحياناً لا يقوم بما اعتزمه أبداً، ولكنه ذكر بالتأكيد...

- ماذا ذكر؟

- ذكر أنه سيقوم بتأمين كل حاجياته... ونحدث عن شخص

سيأتي من لندن، لأغراض الحصر... كلا، ليس الحصر؛ فالحصر لا يقال إلا في معرض التركات... ولكن لأغراض التأمين. فقد أخبره أحدهم بضرورة القيام بذلك. تحدث في هذا الموضوع كثيراً، وفي ضرورة إتمامه. لا أدري طبعاً إن كان قد قام بأية ترتيبات فعلية، ولكن إن كان قد قام بذلك...

- فهمت.

- كان من شأن التعبير أن يعرف الحقيقة فور رؤيته للفضيات، وعندها سيتذكر الكولونيل بروثيرو أنه عرض التحف على الدكتور ستون. أتساءل إن كانت عملية الاستبدال قد تمت وقتها... بقليل من خفة اليد كما يسمونها. عملية ذكية... ولكن إن كان الكولونيل قد استدعى خبيراً لتأمين الفضيات فسوف تكون الفأس قد وقعت في الرأس كما يقول العامة.

- فهمت فكرتك. أظن أن علينا التأكد من هذا الأمر.

ذهبت ثانية إلى الهاتف. وسرعان ما كنت أتحدث مع آن بروثيرو في أولد هول. قلت لها: كلا، ليس في الأمر شيء بالغ الأهمية. هل وصل المفتش؟ أوه! إنه في طريقه إليك إذن. سيذكر بروثيرو، أنتستطيعين إخباري إن كنتم قد أحرستم ثميناً لمحتويات منزلكم؟ ماذا تقولين؟

جاء جوابها واضحاً جازماً. شكرتها ووضعت السماعة وعدت إلى الآنسة ماربل قائلاً: جاءك جواب مؤكد. لقد أجرى الكولونيل بروثيرو ترتيبات لتقديم خبيرة من لندن يوم الاثنين... أي غداً... للقيام بتأمين شامل. وبسبب وفاة الكولونيل تم تأجيل الأمر.

قالت الأنسة ماريل بهدوء: إذن فقد كان لديه دافع.

- بالنسبة للدافع نعم، ولكن هذا كل ما في الأمر. فعندما أطلقت الطلقة كان الدكتور ستون قد انضم لشوه إلى لورنس وأن، أو أنه كان يصعد المراقبة في طريقه للانضمام إليهما.

قالت الأنسة ماريل بتأمل: نعم، هذا يخرج من دائرة الشك.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

عدت إلى بيتي لأجد هاوز في انتظاري في مكثي. كان يذرع المكتب حيلة وذهاباً بعصبية، وعندما دخلت المكتب جفل كمن أطلقت عليه النار وقال وهو يمسح جبينه: ينبغي أن تعذرنني، فأعصابي أصبحت محطمة مؤخراً.

- يا صديقي العزيز، عليك بالتأكد أن تسافر من أجل بعض التغيير، وإلا ستجذك منهاراً تماماً، وهذا لن يفيد في شيء.

- لا أستطيع ترك موقعي. كلا، هذا شيء لن أفعله أبداً.

- إنها ليست مسألة ترك موضع. أنت مريض، وأنا واثق أن هيدوك سيتفق معي في ذلك.

- هيدوك... ما هذا الطيب؟ مجرد طيب عام في الريف.

- لا أحسبك أنصفته. لقد اعتبر دوماً رجلاً قديراً في مجال عمله.

- أوه! ربما. نعم، أظنه كذلك، ولكنني لا أحبه.

أغمض عيني وازدرد ريقه بتشنج.

من الواضح لي أن نعمة شيئاً غير طبيعي أبداً عند هاوز. وقد بدا
متركاً لأفكاري، لأنه فتح عينيه وقال بسرعة: ليس بي شيء حقاً. لا
يعتو الأمر مسألة هذا الصداغ... هذا الصداغ الرهيب المعضني. لا أدري
إن كان بوسعك إعطائي كوباً من الماء.

- بالتأكيد.

ذهبت وأحضرت له كوب ماء بنفسني؛ ففرغ الأجراس في
بيتنا ممارسة لا طائل منها. أعطيت الماء فشكرني وأخرج من حبيبه
علية كرتونية فتحها وأخرج منها كبسولة دواء ابتلعها مع الماء وقال:
فيها مسحوق لمعالجة الصداغ.

تساءلت فجأة إن كان هاوز قد أدمن تعاطي مثل هذه العقاقير،
فمن شأن ذلك أن يفسر كثيراً من تصرفاته الغريبة، ولذلك قلت له:
لعلك لا تأخذ الكثير من هذه العقاقير كما أرجو.

- أوه، لا، لا. لقد حذرني الدكتور هيدوك من ذلك، ولكنها
رائعة فعلاً؛ فهي تسبب ارتياحاً فورياً.

وقد بدا بالفعل أميل إلى الهدوء والاتزان. قلت له: اذهب إلى
البيت واسترح. كلا، لن اسمع أي مناقشة في ذلك... ولا كلمة.

شكرني ثانية، ثم قال وعيناه تتجاوزاني إلى الباب الزجاجي:
لقد... ذهبت إلى أولد هول اليوم، أليس كذلك يا سيدي؟

- نعم.

- أرجو أن تعذرني... ولكن هل أرسل في طلبك إلى هناك؟

نظرت إليه مندهشاً فتورد وجهه وقال: إنني آسف يا سيدي.
إنني... إنني حسبت فقط أن بعض التطورات الجديدة ربما حدثت
وكانت سيياً في استدعاء السيدة بروثيرو لك.

لم يكن في نيتي أبداً أن أشيع فضول هاوز، فقلت له: لقد
أرادت مناقشة ترتيبات الحنازة وبعض الأمور الصغيرة الأخرى معي.

- أوه! كان ذلك كل ما في الأمر... فهمت.

لم أتكلم. تملعل منتقلاً من قدم إلى أخرى، ثم قال أخيراً: السيد
ريدنغ جاء لزيارتي ليلة أمس. ولا... ولا أدري لماذا.

- ألم يخبرك؟

- اكتفى بالقول إنه فكر بالمجيء لزيارتي. قال إن المرء يشعر
بالوحدة قليلاً في الليل، ولكن لم يسبق له أن زارني من قبل.

قلت مبتسماً: حسناً، يُفترض أنه شاب حسن الصحة.

- ولماذا يأتي لزيارتي؟ لست مرتاحاً لذلك.

علا صوته حتى احتدّ وهو يضيف: قال إنه سيتردد عليّ ثانية.
ما معنى هذا كله؟ ما هي الفكرة التي تراوده برأبك؟

- ولماذا تفترض أن لديه دافعاً خفياً؟

ردد هاوز بعناد: لست مرتاحاً لذلك. إنني لم أهاجمه بأي
شكل. لم أشر إلى أنه هو المذنب... حتى عندما اتهم نفسه قلت إن
ذلك يبدو أمراً غير مفهوم أبداً. ولو كانت لدي شكوك بأحد لكانت

بذلك الرجل آرثر، وليس به هو أبداً. آرثر من طينة مختلفة تماماً؛ فهو مشرد لا خلق عنده ولا وازع... مجرد عاتٍ كبير.

- ألا ترى أنك قاسٍ قليلاً عليه؟ فنحن لا نعرف عن الرجل إلا القليل في نهاية الأمر.

- سارق، لا يخرج من السجن حتى يعود إليه، لا يتورع عن فعل شيء.

سألته بفضول: أنظن حقاً أنه أطلق النار على بروثيرو؟

لدى هاوز كراهية راسخة للإجابة المختصرة بنعم أو بلا، وقد لاحظت ذلك كثيراً مؤخراً. أجبني قائلاً: ألا ترى أنت يا سيدي أن ذلك هو الاحتمال الوحيد الممكن؟

- لا يوجد - حسب معلوماتنا - أي دليل ضده مهما كان.

قال هاوز بحماسة: ونهديداته، أنسيت تهديداته؟

سئمت سماع كل هذا الكلام عن تهديدات آرثر؛ إذ لا يوجد - بقدر ما أعرف - دليل على أنه أطلق أية تهديدات أساساً.

- لقد كان مصمماً على الانتقام من الكولونيل بروثيرو، وهكذا ملأ جوفه حمراً ثم قتله.

- هذا افتراض محض.

- ولكن لا بد أن تعترف أنه محتمل تماماً؟

- كلا، لا اعتبره كذلك.

- إذن لا بد أن تعتبره ممكن الحدوث؟

- كل شيء ممكن الحدوث.

- لماذا لا تعتبره محتملاً؟

- لأن رجلاً مثل آرثر ما كان ليفكر باستخدام المسدس. إنه السلاح الخطأ.

بدأ أن هاوز قد فوجئ بمنطقي. وكان واضحاً أن ذلك لم يكن الاعتراض الذي توقعه. سألتني بارتياح: أنظن حقاً أن اعتراضك هذا ممكن فعلاً؟

- إنه - بالنسبة لي - عقبة أكيدة كبرى أمام إمكانية اتهام آرثر بارتكاب الجريمة.

لم يقل هاوز شيئاً في مواجهة تأكيدي الحازم، ولكنه شكرني وانصرف. رافقته حتى الباب الأمامي، ولاحظت على طاولة الصالة أربع رسائل تجمع بينها خصائص معينة؛ فقد كانت مكتوبة كلها بخط أنثوي لا يمكن أن تخطه العين، وكانت تحمل جميعاً عبارة "يسلم باليد، عاجل"، والفرق الوحيد الذي استطعت ملاحظته هو أن إحدى الرسائل كانت متسخة أكثر من البقية. وقد جعلني التشابه بين هذه الرسائل أراها أكثر من عددها الحقيقي.

خرجت ماري من المطبخ فرأيتني أحرق في الرسائل فتطوعت قائلة: سلّمت كلها باليد في فترة ما بعد الغداء، باستثناء واحدة وجدتها في الصندوق.

أومأت برأسي وأخذت الرسائل وذهبت إلى مكنتي.

كانت أولى تلك الرسائل كما يلي:

عزيزي السيد كليمنت،

لقد علمتُ شيئاً أشعر أنك ينبغي أن تعرفه، وهو يتعلق بوفاة الكولونيل بروثيرو المسكين. سوف أكون ممتهن كثيراً لسماع نصيحتك في هذا الشأن... فيما إذا كان علمي أن ألحاً إلى الشرطة أم لا. لقد أصبح لدي -منذ وفاة زوجي- عزوف كبير عن كل أنواع الشهرة والدعاية. ربما كان يوسعك المرور لرؤيتي ليضع دقائق بعد ظهر اليوم.

المخلصة: مارنا برايس ريدلي

فتحت الرسالة الثانية، وقرأت فيها:

عزيزي السيد كليمنت،

إنني في حيرة شديدة والفعال شديد لمعرفة ما ينبغي عليّ فعله. لقد قنأني إلى علمي شيء أشعر أنه ربما كان هاماً، ولكنني أشعر برعب كبير من التورط مع الشرطة بأي شكل، وأنا بالغة الإزعاج والقلق. فهل أتقبل عليك إن طلبتُ منك المرور بي ليضع دقائق حتى تحلّ لي شكوكي وخيرتي بالطريقة الرائعة التي طالما عهدتها منك؟

اعذرني على إزعاجك.

المخلصة جداً: كارولين ودفري

ألهمت بمحتوى الرسالة الثالثة بنظرة، فقد جاء فيها باقتضاب:

عزيزي السيد كليمنت،

بلغني أمر هام جداً، وأشعر أنك أول من ينبغي أن يطلع

عليه. هل لك أن تأتي لرؤيتي في وقت ما عصر اليوم؟ سوف أنتظرك.

وقد حملت هذه الرسالة القوية توقيع "أماندا هارتيل".

ثم فتحت الرسالة الرابعة. لقد كان من حسن طالعني أنني لم أتعرض لإزعاجات الكثير من الرسائل المغلفة من التوقيع، فأنا أرى أن الرسالة المغلفة من التوقيع تكون من أخص وأقصى الأسلحة، ولم تكن هذه الرسالة استثناء من ذلك. أريدُ للرسالة أن توحى بأنها كتبت على يد شخص أمني، ولكن أموراً عديدة جعلتني أميل إلى تكذيب ذلك الادعاء:

الكاهن العزيز،

أظن أن عليك أن تعرف ما يجري؛ فامرأتك شوهدت وهي تخرج من بيت السيد ويدفع حلسة. وأنت تعرف ما يعنيه ذلك، فالانسان متوافقان. وأظن أن عليك أن تعرف.

صديق

هتفت بصوت مشمتر، ثم كوّرت الورقة ورميتها في الموقد المفتوح في نفس الوقت الذي دخلت فيه غريزدا الغرفة.

- ما هذا الذي ترميه بكل هذا الازدراء؟

- قذارات.

أخذت من جيبي علبة ثقاب أشعلت منها عوداً وانحنيت لأشعل الرسالة ولكن غريزدا كانت أسرع مني. انحنيت وأمسكت بالرسالة المذكورة ففتحتها ومسحتها قبل أن أستطيع منعها. قرأتها،

وأطلقت عبارة اسمزاز ثم عادت ورمتها إلي، وهي تدبر ظهرها.
أشعلتها وراقبتها وهي تحترق.

كانت غريزelda قد ابتعدت ووقفت أمام الشافذة تنظر إلى
الحديقة، ثم قالت دون أن تلتفت: لين.

- نعم يا عزيزتي.

- أريد أن أخبرك شيئاً، نعم، لا نسكتني. عندما... عندما جاء
لورنس ريدنج إلى هنا أوهمتني أنني لم أكن أعرفه من قبل، وهذا لم
يكن صحيحاً، فقد... فقد كنت أعرفه بشكل جيد. والحقيقة أنني
كنت أحبه إلى حد ما قبل أن أعرفك. أظن أن ذلك هو شأن معظم
النساء مع لورنس. كنت... كنت في الواقع متعلقة جداً به ذات
يوم. لا أعني أنني كتبت له رسائل فاضحة أو أي تصرف غبي مما يرد
في الروايات، ولكنني كنت شديدة الاهتمام به ذات يوم.

- لماذا لم تخبريني؟

- أوه! لأنني... لا أدري في الواقع، باستثناء... باستثناء أنك
تكون أحسن أحياناً في بعض الأمور. لمجرد أنك أكبر مني بكثير
فأنت تظن أنني... أنني قد أحب رجالاً آخرين. رأيت أنك ربما
تصرفتي بشكل مزعج تجاه صداقتي مع لورنس.

قلت وأنا أتذكر ما قالته لي في تلك الغرفة منذ أقل من أسبوع
والطريقة الذكية التي تحدثت بها: إنك ذكية جداً في إخفاء الأمور.

- نعم، كنت دوماً قادرة على إخفاء الأمور.. وأكاد أحس - نوعاً
ما - بأنني أحب القيام بذلك.

كانت في صوتها رنة فرح طفولي.

- ولكن ما قلته صحيح تماماً. لم أكن أعرف أمر علاقته بأن،
وتعجبت من التغير الكبير لدى لورنس، ومن عدم.. ومن عدم ملاحظته
لي. لم أعتد على ذلك!

ساد شيء من الصمت. ثم قالت غريزelda بلهفة: أنت تفهمني،
أليس كذلك يا لين؟

قلت: نعم، أنا أفهمك.

ولكن هل فهمتها حقاً؟

* * *

الحرية؟ فإذا كانت قد أعطأت وقتها في رابعة النهار فكيف لها أن تميزني في ضوء القمر؟ إن طريقة تصرف هؤلاء العجائز هنا شريرة. إنهن على استعداد لقول أي شيء، فيما أنا نائمة في سريري بريئة من كل كلامهن. عليكم أن تحجلوا من أنفسكم، أنتم جميعاً.

- وإذا ميّزت صاحبة فندق بلو بور الحقيقة على أنها حقيقتك يا آنسة كرام؟

- إن قالت شيئاً من هذا القبيل فهي مخطئة. ليس على الحقيقة اسم، ولدى الجميع تقريباً حقبة مثلها. وما للدكتور ستون المسكين، تنهمونه هكذا بأنه سارق من الرعايا! وهو الذي يحمل العديد من الألقاب.

- إذن فأنت ترفضين إعطاءنا أي تفسير يا آنسة كرام؟

- ليست المسألة مسألة رفض. لقد ارتكبتم خطأ، هذا كل ما في الأمر... أنتم وعجائزكم الفضوليات من أمثال الآنسة ماربل. لن أقول كلمة واحدة فوق ذلك... ليس قبل أن يحضر محامي. أنا ذاهبة في هذه اللحظة... إلّا إن كنتم ستعتقلونني.

وجواباً على ذلك نهض المفتش وفتح لها الباب فخرجت وهي تهز رأسها.

قال سلاك وهو يعود إلى مقعده: ذلك هو المنحى الذي اتبعته: الإنكار الكامل. وتلك العجوز ربما كانت قد أعطأت بالطبع. ما من هيئة محلفين ستصدق أن بوسعك أن تميز شخصاً من ذلك البعد تحت ضوء القمر... قد تكون العجوز مخطئة كما قلت.

الفصل الخامس والعشرون

وجدت صعوبة في التخلص من الانطباع الذي تركته الرسالة المغلفة من التوقيع، فالفقار يُلَوّث كما يقال. ولكنني جمعت الرسائل الثلاث ونظرت إلى ساعتني ثم انطلقت وأنا أتساءل عن ذلك الشيء الذي "وصل إلى مسامع" ثلاث نساء في وقت واحد. وحسبت أن ذلك الشيء لا بد أن يكون نفس الخبر، ولكن قُدِّر لي أن أدرك أنني كنت مخطئاً في ذلك.

لا أستطيع الادعاء بأن زيارتي كانت تستدعي المرور أمام مركز الشرطة، ولكن قدمي انشدتاً إلى هناك تلقائياً. كنت متلهفاً على معرفة ما إذا كان المفتش سلاك قد عاد من أولد هول.

وجدت أنه عاد فعلاً من هناك، وعادت الآنسة كرام معه. كانت غلاديس الجميلة جالسة في مركز الشرطة تأخذ الأمور من موقع المتفرج، فقد أنكرت تماماً أنها أخذت الحقيقة إلى الغاية.

قالت: لمجرد أن واحدة من تلك العجائز الترنارات لا عمل لها إلّا النظر من نافذتها طوال الليل تأتون أنتم وتختارونني أنا. ألا تذكرون أنها أعطأت مرة عندما قالت إنها رأيتني عند نهاية الممشى عصر يوم

- ربما، ولكنني لا أنفيها أخطاء؛ إذ عادة ما نكون الأنسة ماربل على صواب، وهذا ما يجعلها غير محبوبة.

ابتسم المفتش وقال: هذا ما يقوله هيرست. يا لهذه القرى!

- ماذا عن الأواني الفضية أيها المفتش؟

- تبدو طبيعية تماماً، وهذا يعني بالطبع أن واحداً منها هو المزيف دون شك. في بلدة متش بينهام رجل شديد الحذق يُعتبر خبيراً في شؤون الفضة، وقد اتصلت به وأرسلت له سيارة تحضره، وسنعرف قريباً أي الأواني هي المزيفة. إما أن تكون السرقة جريمة تمت، أو تكون في مرحلة التخطيط فقط. وهذا لا يغير من الأمر كثيراً، أعني قدر تعلق الأمر بنا... فالسرقة أمر هين مقارنة بالقتل. ربما حصلنا على طرف بسيط حوله من خلال الفتاة... لهذا تركناها نذهب دون إثارة المزيد من الضجة.

- أمر عجيب!

- مسكين السيد ريدنج. إنك لا تجد دوماً رجلاً يبذل كل ما في وسعه ليسدي لك معروفًا.

قلت وأنا ابتسم قليلاً: نعم، أحسب ذلك صحيحاً.

قال المفتش واعظاً: النساء يسببن الكثير من المتاعب.

تهجد ثم مضى قائلاً عبارة أدهشتني قليلاً: ولدينا آرثر بالطبع.

- أوه! هل فكرت فيه إذن؟

- طبعاً، منذ البداية. لم أكن بحاجة إلى أية رسائل مغفلة من

التوقيع حتى أتعب أمره.

قلت بحدّة: رسائل مغفلة؟ أوقد استلمت رسالة مغفلة إذن؟

- هذا ليس جديداً... تستلم منها دسنة يومياً على الأقل! نعم، أحدهم أخبرنا عن آرثر، كما لو أن الشرطة لا يستطيعون البحث بأنفسهم! كان آرثر موضع شبهة منذ البداية. المشكلة في الأمر أن لديه دليل غياب عن مكان الجريمة وقت وقوعها. ليس معنى ذلك أن هذا يهم كثيراً، ولكنها حجة غياب يصعب دحضها.

- ماذا تعني بقولك إن ذلك لا يهم كثيراً؟

- يبدو أنه كان مع اثنين من أصحابه طوال فترة ما بعد الظهر. وهذا لا يُلزم به كثيراً كما قلت، لأن رجالاً مثل آرثر وأصدقائه مستعدون للإدلاء بأية شهادة وحلف أغلظ الأيمان عليها. لا أحد يصدق كلامهم. هذا معروف بالنسبة لنا نحن، ولكنه غير معروف لعامة الناس، وهيئة المحلفين تؤخذ من عامة الناس، وهو ما يؤسف له. فهم لا يعرفون شيئاً، ويصدقون في الغالب الأعم كل ما يقال على منصة الشهود بغض النظر عمّن يقوله. وبالطبع فإن آرثر شخصياً سيحلف حتى تنشق لهاته بأنه لم يرتكب الجريمة.

قلت مبتسماً: إنه ليس ممن يقدمون المعروف كالسيد ريدنج.

قال المفتش كمن يطلق حقيقة لا مراء فيها: إلا آرثر.

- أحسب من الطبيعي أن يتمسك المرء بالحياة.

قال المفتش بتجهم: ستدهش لو عرفت كم من القتلة أفلتوا

من العقاب نتيجة رقة قلوب هيئات المحلفين.

- ولكن هل ترى حقاً أن آرثر هو القاتل؟

لقد لفت انتباهي منذ البداية أمر غريب هو أن المفتش سلاك لا تبدو لديه أية وجهات نظر خاصة بشأن جريمة القتل. كل ما كان يهتم به - كما يبدو - الحصول على حكم قضائي.

وها هو الآن يعترف قائلاً: أود أن أكون أكثر ثقة بشأنه... أن أحصل على بصمات أو آثار أقدام أو على شاهد شاهده قرب مسرح الجريمة. لا أستطيع المجازفة باعتقاله دون شيء من هذا القبيل. رآه بعضهم مرة أو مرتين قرب منزل السيد ريدنج ولكنه يقول إنه كان هناك للحديث مع أمه، وهي امرأة لا غبار عليها. لا، إنني أميل عموماً إلى الارتياح بالسيدة ليسترينج. لو قدر لي فقط الحصول على أي دليل على الابتزاز... ولكن يبدو أن المرء لا يستطيع الحصول على أي دليل محدد في هذه الجريمة! كلها نظريات... نظريات! من المؤسف عدم وجود أية عجوز عانس تعيش أمام الطريق المفضي إلى بيتك يا سيد كليمنت، وإلا لكنت راхنت أنها كانت ستشاهد شيئاً ما، إن كان هناك ما يُشاهد.

ذكرتني كلماته بزيارتي فاستأذنته. كانت هذه المرة هي المرة الوحيدة تقريباً التي أراه فيها في مزاج ودي.

كانت زيارتي الأولى للأنسة هارتنيل. ولا بد أنها كانت تراقبني من النافذة! لأنها فتحت الباب الأمامي قبل أن أقرع الجرس، ثم أمسكت بيدي وقادتني وأنا أعبر عتبة الباب قائلة: جميل منك أن تأتي. تفضل هنا... هنا أكثر انعزلاً وخصوصية.

دخلنا غرفة بالغة الصغر. أغلقت الأنسة هارتنيل الباب وأشارت لي - بشكل يوحي بالسرية - بالجلوس على واحد من الكراسي الثلاثة التي لا يوجد غيرها في الغرفة. أدركت أنها مستمتعة بما تفعله. قالت بصوتها المبتهج: لست ممن يحبون اللف والدوران. ثم خفضت صوتها انسجاماً مع متطلبات الموقف وقالت: أنت تعرف كيف تنتقل الأخبار في قرية كهذه.

- أعرف مع الأسف.

- أوافقك الرأي، فلا أحد يكره القيل والقال أكثر مني، ولكن ليس بالبد حيلة. لقد رأيت أن من واجبي إبلاغ مفتش الشرطة أنني مررت لزيارة السيدة ليسترينج عصر يوم الجريمة وأنها لم تكن في بيتها. إنني لا أتوقع الشكر علي تأديتي واجبي، بل أكتفي بتأديته؛ ففكران الجميل هو ما تلاقيه أولاً وأخيراً في هذه الحياة! بالأمس فقط مثلاً قامت تلك السيدة الوقحة بيكر...

قاطعتها على أمل تجنب سماع تلك المعزوفة الطويلة: نعم، نعم. هذا مؤسف جداً، مؤسف جداً، ما الذي كنت تقولينه؟

- إن الطبقات الدنيا لا تعرف أصدقاءها الحقيقيين. إنني دائماً ما أطرح الرأي الذي أراه مناسباً عندما أزور أحداً، رغم أن أحداً لم يشكرني أبداً على ذلك.

استمعحتها قائلاً: كنت تتحدثين عن زيارتك للسيدة ليسترينج؟

- بالضبط... وبالمناسبة، فإن المفتش لم يشكرني حين أخبرته بذلك، بل قال فقط إنه سيطلب المعلومات عندما يحتاجها. لم تكن

تلك كلماته بالضبط، ولكن هذا هو فحوى حديثه. ثمّة طبقة جديدة من الرجال في سلك الشرطة هذه الأيام.

- هذا ممكن، ولكنك كنت بصدد قول شيء ما، أليس كذلك؟

- قررت ألا أقرب هذه المرة من أي مفتش تعيس. إن رجل الدين يبقى رجلاً مهذباً في نهاية الأمر.. بعضهم على الأقل مهذبون.

فهمت - ضحناً - أن هذا الوصف يفترض أن يشملني. قلت لها: إن كان يوسعي مساعدتك بأي شكل...

- إنها مسألة واجب.

أغلقت فيها فجأة، ثم عادت لتقول: لا أريد أن أضطر لقول مثل هذه الأمور، فلا أحد يكرهها مثلي، ولكن الواجب هو الواجب.

انتظرتُ فمضت الآنسة هارتيل تقول وقد احمرَّ وجهها: فهمتُ أن السيدة ليستريج أعلنت أنها كانت في البيت طوال الوقت، وأنها لم تحب على قرع الباب لأنها... لأنها لم ترد ذلك. يا لذلك التفاخر الفارغ! إنني لم أزرها إلا من باب الواجب، وينبغي التعامل مع الأمر على هذا الأساس!

قلت بشيء من اللطف: لقد كانت مريضة.

- مريضة؟ هراء! أنت غارق كثيراً في حسن الظن يا سيد كليمنت! فتلك المرأة لا تعاني من شيء. تدّعي أنها مريضة بحيث لا تستطيع حضور التحقيق، وشهادة طبية من الدكتور هيدوك أيضاً! إن يوسعي أن تتحكم به كما تشاء... الجميع يعلمون ذلك. حسناً،

أين وصلنا في الحديث؟

لم أكن أعرف تماماً أين وصلنا؛ فمن الصعب - في حالة الآنسة هارتيل - أن يعرف المرء أين ينتهي السرد لديها وأين يبدأ التهجّم على الناس. قالت: أوه، نعم، حول زيارتي لها عصر ذلك اليوم. هراء قولها إنها كانت في المنزل؛ إذ لم تكن هناك. إنني أعرف ذلك.

- ولكن كيف لك أن تعرفي؟

ازداد احمرار وجه الآنسة هارتيل. ولو كان ذلك عند امرأة أقل وحشية لأمكن وصف حالتها بأنها مُحرجة. قالت: لقد دققت الباب وقرعت الجرس مرتين، إن لم يكن ثلاث مرات... وقد خطر لي فجأة أن الجرس قد يكون عاطلاً.

أسعدني أن ألاحظ أنها لم تكن قادرة على النظر إلى وجهي وهي تقول ذلك. إن بناء واحداً هو الذي بنى بيوتنا جميعاً، والأجراس التي ركبها تُسمع بشكل جيد من قبل الشخص الذي يقرعها خارج الباب الأمامي. وأنا والآنسة هارتيل نعرف كلانا هذه الحقيقة تماماً، ولكنني ظننت أن من الضروري الإبقاء على شيء من اعتبارات اللباقة. تمتعتُ قائلاً: نعم؟

- لم أشأ أن أدخل بطاقتي في فتحة الرسائل في الباب بحيث أرى ما في الداخل، فذلك تصرف وقح تماماً. وما أنا بالواقحة. (أدلت بهذا التصريح المدهش دون أن يرف لها جفن). وهكذا رأيت أن أدور قليلاً حول البيت... وأقرع على مصراع النافذة.

ثم أكملت دون عجل: درت حول البيت كله ونظرت من

جميع النوافذ فلم أجد أحداً في البيت أبداً.

فهمتُها تماماً. فقد اغتنمت الأنسة هارنتيل فرصة فراغ البيت فأطلقت لفضولها العنان وأخذت تتجول حول البيت متفحصة الحديقة ومنطقة عبر النوافذ لترى كل ما يمكنها رؤيته داخل البيت. وقد اختارت أن تحكي قصتها لي أنا، فلنا منها أنني سأكون مستمعاً أكثر تعاطفاً ورحمة من الشرطة؛ إذ يُفترض أن يمنع رجال الدين وعاباهم ميزة حسن الظن.

لم أعلق على الموقف، بل اكتفيت بالسؤال: في أي وقت كان ذلك يا آنسة هارنتيل؟

- لا بد أن الساعة كانت تقترب من السادسة حسبما أتذكر؛ فقد عدت بعدها مباشرة إلى البيت، ووصلته في حوالي السادسة وعشر دقائق. وقد جاءتني السيدة بروثير في حوالي السادسة والنصف تاركة الدكتور ستون والسيد ريدنج في الشارع، وتحديثاً عن زراعة بصل الزهور. وكان الكولونيل المسكين طوال الوقت يقبع هناك مقتولاً... إنه عالم حزين!

- نعم، إنه عالم كربه أحياناً.

نهضت قائلاً: وهذا كل ما تريدين إخباري به؟

- لقد خطر لي فقط أن ذلك قد يكون هاماً.

- ربما.

استأذنت رافضاً المزيد من الإلهاء، مما سبب بحية أمل للآنسة

هارنتيل. استقبلتني الأنسة وذريتي -التي كانت الثالثة في جدول زيارتي- بشيء من الارتباك: يا عزيزي الكاهن، كم هو لطف منك. هل تناولت الشاي؟ أحقاً لا تريد؟ أتريد وسادة لظهرك؟ لطف بالغ منك أن تأتي بهذه السرعة. دوماً تتحمل المشقات من أجل الآخرين.

سمعت الكثير من هذا الحديث قبل أن تصل إلى الهدف من الزيارة، وحتى بعد الوصول إلى ذلك الهدف لم يتم التقرب منه إلا بكثير من المراوغة الكلامية. قالت: ينبغي أن تعلم أنني سمعت هذا من أفضل مصدر موثوق.

(إن أفضل مصدر موثوق في سينت ميرى ميد يكون عادة خادمة لدى منزل آخر)

- ألا تستطيعين إخباري بمن أبلغك؟

- لقد قطعت عهداً يا سيد كليمنت، وأنا أرى دوماً أن العهد ينبغي أن يكون شيفاً مقدساً.

بدت حازمة تماماً. قالت: لماذا لا نقول إن عصفورة صغيرة أخبرني؟ ألن يكون ذلك أسلم؟

كان بودي أن أقول: "هذا سخيف جداً"، وليتني قلت ذلك؛ إذ كنت أحب رؤية أثر ذلك على الأنسة وذريتي.

- حسناً، قالت تلك العصفورة الصغيرة إنها رأت سيده معينة، لن نذكر لها اسماً.

- أهي عصفورة أخرى؟

ولدهشتي الشديدة انفجرت الأنسة وذري في نوبة ضحك هادرة
وربتت على ذراعي عابثة وقالت: أوه أيها الكاهن، لا تكن شقياً!

وعندما استردت أنفاسها مضت قائلة: سيّدة معينة... وأين
تظن تلك السيّدة كانت ذاهية؟ لقد التفتت لتدخل في الطريق المؤدي
إلى بيتك، ولكن قبل أن تفعل ذلك نظرت يمنة ويسرة إلى الطريق
بشكل غريب جداً... لترى إن كان أحد تعرفه قد رآها كما أظن.

- وماذا عن العصفورة الصغيرة...؟

- كانت تزور بائع السمك... في الغرفة فوق المحل.

أعرف أين تذهب الخادومات في أيام عطلتهن! مضت الأنسة
وذري قائلة بأسلوب غامض وهي تنحني للأمام: وكان الوقت قبل
الساعة السادسة بقليل.

- في أي يوم؟

أطلقت الأنسة وذري صرخة ضعيفة وقالت: في يوم الجريمة
طبعاً، ألم أقل لك ذلك؟

- لقد استنتجته. وما هو اسم السيّدة؟

قالت وهي ترمي برأسها عدة مرات: اسمها يبدأ بحرف "ل".

نهضت وأنا أشعر أنني حصلت على كل ما تريد الأنسة وذري
الإفشاء به. قالت بشكل بشير الشفقة وهي تمسك يدي بيديها
كليهما: لا أضلك مستدع الشرطة تحقق معي، أليس كذلك؟ إنني
أكره العلنية الفاضحة، فكيف بالوقوف في محكمة!

قلت: "إنهم يسمحون بالحلوس في حالات خاصة". ثم هربت.

ما زال عليّ أن أرى السيّدة برايس ريديلي. وقد تدفقت تلك
السيّدة بالحديث على الفور، فقد قالت بعدما صافحتني بيروود: لن أتورط
في أي أمر يخص محاكم الشرطة... أنت تفهم ذلك؟ ولكنني وقعت
على أمر يحتاج إلى تفسير وأظن من الواجب إخطار السلطات به.

- هل يتعلق الأمر بالسيّدة ليسترينج؟

سألت السيّدة برايس ريديلي بيروود: ولماذا يتعلق بها؟

حشرتني في زاوية بهذا السؤال. ثم مضت قائلة: الأمر بسيط
جداً. فخادمتي كلارا كانت تقف عند البوابة الأمامية، ذهبت هناك
لبضع دقائق... لتستشق بعض الهواء النقي كما تدعي هي. ولا أظن
ذلك صحيحاً، فالأرجح أنها خرجت لتبحث عن صبي بائع السمك
- إن كان يسمى نفسه صبياً - ذلك الشاب الوقح الذي يظن أنه
يستطيع معارضة كل الفتيات لمجرد أنه في السابعة عشرة من عمره.
على كل حال، كانت واقفة عند البوابة فسمعت عطسة.

قلت وأنا أنتظر المزيد: نعم.

- هذا كل ما في الأمر.. قلت لك إنها سمعت عطسة، ولا
تبدأ في إخباري بأنني لم أعد شابة كما كنت، وأنني ربما أخطأت؛
لأن كلارا هي التي سمعتها، وهي ما تزال في التاسعة عشرة.

- ولكن لماذا يُفترض ألا تسمع عطسة؟

نظرت السيّدة برايس ريديلي إليّ في إشفاف واضح لقلّة عقلي

ثم قالت: لقد سمعت عطسة في يوم وقوع الجريمة، وفي وقت لم يكن فيه أحد في بيتك. لا شك أن القاتل كان مختبئاً بين الشجيرات ينتظر فرصته. إن ما عليك البحث عنه هو رجل مصاب بالزكام.

- أو شخص يعاني من حمى القش! ولكن الحقيقة يا سيدتي هي أن لهذا اللغز حلاً شديداً البساطة؛ فقد كانت خادمتنا، ماري، تعاني من زكام حاد جداً. ولا بد أن عطستها هي ما سمعته خادمته.

قالت السيدة برايس ريدلي بحزم: كانت عطسة رجل، كما أنك لا تستطيع سماع عطسة خادمته في المطبخ وأنت تقف عند بوابة!

- إنك لا تستطيعين أيضاً سماع عطسة أحد في المكب وأنت عند البوابة... أو لنقل إنني أشك كثيراً في مثل هذا الاحتمال.

- لقد قلت إن الرجل ربما كان مختبئاً بين الشجيرات، ولا شك أنه استطاع - بعد دخول كلارا - أن يدخل عبر الباب الأمامي.

- حسناً، هذا ممكن بالطبع.

حاولت ألا أجعل في صوتي لهجة استرضاء ونهدنة، ولكنني فشلت على ما يبدو، لأن السيدة برايس ريدلي حدقت في فجأة وقالت: إنني معتادة على عدم إصغاء الناس إليّ، ولكن بوسعي أن أذكر أيضاً أن ترك مضرب تنس مرمياً هكذا دون اهتمام على العشب، ودون غطاءه الواقعي، يتلف ذلك المضرب تماماً، ومضارب التنس غالية جداً هذه الأيام.

لم يد لي وجود منطق أو معنى في هذا الهجوم الجاني... وقد حيرني ذلك أشد الحيرة.

قالت السيدة برايس ريدلي: ولكنك قد لا تتفق معي؟

- أوه! إنني أتفق معك... بالتأكيد.

- أنا سعيدة بذلك. حسناً، هذا كل ما لديّ. لقد غسلت يدي من الأمر كله.

استندت إلى ظهر كرسيها وأغمضت عينيها وكأنها سئمت هذا العالم. شكرتها واستأذنت بالرحيل. وعند الباب تحرات وسألت كلارا عما قالته سيدتها فقالت: صحيح تماماً يا سيدي، لقد سمعت عطسة، ولم تكن بالعطسة العادية... ولا بأي شكل.

ما من شيء يكون عادياً أبداً في الجرائم. فالطلقة لم تكن طلقة عادية، والعطسة لم تكن عطسة عادية. ولا أحسبها كانت إلا عطسة قاتل خاصة! سألت الفتاة عن وقت سماعها لذلك، ولكن إجابتها كانت غامضة تماماً، قالت إن ذلك حدث في وقت ما بين السادسة والرابع والسادسة والنصف كما تظن. وعلى أية حال، "كان ذلك قبل أن تتلقى سيدتي تلك المكالمات الهاتفية وتصدّم بها".

سألته إن كانت قد سمعت طلقة من أي نوع، فقالت إن الطلقات كانت أمراً قظيماً. بعد ذلك لم أعد أصدق الكثير من أقوالها.

كنت على وشك الانعطاف لدخول بوابة بيتي عندما قررت زيارة صديق لي. نظرت إلى ساعتني فوجدت أن لديّ الوقت الكافي. مشيت الطريق إلى منزل هيدوك، وخرج إلى عتبة البيت لاستقبالي.

لاحظت مجدداً مقدار ما يبدو عليه من القلق والاضنى. وقال محيياً: إنني سعيد برؤيتك، ما هي الأخبار؟

أخبرته بأخر التطورات المتعلقة بالدكتور ستون، فعلق قائلاً:
لص من الطبقة الراقية! إن ذلك يفسر الكثير من الأمور. لقد أنقش
موضوعه بعمق، ولكنه كان يقع في بعض التزلات أمامي من وقت
لآخر. لا بد أن برونيرو قد أوقع به في زلة ما... وأنت تذكر ما وقع
بينهما من شجار. ما رأيك بالفتاة؟ أهي متواظلة معه أيضاً؟

- لم يستقر الرأي على ذلك بعد، أما بالنسبة لي فإني أظن أن
الفتاة بريئة. إنها معقدة من الدرجة الأولى.

- أوه! ما كنت لأقول ذلك. إن في الأنسة كرام شيئاً من حدة
الذكاء، وهي من النوع الذي يتمتع بصحة عامرة لا يستفيد منها أبساء
مهنتي شيئاً.

قلت له إنني قلق على هاوز، وإنني حريص على أن يسافر
لينال قسطاً حقيقياً من الراحة والتغيير. انتاب سلوكه شيء مراوغ لا
يدرك كنهه عندما قلت ذلك، ولم يبدُ جوابه صادقاً تماماً عندما قال
ببساطة: نعم، أظن أن ذلك سيكون أفضل شيء. ولد مسكيناً!

- حسبك لم تكن نجيبة.

- لا أحبه... ليس كثيراً. ولكنني آسف على كثير من الناس
الذين لا أحبه.

ثم أضاف بعد صمت لحظات: إنني حزين جداً على الكولونيل
برونيرو. مسكين... لم يحبه أحد كثيراً. كان بالغ الانشغال باستقامته
الشديدة، مبالغاً في التبحر، وهو مزيج لا يحظى بالمحبة. وقد كان
دوماً هكذا... حتى في شبابه.

- ما كنت أعلم أنك كنت تعرفه منذ ذلك الحين.

- أوه، نعم! عندما كنا نعيش في ويسمورلاند، وكنت أعمل
في منطقة قرية. كان ذلك منذ زمن طويل... من نحو عشرين سنة.
تهدت، فمئذ عشرين سنة كانت غريزelda في الخامسة من
عمرها. غريب أمر الزمن!

- أهذا كل ما جئت لتخبرني به يا كليمنت؟

رفعت إليه نظري وقد حففت. كان هيدوك يراقبني بعينين
حادتين. قال: يوجد شيء آخر، أليس كذلك؟

أومات برأسي بالإيجاب. لم أكن قد حُزمت أمري عندما
جئت إلى هنا إن كنت سأتكلم أم لا، ولكنني قررت الآن أن أتكلم.
إنني أحب هيدوك أكثر من أي رجل أعرفه؛ فهو رجل رائع من جميع
الوجوه. شعرت أن ما سأقوله قد يكون مفيداً له.

أعدت عليه سرد قصة مقابلي للأنسة هارتنيل والأنسة وذريتي.
بقي صامتاً لفترة طويلة بعد أن أكممت كلامي، ثم قال أخيراً: هذا
صحيح تماماً يا كليمنت، لقد كنت أحاول حماية السيدة ليسترينج
من أي إزعاج يمكنني حمايتها منه. والحقيقة أنها صديقة قديمة لي،
ولكن هذا ليس سببي الوحيد. فتلک الشهادة الطيبة التي أصدرتها
لها لم تكن زائفة كما تظنون جميعاً.

سكت قليلاً ثم قال بشجهم: اكتم الأمر بيتنا يا كليمنت...
السيدة ليسترينج ستلاقي قدرها المحتوم.

- ماذا؟

- إنها امرأة نموت، ولا أظنها تعيش أكثر من شهر على أبعد تقدير... فهل تعجب - بعد ذلك - إن أردتُ حمايتها من المساءلات والضغط؟ ثم مضى يقول: عندما التفتت إلى هذا الطريق في ذلك المساء فإنما كانت قادمة إلى هنا... إلى هذا البيت.

- ولكنك لم تقل هذا من قبل.

- لم أرد إثارة الأفاويل. إنني لا أستقبل مرضى بين السادسة والسابعة، والجميع يعرف ذلك. ولكن ثقب بأنها كانت هنا.

- ومع ذلك لم تكن هنا عندما حثت إليك... أعني عندما اكتشفنا الحثة.

بدا مضطرباً وقال: نعم، كانت قد غادرت... لتقي بموعد لها.

- أين كان موعداها؟ في بيتها؟

- لا أدري يا كليمنت... بشرفي لا أدري.

صدقته، ولكن... قلت له: وافترض أن رجلاً يريد أن يقتلك؟

- كلا، لن يشتق أحد بسبب مقتل بروثيرو. أؤكد لك ذلك.

لم أستطع تصديق ذلك، ولكن كانت الثقة في صوته عظيمة جداً. كرر كلامه قائلاً: لن يشتق أحد.

- إن هذا الرجل آرتشر...

قاطعني بإشارة نفاذ صبر من يده وقال: ليس له من العقل ما يجعله يمسح البصمات عن المسدس.

قلت بارتياح: "ربما". ثم أخرجت من جيبى قطعة الكريستال البنية التي وجدتتها في الغابة ومددت يدي بها إليه، وسأله ما هي.

تردد قائلاً: همم، يبدو أشبه بحامض البكريك. أين وجدتتها؟

- هذا سر شيرلوك هولمز.

ابتسم فسأله: وما هو حامض البكريك؟

- إنه مادة متفجرة.

- نعم، أعرف ذلك، ولكن له استخداماً آخر، أليس كذلك؟

أوما برأسه موافقاً وقال: إنه يُستخدم طبيياً... في محلول من أجل الحروق... مادة عجيب.

مددت يدي، فأعادها إلي بشيء من التردد.

- ربما لا تكون لها أهمية كبيرة، ولكنني وجدتتها في مكان غير طبيعي نوعاً ما.

- أئن تخبرني أين؟

وبشيء من التردد امتنعت عن إخباره. إن كانت له أسرار، فستكون لي أيضاً أسرار. فلقد شعرت بشيء من الإهانة لأنه لم يبح لي بما في صدره بشكل كامل!

* * *

وقالت: لين، لقد كنت فظيعةً الليلة. لم... لم يعجبني ذلك. لم
أسمعك أبداً تحطّب بهذا الشكل من قبل.

قلت: ولا أحسبك ستسمعيني بعدها أبداً! ثم ألقيت بنفسي
على الأريكة سماعاً فقد كنت متعباً.

- ما الذي جعلك تفعل ذلك؟

- سيطر علي جنون مفاجئ.

- أوه! ألم... ألم يكن في الأمر شيء خاص؟

- ماذا تعنين... بشيء خاص؟

- كنت أنساءل... هذا كل ما في الأمر. إن لك طبعاً لا
يمكن التنبؤ به أبداً يا لين، لا أشعر أبداً بأنني أعرفك حق المعرفة.

جلسنا لتناول عشاء بارد؛ إذ كانت ماري خارجة. قالت
غريزelda: لك رسالة في الصالة. هل لك أن تحضرها يا دينيس؟

امثل دينيس الذي كان ساكناً طوال الوقت. أخذت الرسالة
وأنا أدمدم. كان مكتوباً في الزاوية العليا إلى اليسار: باليد... عاجل.

قلت: لا بد أنها من الأنسة ماربل، إذ لم يبقَ غيرها.

وقد كنت مصيباً تماماً في افتراضي. قرأت:

عزيزي السيد كليمنت،

أود كثيراً التحدث إليك بشأن بعض الأمور التي حدثت
معي. أشعر أن علينا جميعاً أن نحاول المساعدة في حل هذا

الفصل السادس والعشرون

جاء وقت الموعظة المسائية التي وعدت هاويز أن ألقئها نيابة
عنه. وقفت خلف المنصة ونظرت... كانت الكنيسة ممتلئة بشكل غير
معتاد. كان هيدوك هناك، وهو أمر غير معتاد منه، وكذلك لورنس
ريدنغ، ولدهشتي رأيت بجانبه وجه هاويز المتعب الشاحب. وكانت
آن برونيرو حاضرة، وغلاديس كرام، ولقد أدهشني أكثر أن أرى
ليثيس أيضاً. ولا أظنني بحاجة إلى القول إن السيدة برايس ريدلي
والآنسات هارتيل ووذربي وماربل كنَّ هناك بكامل قواهن. كان
أهل القرية جميعاً حاضرون، لا يكاد المرء يستثني من ذلك
أحداً... وقد وصلتُ إلى نتيجة مفادها أن الجميع قد جاؤوا ليروا من
أتى غيرهم، وربما ليتبادلوا بعض الأقاويل في رواق الكنيسة لاحقاً.

كان الموضوع الذي ركزت عليه في موعظتي - تلك الليلة -
هو الدعوة إلى التوبة من الذنوب والتخويف من الإصرار عليها، وقد
أحسست أنني كنت مؤثراً جداً ومتدققاً بشكل يخالف طبعي
المعتادة في الوعظ، ووجدتني - أكثر من مرة - أرفع يدي مستكراً
مكرراً عبارة: "إنني أحاطبك أنت أيها المخطئ!". وحين عدت إلى
البيت وجدت غريزelda شاحبة بعض الشيء. دسّت ذراعها تحت ذراعي

الغز العوسف. سوف أتلك - إذا سمحت - نحو التاسعة والنصف وأدق على الباب الزجاجي لغرفة مكتبك، وربما تلفتت غريزدا ودينيس بالمحيء إلى هنا لتسلياً من أختي. إن لم ألتق منك جواباً فسأتوقع حضورهما، وسأتي أنا في الوقت الذي ذكرته.

المخلصة: جين ماربل

أعطيت الرسالة لغريزدا، فقرأتها وقالت بفرح: أوه، سنذهب! فلا أفضل من السمر في مثل هذه الأمسية. أظن أن حلويات ماري الثقيلة هي التي تحصر على أنفاسنا، فقد كانت بغیضة تماماً.

بدأ أن المشروع لا يروق لدينيس بنفس الدرجة، فقد شكاً قائلاً: الأمر رائع بالنسبة لك، إذ بوسعك أن تتكلمي عن الفن والكتب، أما أنا فأشعر بأنني مغفل تماماً وأنا جالس أصغي إليكما.

أجابته غريزدا بهدوء: هذا جيد بالنسبة لك، فهو يضعك في مكانك الصحيح. ولكني لا أرى ريموند وست بالغ الذكاء كما يدعي.

قلت: قليلون جداً يبننا من هم بالغو الذكاء.

تساءلت كثيراً ما هو بالضبط ذلك الأمر الذي ترغب الآنسة ماربل بالتكلم فيه معي. إنني أعتبر الآنسة ماربل الأذكي من بين كل النساء في القرية، ولا يقتصر الأمر على رؤيتها وسماعها لكل ما يجري عملياً، بل إنها تستنتج من الحقائق التي تلاحظها استنتاجات مذهشة في براعتها وأخذها كل المتناقضات بعين الاعتبار. ولو أنني أردت القيام في أي وقت بعملية خداع لكائنات الآنسة ماربل هي من سأخشاها!

بدأ ما أسمته غريزدا بحفلة التسلية بعد الساعة التاسعة بقليل، وبينما كنت أنتظر وصول الآنسة ماربل أخذت أتسلى بوضع ما يشبه الجدول للحقائق المرتبطة بالحريمة، وقد رُتبت تلك الحقائق - قدر الإمكان - حسب التسلسل الزمني لوقوعها. إنني لست امرءاً شديد الدقة في مسألة الوقت، ولكنني امرؤ مرتب، وأحب تسجيل الأمور بشكل منهجي.

في التاسعة والنصف تماماً سمعت طرقة خفيفة على الباب الزجاجي، فنهضت وأدخلت الآنسة ماربل. كانت تضع على رأسها وكتفها وشاحاً صوفياً رائعاً، وبدت كبيرة السن ضعيفة. دخلت وهي تنلثم بالكثير من العبارات المترددة.

- جميل جداً منك أن تسمح بقدمي... وجميل جداً من غريزدا أيضاً... كلا، لا أحتاج مسنداً لرجلي.

وضعتُ وشاحها الصوفي على أحد الكراسي وعدت لأجلس على كرسي قبالة ضيفتي. تبادلنا النظرات، ثم ارتسمت على وجهها فجأة ابتسامة احتجاج صغيرة وقالت: أشعر أنك تتساءل دون ريب لماذا أنا مهتمة كثيراً بهذا الأمر. وربما ظننت ذلك مناقضاً تماماً لطبيعة النساء. كلا، رجاء... أود أن اشرح الأمر إذا سمحت لي.

توقفت لحظة وقد احمرت وجتها، ثم قالت أخيراً: الأمر أن حياة المرء بمفرده - كما أعيش أنا - في منطقة معزولة من العالم، تتطلب منه أن يشغل نفسه بهواية ما. توجد بالطبع حياكة الصوف، والعمل الكشففي النسوي، والجمعيات الخيرية، ولكن هوايتي أنا كانت - وستبقى - دراسة الطبائع البشرية؛ فهي شديدة التنوع

وممتعة جداً. وبالطبع فإن لدى المرء - في قرية صغيرة ليس فيها ما يشغله - فرصة كبرى ليصبح ضليعاً في دراسته تلك. يبدأ المرء بتصنيف الناس، بشكل محدد تماماً، كما لو كانوا طيوراً أو أزهاراً: المجموعة الفلانية، وهذا النوع، وتلك الفصيلة. وأحياناً يخطئ المرء بالطبع، ولكن الأخطاء تقل بمرور الزمن. وهكذا أيضاً يختبر المرء نفسه؛ يأخذ مشكلة صغيرة... مثلاً: قصة تلك السلة التي كانت تحتوي على الروبيان المنتقى، والتي تفرح لها العزيرة غريزelda كثيراً... لغز لا أهمية له إطلاقاً، ولكنه غامض تماماً ما لم يحله المرء بالشكل الصحيح. وأيضاً دواء السعال الذي تم استبداله، ومظلة زوجة الحزار... إن من الممتع جداً أن يحرب المرء أحكامه ويحدد أنه كان مصيباً.

قلت مبتسماً: أفلنك مصيبة دائماً.

اعترفت الأنسة ماربل قائلة: أخشى أن ذلك قد جعلني مغرورة قليلاً. ولكنني كنت دوماً أتساءل إن كنت سأستطيع القيام بنفس الشيء إذا ما واجهني لغز كبير حقاً في يوم ما. أعني.. إن كنت سأحل اللغز بشكل صحيح. لا بد - منطقياً - أن يكون الحال واحداً. إن نموذجاً مصغراً للظوريب هو في نهاية المطاف كالظوريب الحقيقي.

قلت ببطء: نعين أن المسألة نسبية. أعتقد أنها ينبغي أن تكون كذلك... منطقياً. ولكني لا أدري إن كانت حقاً كذلك.

- الحال واحد دون شك... إن العوامل - كما كنا نسميها في المدرسة - هي نفس العوامل: المال، وانجذاب الرجال والنساء كل إلى الآخر، وغرابة الأطوار... إن لدى الكثير من الناس شيئاً من غرابة

الأطوار، أليس كذلك؟ بل إن أغلب الناس كذلك عندما تتعمق في معرفتهم. والناس الطبيعيون يقومون بأمور مدهشة أحياناً، وأحياناً تجد غير الطبيعيين في غاية العقل والطبيعية. والحقيقة أن الطريقة الوحيدة هي مقارنة الناس مع أناس آخرين عرفتهم أو صادقتهم. سيدهبك أن تعلم كم هي قليلة الأنواع المحددة للبشر عموماً.

- إنك تخيفيتني... أشعر وكأنني موضوع تحت المجهر!

- ما كنت لأحلم طبعاً بقول شيء من هذا للكولونيل ميلنشيت، فهو شديد التسلط، أليس كذلك؟... والمفتش المسكين سلاك... إنه تماماً كشابة في محل أذية تريد أن تباعدك زوجاً من الأحذية الجلدية لمجرد أن لديها قياسك، غير أبهة لحقيقة أنك تريد في الحقيقة شراء قفازات فقط.

هذا حقاً وصف جيد جداً للمفتش سلاك.

- أما أنت يا سيد كليمنت، فأنا واثقة أنك تعرف عن الجريمة بقدر ما يعرف المفتش سلاك. ولذلك فكرت... إن كان بوسعنا أن نعمل معاً...

قلت: إنني لأستغرب... أحسب أن كلاً منا - في قرارة نفسه - يتخيل نفسه كشيرلوك هولمز. ثم أخبرتها عن تلك الاستدعايات التي تلقيتها عصر ذلك اليوم، وأخبرتها عن اكتشاف أن للصورة التي تم تمزيق وجهها، وأخبرتها - أيضاً - عن موقف الأنسة كرام في مركز الشرطة، ووصفت لها تعرف هيدوك على القطعة الكريستالية التي وجدتتها. ثم أنهيت حديثي قائلاً: بما أنني أنا من عثر على تلك القطعة فإنني أرغب بأن تكون مهمة، ولكن ربما لا تكون لها علاقة بالقضية.

- لقد كنت أقرأ في الفترة الأخيرة كثيراً من القصص البوليسية الأمريكية من المكتبة، على أمل العثور على شيء مفيد.

- وهل وجدت فيها شيئاً عن حمض البكريك؟

- قرأت مرة قصة سمّ فيها رجلٌ بـحمض البكريك واللاتوليس بعد أن تم لف العادتين على جسمه كمرهم.

- ولكن بما أن أحداً لم يُسم هنا، فلا يبدو للأمر علاقة بقضيتنا.

ثم أخرجتُ جدولتي وأعطيتها إياه قائلاً: لقد حاولت إعادة تلخيص حقائق القضية بأكبر قدر ممكن من الوضوح.

الخميس، الحادي والعشرون من الشهر الجاري:

١٢،٣٠ ظهرنا: الكولونيل برونيرو بغير موعده من السادسة إلى السادسة والربع. والغالب أن نصف أهل القرية سمعوه يذكر ذلك.

١٢،٤٥: آخر مرة نمت فيها رؤية المسلس. (ولكن هذا مشكوك فيه، إذ قالت السيدة آرثر سابقاً إنها لا تتذكر).

٥،٣٠ (تقريباً): الكولونيل والسيدة برونيرو يغادran منزلهما باتجاه القرية بالسيارة.

٥،٣٠: مكالمة مزيفة أجريت معي من غرفة السواب عند البوابة الشمالية لمنزل أولد هول.

٦،١٥ (أو أقل من ذلك بدقيقتين): الكولونيل برونيرو يصل بيتي، ويدخله ماري إلى المكتب.

٦،٢٠: السيدة برونيرو تأتي عبر الممشى الخلفي ثم تعبر

الحديقة إلى الباب الزجاجي للمكتب، ولم يكن ملحوظاً وجود الكولونيل برونيرو.

٦،٢٩: مكالمة للسيدة برايس ريدلي تم إحرازها من بيت لورنس ريدنغ (كما أفادت البدالة).

٦،٣٠-٦،٣٥: تُسمع طفلة (إذا ما اعتبرنا توقيت المكالمات الهاتفية صحيحاً). تشير شهادة كل من لورنس والسيدة برونيرو والدكتور ستون إلى أن الطفلة كانت في وقت أبكر، ولكن ربما كانت السيدة برايس ريدلي على صواب.

٦،٤٥: لورنس ريدنغ يصل بيتي ويعثر على الحقة.

٦،٤٨: أنا ألتقي بلورنس ريدنغ.

٦،٤٩: أعثر أنا على الحقة.

٦،٥٥: هينوك يفحص الحقة.

ملاحظة: الشخصان الوحيدان اللذان لا يتوفر لديهما أي تبرير لمكان وجودهما ما بين الساعة ٦،٣٠ و٦،٣٥ هما الأنسة كرام والسيدة ليسترينج. تقول الأنسة كرام إنها كانت عند القبر الأثري، ولكن ما من تأكيد لذلك. ولكن يبدو أن استبعادها أمر معقول إذ لا يوجد ما يربطها بالجريمة. السيدة ليسترينج غادرت منزل الدكتور هينوك في وقت ما بعد السادسة لكي تفي بموعدها. أين كان الموعده، ومع من؟ لا يكاد يُعقل أن يكون موعدها مع الكولونيل برونيرو، إذ كان الكولونيل يتوقع أن يشغل معي. صحيح أن السيدة ليسترينج كانت قريبة من مكان الجريمة ساعة ارتكابها، ولكن تحيط الشكوك بالدوافع التي قد تكون لديها لتقتله؛ فموته لا يفيدنا، ونظرية المفتش حول الابتزاز لا

يمكنني تقبلها، فالسيدة ليست من ذلك النوع من النساء، كما لا يبدو محتملاً حصولها على مهندس لورنس.

قالت الأنسة ماربل وهي تومئ برأسها استحسنًا: جدول واضح جداً... واضح جداً بالفعل. إن الرجال يصوغون دوماً مذكرات ممتازة كهذه.

- أتوافقيني على ما كتبت؟

- أوه، نعم... لقد رثيت الأمور بشكل جميل.

عندئذ سألتها السؤال الذي كنت أنوي طرحه طوال الوقت: أنسة ماربل، بمن تشكّين؟ لقد قلت مرة إن لديك سبعة أشخاص.

قالت وهي شاردة: نعم، أظن ذلك صحيحاً... أظن كل واحد منا يشك بشخص مختلف. يوسع المرء رؤية ذلك في الحقيقة.

لم تسألني بمن أشك، بل قالت: النقطة هي أن على المرء أن يقدم تفسيراً لكل شيء. كل شيء ينبغي أن يتم تفسيره بشكل مقنع. فإن كانت لديك نظرية تناسب كل الحقائق فعندها لا بد أن تكون تلك النظرية هي الصحيحة، ولكن ذلك أمر في غاية الصعوبة. لولا تلك الرسالة فقط...

قلت مندهشاً: الرسالة؟

- نعم، لقد أخبرتك كما تذكر... تلك الرسالة قد شغلت فكري طوال الوقت. إن فيها شيئاً خطأ على نحو ما.

- ولكن ذلك قد تم تفسيره الآن بالتأكيد؛ فقد كتبت الرسالة

في السادسة وخمسة وثلاثين دقيقة وجاءت يد أخرى - هي يد الفاتل - ووضعت التوقيت المضلل ٦.٢٠ في أعلى الصفحة. أظن ذلك ثابتاً بشكل واضح.

- ولكن حتى في هذه الحال فالأمر كله غير طبيعي.

- لماذا؟

مالت الأنسة ماربل للأمام بلهفة وقالت: اسمع، لقد عبرت السيدة بروثيرو أمام حديقتي كما قلت لك، وذهبت حتى وصلت الباب الزجاجي للمكتب، ونظرت للدخل ولم تر زوجها.

- لأنه كان يكتب على الطاولة.

- وهذا ما هو غير طبيعي أبداً. كان ذلك في السادسة والثلاث. وقد اتفقنا على أنه ما كان ليجلس ويكتب أنه لم يعد قادراً على الانتظار إلا بعد السادسة والنصف... لماذا - إذن - كان يجلس وقتها إلى الطاولة؟

قلت بتمهل: لم أفكر في ذلك.

- دعنا يا عزيزي السيد كليمنت نستعرض الأمر مرة أخرى. السيدة بروثيرو تأتي إلى الباب الزجاجي وتظن أن الغرفة فارغة... لا بد أنها ظنت ذلك، وإلا ما كانت لتذهب أبداً إلى المرسم لتقابل السيد ريدنغ؛ إذ لن يكون الأمر آمناً عندها. لا بد أن صمتاً مطبقاً كان يحيم على الغرفة إن كانت قد حسبتها فارغة. وهذا ما بضعت أمام ثلاثة احتمالات، أليس كذلك؟

- اتعنين...

- الاحتمال الأول هو أن يكون الكولونيل بروثيرو ميتاً أساساً من قبل... ولكني لا أظنه الاحتمال المرجح. فهو -بداية- لم يكن قد مر على وجوده هناك أكثر من خمس دقائق، وفي هذه الحالة كنت سأسمع أنا أو هي صوت الطلقة، وثانياً: ستبقى لدينا نفس مشكلة جلوسه إلى الطاولة. الخيار الثاني هو أنه كان جالساً إلى الطاولة يكتب رسالة، ولكن لا شك -في هذه الحالة- بأنها كانت رسالة مختلفة تماماً. لا يمكن أن يكون موضوعها الاعتذار عن عدم قدرته على الانتظار. والاحتمال الثالث...

- نعم؟

- الاحتمال الثالث طبعاً هو أن تكون السيدة بروثيرو على حق، وأن الغرفة كانت فارغة بالفعل.

- أتعتين أنه خرج -بعدما أدخلته ماري الغرفة- ثم عاد لاحقاً؟

- نعم.

- ولكن لماذا عساه يقوم بذلك؟

مدت الآنسة ماربل ذراعيها في إشارة حيرة، فقلت: إن ذلك سيعني النظر إلى القضية من زاوية مختلفة تماماً.

- غالباً ما يضطر المرء للنظر من زوايا أخرى في كل الأمور... ألا تعتقد ذلك؟

لم أجبها. كنت أستعرض في عقلي بدقة الخيارات الثلاثة التي اقترحتها الآنسة ماربل.

ثم نهضت الآنسة العجوز وهي تطلق تنهيدة خفيفة وقالت: ينبغي أن أعود. إنني سعيدة جداً لتبادل هذا الحديث معك... مع أننا لم نحقق تقدماً كبيراً، أليس كذلك؟

قلت وأنا أحضر وشاحها: أصرحك القول بأن الأمر كله يبدو لي لغزاً محيراً.

- أوه! ما كنت لأقول ذلك. أظن عموماً أن إحدى النظريات تفسر كل شيء تقريباً. بمعنى أنها كاملة إذا ما سمحنا بصدفة واحدة وقعت... وأظن أن بالإمكان السماح بوقوع صدفة واحدة، ولكن من غير المحتمل طبعاً وقوع أكثر من واحدة.

سألتها وأنا أنظر إليها: أنتظنين ذلك حقاً؟ أعني بوجود نظرية؟

- أعترف بأن في نظريتي نقصاً واحداً.. حقيفة واحدة لا أستطيع تجاوزها. أوه! لو أن تلك الرسالة كانت فقط شيئاً مختلفاً تماماً...

تنهدت وهزت رأسها أسفاً، ثم مشت باتجاه الباب الزجاجي ومدت يدها وهي شاردة لتلمس نبتة منتصبة هناك يدل منظرها على الذبول. قالت: أتدري يا عزيزي السيد كليمنت، ينبغي سقاية هذه النبتة أكثر. مسكينة، تحتاج الماء بشدة. ينبغي لخادمتكم أن تسقيها يومياً. أظن أن الخادمة هي التي ترعاها، أليس كذلك؟

- نعم، ورعايتها لها لا تزيد عن رعايتها لأي شيء في هذا البيت.

- إنها ما زالت غرة قليلاً.

- نعم، وترفض غريزتها دوماً إنهاء خدماتها، وعذرها في ذلك

أن ما من خادمة ستقبل البقاء عندنا إلا إن كانت خادمة كريمة جداً.
ومع ذلك فإن ماري نفسها أعطتنا بالأمس إشعاراً بأنها تريد المغادرة.

- حقاً، لقد كنت أحسبها دوماً شديدة التعلق بكم.

- أنا لم ألاحظ ذلك. ولكن الحقيقة هي أن ليني برونيرو هي
التي أزعجتها. فقد جاءت ماري من التحقيق بمزاج معكر ووجدت
ليني هنا و... تبادلنا بعض الكلمات.

قالت الآنسة ماريل: أوه!

كانت على وشك الخروج من الباب الزجاجي فتوقفت فجأة
وبدت على وجهها سلسلة محيرة من التغيرات. دمدمت قائلة لنفسها:
أوه، يا إلهي! لقد كنت مغفلة حقاً. هكذا الأمر إذن؟ كان ذلك
ممكناً تماماً طوال الوقت.

- عفواً، ماذا نقولين؟

أدارت نحوي ووجهاً قلقاً وقالت: لا شيء... مجرد فكرة
خطرت لي تَوّاً. عليّ أن أعود إلى البيت وأفكر في الأمور بكل
عمق. أظنني، أظنني كنت مغفلة تماماً... بشكل لا يكاد يُصدق.

قلت بلباقة: أجد صعوبة في تصديق ذلك. ثم صحبتها من
خلال الباب وعبر ممشى الحديقة، وسألتها: هل لك أن تخبريني
بهذا الذي خطر لك هكذا فجأة؟

- أفضّل ألا أخبرك... في الوقت الراهن. فما زال احتمال أن
أكون مخطئة، ولكنني لا أظن ذلك... ها قد وصلنا إلى بوابة بيتي.

شكراً جزيلاً. أرجو ألا تتعب نفسك أكثر.

سألتها بعد أن عبرت البوابة وأغلقتها خلفها: أما زالت الرسالة
عقبة كأداء؟

نظرت إليّ بشروء وقالت: الرسالة؟ أوه! طبعاً لم تكن تلك
هي الرسالة الحقيقية. لم أعتبرها كذلك أبداً. طابت ليلتك يا سيد
كليمنت.

ذهبت مسرعة في الممشى إلى البيت وقد تركتني أحرق
خلفها. ولم أعرف بماذا أفكر.

* * *

ولكن دعنا منه الآن. كيف تجري الأمور هنا؟ المزيد من المعائن
معن يسعين محمولات خلف الطريدة؟

- لا بأس بما صنع... بل إن إحداهن تظن أنها وجدت
الطريدة.

- صديقتنا الآنسة ماربل، إيه؟

- نعم، صديقتنا الآنسة ماربل.

- إن النساء من أمثالها يحسبن دوماً أنهن يعلمن كل شيء.

- ربما كان ذلك تدخلاً لا ضرورة له مني، ولكني أحسب أن
أحداً قد قام باستجواب صبي بائع السمك. أعني أن القاتل - إن كان
قد غادر من الباب الأمامي - فربما شاهد ذلك الصبي.

- لقد استجوبه سلاك بما يكفي، ولكنه يقول إنه لم يرَ أحداً.
من الصعب أن يرى شيئاً، فما كان القاتل ليثير حوله الانتباه، وهناك
الكثير مما يمكن أن يستره قرب بوابة الأمامية، ولا بد أنه تأكد
من خلو الطريق. لقد كان على الصبي أن يمر في ذلك اليوم ببيتك
وبيت الدكتور هيلوك وبيت السيدة ريدلي، ولذا كان من السهل
مراوغته.

- نعم، أحسب ذلك كان سهلاً.

- ومن جهة أخرى فإن صدف وكان ذلك الشقي آرثر هو
الذي ارتكب الجريمة وراه الصبي قريباً من المكان فإني أشك
كثيراً في إمكانية بوجه بذلك؛ إذ أن آرثر قريبه.

الفصل السابع والعشرون

لم تعد غريزلا وديتيس بعد. وأدركت أن التصرف الطبيعي كان
يقضي بأن أذهب مع الآنسة ماربل إلى بيتها وأعود بهما معي، ولكننا
كنا كلانا مستغرقين تماماً في انشغالنا بهذا اللغز إلى حدٍ نسينا معه
وجود أحد في هذا العالم سوانا.

كنت أقف في الصالة متسائلاً إن كان عليّ أن أتدارك الأمر
وأذهب الآن للانضمام إليهم عندما رن جرس الباب. وذهبت إليه
فوجدت رسالة في صندوق الرسائل المثبت فيه، فأخرجتها وأنا أفترض
أنها هي سبب قرع الجرس. ولكن الجرس عاد ليقرع وأنا أخرجها،
فدسستها بسرعة في جيبى وفتحت الباب الأمامي.

كان القادم هو الكولونيل ميلتشيت. قال: مرحباً يا كليمنت.
كنت في طريقي من البلدة إلى البيت بسيارتي، ولم أرَ بأساً في
المرور عليك والتمتع بضيافتك.

- على الرحب والسعة... تفضل إلى غرفة المكتب.

نزع عنه معطف الجلد الذي يرتديه وتبعني إلى المكتب وهو
يقول: إن لك عندي خبراً يا كليمنت من أكثر ما سمعته إبهاراً،

- هل تشك جداً بآرتشر؟

- إنك تعلم أن بروثيرو قد اضطهد آرتشر كثيراً، وبينهما الكثير من الضغينة. لم تكن الرحمة من صفات بروثيرو المميّزة!

- نعم، لقد كان شخصاً قاسياً.

- إن مبدئي هو أن يعيش المرء ويترك غيره يعيش. صحيح أن القانون هو القانون، ولكن لا ضرر من معاملة الناس بحسن نية. وهذا ما لم يفعله بروثيرو أبداً.

ساد شيء من الصمت، ثم سألت: ما هو ذلك الخير "شديد الإبهار" الذي وعدتني به؟

- إنه مبهر حقاً. أتعرف تلك الرسالة غير المكتملة التي كان بروثيرو يكتبها عندما قُتل؟

- نعم.

- عرضناها على خبير ليقول إن كان الرقم ٦,٢٠ قد أضافه يد أخرى، وقد أرسلنا - طبعاً - نماذج من خط بروثيرو. أتدري ما النتيجة؟ تلك الرسالة لم يكتبها بروثيرو أبداً!

- أتعني أنها كانت مزورة؟

- نعم، مزورة. كما أنهم يرون أن الرقم ٦,٢٠ قد كُتب بيد أخرى أيضاً... ولكنهم غير متأكدين من ذلك، فقد كُتب على رأس الصفحة بحبر مختلف. الرسالة نفسها منحولة... لم يكتبها بروثيرو أبداً!

- أهم متأكدون من ذلك؟

- كأشد ما يكون الخبراء تأكيداً.

قلت: "مدهش!"، ثم داهمتني ذكرى فقلت: أذكر أن السيدة بروثيرو قد ذكرت وقتها أن الكتابة لا تشبه خط زوجها أبداً، ولم أنتبه لذلك.

- حقاً؟

- ظننت قولها إحدى الملاحظات السخيفة التي تطلقها النساء، فلو كان لنا أن نثق بشيء واحد، لكان ذلك الشيء هو كتابة بروثيرو لتلك الرسالة.

تبادلنا النظرات، ثم قلت بتعجل: أمر غريب، لقد كانت الأنسة ماربل تقول هذا المساء إن تلك الرسالة لم تكن طبيعية أبداً.

- إذن فقد حيرت الرسالة صاحبتها، لو أنها كانت هي التي ارتكبت الجريمة شخصياً لما عرفت عنها أكثر مما تعرف.

في تلك اللحظة رن جرس الهاتف. إن لرئيس جرس الهاتف تأثيراً نفسياً غريباً... أخذ يرن الآن بإصرار وبشكل ينذر بشر مستطير. ذهبت إلى الهاتف ورفعت السماعة قائلاً: أنا الكاهن، من المتكلم؟

جاءني عبر الأسلاك صوت غريب هستيري عالي النبرة: أريد الاعتراف. يا إلهي، أريد الاعتراف!

- نعم، نعم؟... يا بدّالة... لقد قطعتم عني الخط. ما هو الرقم الذي كان يتكلم؟

جاءني صوت حامل يقول إنه لا يعرف، ثم أضاف إنه آسف على إزعاجي. وضعت السماعة والتفتُ إلى ميلتشيت قائلاً: لقد قلتَ مرةً إنك ستجن إذا تقدم شخص آخر للاعتراف بارتكابه للجريمة.

- ماذا تعني؟

- كان هذا شخصاً أراد الاعتراف، ولكن البدالة قطعت الاتصال.

اندفع ميلتشيت وأخذ السماعة قائلاً: سأتحدث معهم.

- نعم، تحدث، فربما كان لك تأثير عليهم... سأتركك تقوم بذلك، أما أنا فسأخرج... أنتجّل أنني ميزت ذلك الصوت.

* * *

أسرعت نزولاً في شارع القرية. كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة، وفي مثل تلك الساعة من أيام الأحد ربما وجد المرء قرية سينت ميرى ميد بأسرها ميتة. ولكني رأيت وأنا أمرّ ضوءاً في أحد النوافذ في الطابق الأول، فتوقفت إذ أدركت أن هاويز ما يزال ساهراً وقرعت جرس الباب.

وبعد مرور ما بدا لي وقتاً طويلاً قامت صاحبة منزل هاويز، السيدة سادلر، بمعالجة قفلين وسلسلة، ثم أدارت المفتاح وأطلقت تنظراً إليّ بارتياب، ثم هتفت: من، الكاهن!

- مساء الخير، أريد رؤية السيد هاويز. أرى الضوء من النافذة، ولذلك فإنه ما يزال ساهراً.

- ربما. فأنا لم أراه منذ أن صعدت إليه بالعشاء. كانت ليثه

هادئة... لم يأت أحد لرؤيته، كما لم يخرج.

أومأت برأسني ثم اجتزتها وصعدت الدرج بسرعة، إذ أن لهاويز غرفة نوم وغرفة جلوس في الطابق الأول. دخلت غرفة الجلوس. كان هاويز متمسداً على أريكة طويلة نائماً، فلم يوقظه دعولي، وإلى جانبه كانت علبة كبسولات دواء وكأس من الماء ممتلئ حتى نصفه. وعلى الأرض عند قدمه اليسرى رأيت ورقة مكورة عليها كتابة. رفعت الورقة ومسدتها حتى اعتدلتُ فראيت الكتابة فيها تبدأ بالقول: عزيزي كليمنت.

قرأت الورقة كلها، وأطلقت صوت تعجب ثم دسستها في جيبي وانحيت على هاويز وأمعت النظر فيه. بعدها عمدت إلى الهاتف الذي كان عند مرفقه وطلبت رقم بيتي. لا بد أن ميلتشيت ما زال يتابع مصدر المكالمات، لأن البدالة أخبرتني أن الخط مشغول، ولذلك طلبت منها معاودة المحاولة والاتصال بي ثانية وأعدت السماعة.

وضعت يدي في جيبي لأنظر مرة أخرى إلى الورقة التي أخذتها قبل قليل. وعندما أخرجتُها أخرجت معها الرسالة التي وجدتها في صندوق الرسائل والتي لم تكن قد فتحت بعد. كان مظهرها مألوفاً جداً، وكان خطها نفس خط الرسالة المغفلة من التوقيع التي جاءني بعد ظهر ذلك اليوم.

فتحتها. وقرأتها مرة... مرتين... غير قادر على إدراك فحواها. وكنت على وشك البدء بقراءتها للمرة الثالثة عندما رن جرس الهاتف. رفعت السماعة كالحالم وقلت: نعم؟ أهذا أنت يا ميلتشيت؟

- نعم، أين أنت؟ تتبعْتُ تلك المكالمة، وقد جاءت من الرقم...

- أعرف الرقم.

- أوه، جيداً أوه المكان الذي تتكلم منه؟

- نعم.

- ماذا عن ذلك الاعتراف؟

- لقد حصلتُ على الاعتراف تماماً.

- أنعني أنك عرفت القاتل؟

تعرضت وقتها لأقوى إغراء صادفني في حياتي. نظرت إلى الحط الضخم الرديء الذي تركه صاحبه دون إمضاء، وإلى علبه الكبسولات الفارغة وعليها اسم "الملائكة الصغار"، وتذكرت حديثاً عارضاً جرى. بذلتُ جهداً هائلاً، ثم قلت: لا أدري، الأفضل أن تأتي أنت.

أعطيته العنوان، ثم جلست على الكرسي المقابل لهاوز لكي أفكر. كانت أمامي دقيقتان من الفراغ للقيام بذلك؛ فبعد دقيقتين سيكون ميلنشيت قد وصل. أخرجت الرسالة المغلفة من التوقيع وقرأتها للمرة الثالثة. ثم أغمضت عيني وفكرت...

* * *

الفصل الثامن والعشرون

لا أدري كم بقيت جالساً هناك... وأظنها لم تكن سوى بضع دقائق في الواقع. ولكن بدا لي أن أبدية كاملة قد مرت قبل أن أسمع الباب يُفتح. التفتُ ورفعت نظري فראيت ميلنشيت يدخل الغرفة.

حدق في هاوز النائم على أريكته، ثم التفت إليّ وقال: ما هذا يا كليمنت؟ ماذا يعني هذا كله؟

اخترت واحدة من الرسالتين في جيبي وأعطيتها له... قرأها بصوت عال يمكن سماعه:

عزيزي كليمنت،

إن ما أنا مضطر لقوله أمر بغضب جداً. وأظن -في نهاية الأمر- أنني أفضل كتابته، وبمكنا أن نناقشه في موعد لاحق. إنه يتعلق بالاختلاسات الأخيرة... إنني أسف للقول إنني افتتحت قناعة لا تشوبها أية شكوك بهوية الحاني، ورغم كل الأكم الذي يسببه لي اضطرابي لاتهام رجل دين مُرسم في الكنيسة فإن واجبي واضح. ينبغي أن نكون في الأمر عبدة و...

نظر إليّ متسائلاً، فعند هذه النقطة امتد الخط ليصبح خطوطاً طويلة لا يمكن تمييزها حيث همدت يد الكاتب. سحب ميلتشيت نفساً عميقاً ونظر إلى هاوز قائلاً: هذا هو الحل إذن! الرجل الوحيد الذي لم تفكر فيه مجرد تفكير... وقد دفعه الندم للاعتراف!

- لقد كانت أطواره بالغة الغرابة مؤخراً.

مشى ميلتشيت فجأة إلى الرجل النائم هاتفاً بحدة. أمسكه من كتفه وهزّه برفق في البداية، ثم أخذ يهزه بعنف متزايد، وقال: إنه ليس نائماً... بل مختلراً! ما معنى هذا؟

انتقلت عينه إلى علبة الكبسولات الفارغة فقال: ترى هل...؟

- أظن ذلك. لقد أراني هذه الكبسولات بالأمس وأخبرني أن الطبيب حذره من تناول جرعات مضاعفة. إنها ميتة، المسكين. ربما كانت هذه أفضل طريقة... ليس لنا أن نحكم عليه الآن.

ولكن ميلتشيت كان رئيس شرطة المقاطعة قبل أي شيء آخر، والأفكار التي تروق لي أنا قد لا تعني له شيئاً. انقض على الهاتف بلمح البصر وأخذ يهز السماعه بصبر نافذ حتى تلقى جواباً. طلب رقم هيدوك، ثم سادت فترة صمت كان خلالها يقف وأذنه على السماعه وعيناه على الحسد المرتخي على الأريكة.

- ألو... ألو... الدكتور هيدوك؟ أيمكن للدكتور أن يأتي فوراً إلى شارع هاي؟ منزل هاوز. الأمر عاجل... ماذا؟... حسناً، ما الرقم إذن؟... أوه، آسف.

ضرب السماعه وهو يتميز غضباً وقال: الرقم خطأ، الرقم

خطأ... دائماً الأرقام خاطئة! وحياة إنسان متوقفة على ذلك. ألو... لقد أعطيتوني رقماً خاطئاً... نعم، لا تضيع الوقت... أعطني ثلاثة ثلاثة تسعة... وليس خمسة.

مضت فترة أخرى من نفاذ الصبر... وكانت أقصر هذه المرة.

- ألو... أهذا أنت يا هيدوك؟ ميلتشيت يتكلم... تعال إلى شارع هاي، منزل ١٩ على الفور. لقد تناول هاوز جرعة مضاعفة من عقار ما، بسرعة يا رجل، فالأمر يتعلق بموت أو حياة!

أعاد السماعه وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ثم قال: لا أدري ماذا دهاك بحيث لم تتصل بالطبيب فوراً يا كليمنت. لا بد أن عقلك أخذ يشرذ.

ثم يخطر في بال ميلتشيت -لحسن الحظ- أنه من الممكن أن تكون للناس آراء في التصرف الصحيح تختلف عن آرائه هو. لم أقل شيئاً فيما مضى هو يقول: أين وجدت هذه الرسالة؟

- كانت مكورة ومرمية على الأرض.. حيث سقطت من يده.

- أمر بالغ الغرابة... تلك العجوز كانت مصيبة في تخمينتها بأن الرسالة التي وجدناها لم تكن الرسالة الحقيقية. عجباً كيف توصلت إلى ذلك! ولكن يا لغبائه إذ لم يتخلص من هذه الرسالة. كيف احتفظ بها... وهي أكبر دليل مدمر يمكن تخيله!؟

- إن الطبيعة البشرية مليئة بالمتناقضات.

- لو لم تكن كذلك لشككت في إمكانية قبضنا على أي مجرم

أبدأ! دائماً ما تراهم يرتكبون حماقة عاجلاً أم آجلاً. إنك تبدو على غير طبيعتك تماماً يا كليمنت. أحسب أن هذا الأمر كان أكبر صدمة لك؟

- فعلاً. لقد كان هاوز - كما قلت لك - غريب التصرفات منذ فترة، ولكنني لم أتخيل أبداً...

- ومن الذي تخيل ذلك؟ اسمع، صوت سيارة.

ذهب إلى النافذة ففتح واقتبها الخشبية وأطل منها ثم قال: نعم، إنه هيدوك.

بعد دقيقة دخل الطبيب الغرفة، ويضع كلمات مقتضبة شرح ميلتشيت الموقف. ليس هيدوك بالرجل الذي يُظهر مشاعره. اكتفى بأن رفع حاجبيه وأومأ برأسه ومضى إلى مريضه. جس نبضه، ورفع جفته ونظر بإمعان إلى عينه، ثم التفت إلى ميلتشيت وقال: تريد أن تنقذه لتقدمه لحبل المشنقة؟ ولكن حالته صعبة تماماً. سيكون إنقاذه محازفة على كل حال... أشك في قدرتي على إعادته لوعيه.

- افعل كل ما في وسعك.

- حسناً.

انشغل بالحقية التي أحضرها معه، وحضر حقنة حقنها في ذراع هاوز، ثم انتصب واقفاً وقال: الأفضل أن نأخذه إلى مَتش بينهم... إلى المستشفى هناك. ساعداني حتى ننزله إلى السيارة.

ساعدناه كلانا، وعندما ركب هيدوك خلف عجلة القيادة التفت وألقى بعبارة وداعية: لن نستطيع أن تشنقه يا ميلتشيت.

- أعني أنه لن يشفي؟

- شفي أم لم يشف... لم أقصد ذلك. أعني حتى إن شفي... فالمسكين لم يكن مسؤولاً عن أفعاله. سوف أدلي بشهادة بهذا المعنى.

قال ميلتشيت ونحن نصعد الدرج ثانية: ماذا عني بقوله ذاك؟

شرحت له أن هاوز كان ضحية التهاب في الدماغ يسبب النوم.

- مرض النوم، أليس كذلك؟ يوجد دوماً سبب جيد يُبذل لتبرير كل فعل سيء يُرتكب. ألا توافقني؟

- إن العلم يعلمنا الكثير.

- نياً للعلم! آسف يا كليمنت، ولكن كل هذا الحديث المائع يزعجني؛ فأنا رجل واضح... يحسن بنا أن نفتش هذا المكان.

ولكن في هذه اللحظة حدث قطع لحديثنا... وكان قطعاً مدهشاً. فُتح الباب ودخلت الأنسة ماربل الغرفة. كانت محمرة الوجه مرتبكة قليلاً، وبدا أنها أدركت وقع المفاجأة علينا.

- آسفة جداً... آسفة جداً جداً... على تدخلتي. مساء الخير يا كولونيل ميلتشيت. كما قلت لكم، إني آسفة جداً، ولكنني -عندما سمعت أن السيد هاوز سقط مريضاً- شعرت أن عليّ أن آتي لأرى إن كان بوسعي المساعدة.

سكتت، وكان الكولونيل ميلتشيت ينظر إليها ببعض الازدراء، ثم ما لبث أن قال لها بحفاة: هذا لطف كبير منك يا آنسة ماربل، ولكن لا حاجة لأن ترعجي نفسك. بالمناسبة، كيف عرفت بالأمر؟

كان ذلك سؤالاً كنت أتوق لطرجه!

قالت الأنسة ماربل: الهاتف. إنهم شديداً الإهمال في مسألة الأرقام الخاطئة هذه، أليس كذلك؟ لقد تكلمت معي في البداية ظاناً أنني الدكتور هيدوك... رقمي هو ثلاثة ثلاثة خمسة.

هتفت قائلاً: هكذا إذن!

يوجد دائماً تفسير جيد جداً ومنطقي لتبرير معرفة الأنسة ماربل بكل ما يدور. استمرت قائلة: وهكذا جئت لأرى إن كان بوسعي تقديم أية مساعدة.

قال ميلتشيت مرة أخرى، بحفاة أشد هذه المرة: هذا لطف بالغ منك، ولكن لا يوجد ما يمكن فعله. لقد أخذه هيدوك إلى المستشفى.

- إلى المستشفى فعلاً؟ أوه، هذا مصدر ارتياح عظيم! يسعدني جداً سماع ذلك. سيكون في أمان تام هناك، ولكن هل يعني قولك "لا يوجد ما يمكن فعله" أنه لن يشفى؟

قلت لها: هذا موضع شك كبير.

كانت عينا الأنسة ماربل قد انتقلنا إلى علية الكبسولات، فقالت: أحسبه أخذ جرعة مضاعفة؟

أحسب أن ميلتشيت كان يفضل البقاء متحفظاً في كلامه. وربما كان ذلك موقفي أيضاً لو كانت الظروف غير الظروف، ولكن مناقشتي للفضية مع الأنسة ماربل كانت أقرب عهداً في ذهني من أن أتبنى مثل هذا الموقف، رغم أن عليّ أن أعترف أن ظهورها

المفاجئ هنا وفضولها المتلهف أزعجاني قليلاً. قلت لها: الأفضل أن تري هذه.

وأعطيتها رسالة بروثيرو التي لم يكملها.

أخذتها وقرأتها دون أن تبدو عليها أية دهشة. سألتها: لقد سبق لك واستنتجت شيئاً من هذا القبيل، أليس كذلك؟

- نعم، نعم حقاً. هل لي أن أسألك يا سيد كليمنت ما الذي جعلك تأتي إلى هنا هذه الليلة؟ هذه نقطة تحيرني. أنت والكولونيل ميلتشيت... ما كنت لأتوقع هذا أبداً.

شرحت لها مسألة المكالمة الهاتفية، وكيف ظننت أنني ميزت صوت هاوز. أومأت الأنسة ماربل برأسها متأملة وقالت: هذا مشير جداً. إنها العناية الإلهية إن كان لي أن أستخدم هذا التعبير. نعم، لقد جاءت بك إلى هنا في أخرج اللحظات.

قلت بمرارة: في أخرج اللحظات، لماذا؟

- لتتخذ حياة السيد هاوز طبعاً.

قلت لها: ألا ترين أن من الأفضل ألا يشفى هاوز مما هو فيه؟ أفضل له... وأفضل للجميع. إنك تعرفين الحقيقة الآن و...

توقفت.. فقد كانت الأنسة ماربل تومس برأسها بحماسة جعلتني أضيع ما كنت أريد قوله. قالت: طبعاً، طبعاً! هذا ما يريد هاوز أن يجعلك تظنه! أنك تعرف الحقيقة... وأن تلك الحال هي أفضل للجميع. أوه، نعم. الأمر كله انضح الآن... الرسالة، والجرعة

المضاعفة والحالة الذهنية للمسكين هاوٍز واعترافه. أمور كلها منسجمة مع بعضها البعض... ولكنها خطأ...

حدثنا فيها فقالت: لهذا أنا سعيدة جداً لأن هاوٍز آمن الآن حيث لا يستطيع أحد الوصول إليه، وإذا تعافى فسيخبركم بالحقيقة. - الحقيقة؟

- نعم... حقيقة أنه لم يلمس شعرة واحدة في رأس بروثيرو. قلت: ولكن ماذا عن المكالمات، والرسالة... والجرعة المضاعفة؟ الأمر كله واضح جداً.

- هذا ما يريدك أن تظنه. أوه، إنه ذكي جداً! إن الاحتفاظ بالرسالة واستخدامها بهذا الشكل حركة ذكية جداً في الواقع. قلت لها: من الذي تعينه بقولك؟

- أعني القاتل.

ثم أضافت يهدوء شديد: أعني السيد لورنس ريدنغ!!

* * *

الفصل التاسع والعشرون

حدثنا فيها كلانا، وقد حسبنا -لوهلة- أنها فقدت عقلها فعلاً؛ فقد بدا اتهامها أبعد ما يكون عن العقل والمنطق!

كان الكولونيل أول من تحدث منا... تكلم بلطف وبتنوع من التسامح المشفق: هذا غير منطقي أبداً يا آنسة ماربل؛ فالشباب ريدنغ تمت ثيرته تماماً.

- هذا طبيعي، فقد حرص على ترتيب ذلك.

قال الكولونيل بيروود: على العكس، لقد فعل كل ما في وسعه حتى يُتهم بارتكاب الجريمة.

- نعم، وقد خدعنا جميعاً بذلك... خدعني أنا كما خدع الآخرين جميعاً. لعلك تتذكر يا سيد كليمنت أنني فوجئت تماماً عندما سمعتُ بأن السيد ريدنغ قد اعترف بالجريمة؛ فقد قلب ذلك كل أفكارى وجعلني أحسبه بريئاً... مع أنني كنت أشعر -حتى ذلك الحين- أنه مذنب.

- إذن فقد كان لورنس ريدنغ هو من تشكّين فيه؟

- أعرف أن القائل في الروايات يكون دائماً آخر من يمكن الشك به، ولكنني لم أجد هذه المساعدة تنطبق على الحياة الواقعية أبداً؛ ففي الواقع غالباً ما يكون الواضح المباشر هو الصحيح. ورغم أنني كنت أكن دوماً حياً كبيراً للسيدة برونيرو إلا أنني لم أملك إلا أن أصل إلى نتيجة مفادها أنها واقعة تحت التأثير الكامل للورنس ريدنغ، ومن شأنها أن تفعل كل ما يطلبه منها، وهو بالطبع ليس من أولئك الشباب الذين يمكن أن يحلموا بالهرب مع امرأة لا تملك شيئاً. كان ضرورياً - من وجهة نظره - أن يتم التخلص من الكولونيل برونيرو... وهكذا تخلص منه. إنه واحد من أولئك الشبان ذوي الفتنة الذين لا يملكون إحساساً حقيقياً.

كان الكولونيل ميلنشيت يزأر منذ بعض الوقت، والآن انفجر قائلاً: هذا هراء تام... كل ما تقولينه هراء! إن لدينا تفسيراً كاملاً لتحركات ريدنغ حتى الساعة السادسة وخميس دقائق، وهيدوك يؤكد جازماً أن برونيرو لا يمكن أن يكون قد قُتل وقتها. أحالكك تحسين نفسك أكثر معرفة من الأطباء... أم أنك تلمّحين إلى أن هيدوك يكذب عامداً... لسبب لا يعلمه إلا الله؟

- أظن أن شهادة هيدوك كانت صحيحة تماماً، وهو رجل في غاية الاستقامة. إن السيدة برونيرو هي التي أطلقت النار على الكولونيل برونيرو... وليس السيد ريدنغ.

حدثنا فيها ثانية! عدلت الآنسة ماربل شالها وردّت وشاحها الذي يغطي كتفيها، وبدأت تلقي محاضرة رقيقة من محاضرات العجائز تحتوي على أكثر التصريحات إدهاشاً، وهي تلقيها - في نفس الوقت - بأكبر قدر من الطبيعية.

قالت: لم أجد من المناسب أن أتكلم حتى الآن، فاعتقاد المرء، حتى لو بلغ في قوته درجة المعرفة، لا يشكل بديلاً للدليل الدامغ. وما لم يكن لدى المرء تفسير يناسب كل الحقائق (كما كنت أقول للسيد كليمنت هذا المساء) فإنه لا يستطيع طرحه بقناعة حقيقية. ولم يكن تفسيري الخاص مكتملاً تماماً... كان ينقصه شيء واحد فقط... ولكنني لاحظت فجأة - وأنا أغادر مكتب السيد كليمنت - النبتة في الحوض قرب الباب الزجاجي للمكتب... وعندها انتصبت الحقيقة كاملة أمامي! واضحة وضوح الشمس!

تمتم ميلنشيت قائلاً لي: جنون... جنون مطبق!

ولكن الآنسة ماربل ابتسمت لنا بهدوء ومضت تقول بصوتها النسوي الهادي: كنت آسفة جداً لظنوني التي ظننتها... كنت آسفة جداً لأنني أحبهما كليهما... ولكنكما تعرفان طبيعة النفس البشرية! وفي البداية، عندما اعترف هو أولاً، ثم اعترفت هي بتلك الطريقة الحمقاء... عندها شعرت بارتياح بالغ إذ ظننت أنني كنت مخطئة. وبدأت أفكر بأشخاص آخرين ممن يمكن أن يكون لهم دافع للتخلص من الكولونيل برونيرو.

تمتمت قائلاً: المشبوهون السبعة!

ابتسمت لي وقالت: نعم في الواقع. ذلك الرجل آرثر... لم يكن محتملاً، ولكن من يدري كيف يمكن أن يتصرف إذا ما ملأ خوفه بعمراً يلهب المشاعر؟ وعيادتك ماري؛ فهي تخرج مع آرثر منذ فترة طويلة، وهي ذات مزاج غريب، وقد توفر لها الدافع والفرصة... بل إنها كانت وحيدة في البيت! كان بإمكان السيدة

آرتشر العجوز أن تحصل بسهولة على المسدس من بيت السيد ريدنغ لتعطيه لأي من هذين الإثنين. وليتيس... وهي بحاجة إلى الحرية والعمال لتفعل ما تشاء. لقد عرفت حالات كثيرة كانت فيها فتيات شدييدات الجمال والرفقة يُظهرون افتقاراً رهيباً لأي وازع خلقي... رغم أن الرجال طبعاً لا يريدون تصديق ذلك!

طرفتُ بعيني، ومضت الأنسة ماربل تقول: ثم جاءت أيضاً مسألة مضرب التنس.

- مضرب التنس؟

- نعم، ذلك الذي رأيته كلاًراً خادمة السيدة برايس ريدلي مرمياً على العشب قرب بوابة بيتك أيها الكاهن.. لقد دل ذلك على أن دينيس قد عاد من مباراة التنس تلك أبكر مما ادعى. إن الفتيان في سن السادسة عشرة شدييدو التأثير بالآخرين ويفتقرون تماماً للاتزان. وكائناتاً ما كان دافعه لذلك... من أجل ليتيس أو من أجلك أنت أيها الكاهن، فقد كانت تلك إمكانية قائمة. ثم بالطبع السيد هاوز المسكين وأنت... ليس كلاكما بالطبع، ولكن أي واحد منكما.

هتفتُ بدهشة شديدة: أنا؟!

- نعم، إنني آسفة... وأنا في الواقع لم أشك حقاً... ولكن مسألة تلك المبالغ المالية المخفية. لا بد أن يكون أحدهما - أنت أو هاوز - مذنّباً، وقد كانت السيدة برايس ريدلي تدور هنا وهناك وتلمّح إلى أنك أنت الملام... وذلك - بشكل رئيس - لأنك اعترضت بقوة على إجراء أي تحقيق في المسألة. أنا شخصياً كنت مقتنعة دوماً بأن الفاعل هو السيد هاوز... فقد ذكرني كثيراً بذلك

العاذف المسكين على الأورغ الذي أشرتُ إليه، ولكن المرء لا يستطيع رغم ذلك أن يكون متأكداً تماماً.

أكملتُ أنا عبارتها بالقول: نظراً لطبيعة النفس البشرية.

- بالضبط! وتوجد العزيرة غريزدا بالطبع.

قاطعها ميلتشيت قائلاً: ولكن السيدة كليمنت كانت خارج الموضوع تماماً! فقد عادت بقطار السادسة وخمسين دقيقة.

- هذا ما قالته هي، على المرء ألا يعتمد على ما يقوله الناس.

لقد تأخر قطار السادسة وخمسين دقيقة لمدة نصف ساعة في ذلك المساء، ولكنني رأيته بأمر عيني في الساعة السابعة والربع تنطلق إلى أولد هول، مما يعني أنها جاءت - دون ريب - في القطار الذي سبق قطار السادسة وخمسين دقيقة. والحقيقة أن بعضهم رآها، وربما كنت تعرف ذلك؟

نظرتُ إليّ متسائلة.

دفعني شيء من القوة في نظرتها لأن أخرج آخر رسالة مغفلة من التوقيع لدي، وهي الرسالة التي فتحتها قبل قليل. وتذكر الرسالة بالتفصيل أن غريزدا شوهدت تخرج من الباب الخلفي لبيت لورنس ريدنغ في الساعة السادسة والثلاث من ذلك المساء المشؤوم.

لم أقل شيئاً وقتها (أو في أي وقت) عن الشك الرهيب الذي داهم عقلي. رأيت الأمر كما لو كان كابوساً: علاقة سرية قديمة بين لورنس وغريزدا، وتعلم غريزدا بأن الأمر قد وصل إلى مسامع بروثيرو، وأنه قرر أن يطلعني على الحقائق... فتصاب باليأس

وتسرق المسدس وتُسكت بروثيرو. كان ذلك كابوساً كما قلت... ولكنه اتخذ -لذقائق طويلة معدودة- شكل الواقع الرهيب.

لا أدري إن كان لدى الأنسة ماربل طرف معرفة بذلك كله. الأرجح أن تكون عارفة به؛ فقليلة هي الأمور التي تخفى عليها!

أعادت لي الرسالة وهي تومي برأسها وقالت: لقد انتشر ذلك في القرية كلها. ويبدو الأمر باعثاً على الشبهات، أليس كذلك؟ خاصة وأن السيدة آرثرشر أقسمت في التحقيق أن المسدس كان ما يزال في البيت عندما غادرت عند الظهيرة.

سكنت لحظة ثم تابعت تقول: ولكنني أبعد كثيراً عن الموضوع. ما أريد قوله -وأعتقد أنه من واجبي- هو أن أضع أمامكم تفسيري للفضية، فإلم تصدقوه... أكون قد قمت بأفضل ما يمكنني عمله. وحتى في هذه اللحظة، فإن رغبتني في أن أكون واثقة تماماً قبل أن أتكلم ربما كلفت السيد هاوز المسكين حياته.

سكنت مرة أخرى. وعندما تابعت حديثها كان لصوتها وقع مختلف. كان صوتها أقل اعتذاراً وأكثر جزمًا: هذا هو تفسيري للحقائق: مع حلول عصر يوم الخميس كانت الجريمة قد اكتملت تحيطاً حتى أدق التفاصيل: قام لورنس أولاً بزيارة الكاهن وهو يعرف أنه خارج البيت. كان معه المسدس الذي أخفاه في حوض النياتات ذاك عند الباب الزجاجي، وعندما جاء الكاهن، برر لورنس زيارته بالادعاء بأنه عزم أمره على السفر. في الخامسة والنصف اتصل لورنس ريدينغ بالكاهن من غرفة البواب عند البوابة الشمالية لمنزل أولد هول منتحلاً صوت امرأة (وأنتم تذكرون أنه كان من

أمرع الممثلين الهواة). كانت السيدة بروثيرو وزوجها قد انطلقا لتوهما باتجاه القرية. والأمر الغريب جداً (رغم أن أحداً لم يثبته إليه بذلك المعنى) أن السيدة بروثيرو لم تحمل معها حقيبة يد، وهو أمر غير طبيعي أبداً من امرأة. وقبل السادسة والثلاث بقليل عبرت من أمام حديقتي وتوقفت وتكلمت معي بحيث تعطيني كل فرصة ممكنة حتى ألاحظ أنها لا تحمل أي سلاح معها وأنها أيضاً تتصرف بشكل طبيعي تماماً، فقد أدرك الاثنان أنني ممن يلاحظون الأشياء. اختفت خلف زاوية البيت ثم توجهت إلى الباب الزجاجي للمكتب. كان الكولونيل المسكين جالساً إلى الطاولة يكتب لك رسالته، وهو شبه أصم كما نعلم جميعاً. أخذت المسدس من الحوض حيث كان بانتظارها، وجاءت من خلفه فأطلقت الرصاص على رأسه، ثم رمت المسدس وخرجت كلمح البصر لتذهب عبر الحديقة إلى المرسوم. من شأن أي امرئ تقريباً أن يحلف أنها ما كانت تملك من الوقت ما يسمح لها بذلك! اعترض ميلتشيت قائلاً: ولكن ماذا عن الطلقة؟ أنت لم تسمعي أي صوت لطلقة؟

- ألا يوجد ابتكار جديد اسمه كاتم الصوت؟ هذا ما فهمته من القصص البوليسية... أنساءل إن كانت العطسة التي سمعتها تلك الخادمة كلارا لا تعدو أن تكون في الواقع صوت الطلقة؟ ولكن لا أهمية لذلك. تقابلت السيدة بروثيرو مع لورنس عند المرسوم ودخلا معاً... وأخشى أنهما أدركا -نظراً لطبيعة النفس البشرية- أنني لن أغادر الحديقة حتى يخرجنا من المرسوم ثانية!

لم يسبق لي أن أحببت الأنسة ماربل كما أحببتها هذه اللحظة، باستيعابها الهزلي لنقطة ضعفها الخاصة.

مضت تقول: وعندما خرجا بالفعل كان سلوكهما مرحاً وطبيعياً. وقد ارتكيا في هذه النقطة غلطة في الواقع؛ لأنهما إن كانا قد ودعا بعضهما البعض كما زعما لكان من شأنهما أن يظهرهما بمظهر مختلف تماماً. ولكن كانت تلك نقطة ضعفهما... فهما -بساطة- لا يحرزان على الظهور بمظهر القلق المنزعج بأي شكل. وفي الدقائق العشر التالية كانا حريصين على تأمين دليل غياب عن مكان الجريمة لنفسيهما. وأخيراً ذهب السيد ريدنج إلى بيت الكاهن ليخادره في الوقت الذي يشاء. وربما رآك قادمًا من بعيد على الطريق الترابي واستطاع أن يوقت الأمور بشكل رائع. أخذ المسلسل وكاتم الصوت، وترك الرسالة المزيفة وقد كُتب عليها الوقت بحبر مختلف وبخط مختلف كما هو واضح. وعندما يُكتشف ذلك التزييف فمن شأنه أن يبدو محاولة خرقاء لإدانة أن بروتير.

ولكنه -عندما ترك الرسالة- وجد تلك التي كتبها الكولونيل بروتير فعلياً... وكان ذلك شيئاً غير متوقع أبداً. وبوصفه شاباً شديد الذكاء، وإدراكه أن هذه الرسالة قد تنفعه كثيراً في المستقبل، فإنه أخذها، ثم غير وضع عقارب الساعة لثلاثم الوقت المثبت على الرسالة... وهو يعرف أن الساعة تبقى سابقة ربع ساعة للوقت الحقيقي. وبذلك ستكون الفكرة نفسها... محاولة ساذجة لإحاطة السيدة بروتير بالشبهات. ثم غادر المنزل ليلتقيك خارج البوابة ويمثل دور من أذهله أمر ما عن نفسه. إنه ذكي جداً كما قلت... ما الذي سيحاول فعله مجرم ارتكب جريمة قتل؟ سيحاول طبعاً التصرف بشكل طبيعي. وهذا بالضبط ما لم يفعله السيد ريدنج. تخلص من كاتم الصوت، ولكنه ذهب إلى مركز الشرطة ومعه المسلسل واتهم نفسه بشكل سخيف بخدع به الجميع.

كان في تلخيص الأنسة ماربل للقضية شيء ساحر ما. كانت تتكلم بثقة جعلتنا نشعر أن الجريمة ما كان لها أن تُرتكب إلا بهذه الطريقة. سألتها: ماذا بشأن الطلقة التي سُمعت في الغابة؟ أكانت تلك هي المصادفة التي أشارت إليها في وقت سابق من هذا المساء؟

هزت الأنسة ماربل رأسها بسرعة وقالت: أوه، لا يا عزيزي! تلك لم تكن مصادفة... بل كانت أبعد ما تكون عن المصادفة. كان من الضروري جداً أن تُسمع طلقة... وإلا لاستمرّ الشك في السيدة بروتير. لا أدري تماماً كيف رتب السيد ريدنج أمر ذلك. ولكنني فهمت أن حمض البكريك يتفجر إن أُلقيت عليه ثقلاً، ولعلك تذكر -أيها الكاهن العزيز- أنك قابلت السيد ريدنج وهو يحمل حجراً كبيراً في نفس المكان في الغابة تقريباً حيث وجدت حمض البكريك لاحقاً. إن الرجال شديدي الذكاء في ترتيب الأمور... يُعلق الحجر فوق تلك القطعة الكريستالية، ثم يُستخدم جهاز توقيت صغير أو شيء من البارود بطيء الاشتعال يتطلب اشتعاله كاملاً نحواً من عشرين دقيقة بحيث يحدث الانفجار في حوالي السادسة والنصف، عندما يكونان (هو والسيدة بروتير) قد خرجا من المرسوم وأصبحا على مرأى من الجميع. وهو إجراء آمن جداً، إذ ما الذي يمكن العثور عليه لاحقاً؟ مجرد حجر كبير! ولكن حتى هذا الحجر حاول ريدنج نقله... وذلك عندما فاجأته أُنث.

هتفت وقد تذكرت حفلة المفاجأة التي بدت على لورنس عند رؤيتي: أظنك محقة في ذلك.

كان الأمر قد بدا لي طبيعياً وقتها، أما الآن...

بدا أن الأنسة ماربل كانت تقرأ أفكارى، فقد أومأت برأسها
بذكاء وقالت: نعم، لا بد أن لقاءك بك في تلك اللحظة كان صدمة
شديدة له. ولكنه تداوك ذلك بشكل جيد، متظاهراً بأنه يريد إحضار
الحجر لي لأضعه في حديقتي الصخرية.

أصبحت لهجة الأنسة ماربل فجأة شديدة الثقة وهي تقول: إلا
أن الحجر كان من النوع الخطأ بالنسبة لحديقتي! وقد جعلني ذلك
أضع قدمي على المسار الصحيح!

كان الكولونيل ميلنشيت يجلس طوال هذا الوقت كالمسحور،
وقد بدت عليه الآن علامات الصحو. شخر مرة أو مرتين، ونفخ
بأنفه حيرة ثم قال: يا إلهي! يا إلهي!

ولكنه لم يلزم نفسه بعبارة غير هذه. أظنه كان - كما كنت أنا -
متأثراً بتلك الثقة المنطقية لاستنتاجات الأنسة ماربل، ولكنه كان
متردداً في الاعتراف مبدئياً بذلك. وبدلاً من ذلك مد يده وأخذ
الرسالة المكورة وصاح قائلاً: حسن جداً، ولكن كيف تفسرين أمر
هاوز؟ لقد اتصل فعلياً واعترف.

- نعم، هذا هو ما توفرت له عناية ربانية؛ موعظة الكاهن دون
شك. أنعلم يا عزيزي كليمنت؟ لقد ألقيت حقاً موعظة رائعة جداً.
لا بد أنها أثرت بعمق في السيد هاوز. لم يعد بوسعه تحمل الأمر،
وشعر أن عليه أن يعترف... بشأن إساءة استخدام أموال الكنيسة.

- ماذا؟

- نعم... وهذا ما أنقذ حياته. (لأنني أمل وأثق أنه سيعيش،

فالدكتور هيدوك ماهر جداً). تلخص القضية - كما أراها - في أن
السيد ريدنغ احتفظ بهذه الرسالة (وفي ذلك مجازفة خطيرة ولكني
أظنه خبأها في مكان آمن) وانتظر حتى عرف بشكل مؤكد هوية
الشخص الذي تشير الرسالة إليه. سرعان ما تأكد أنها تشير إلى
السيد هاوز. وقد فهمت أنه عاد إلى هنا ليلة أمس مع السيد هاوز
وقضى وقتاً طويلاً معه، ولعله استبدل بعلبة كيسولات السيد هاوز
علبة أخرى من عنده، ودس هذه الرسالة في جيب الرداء الليلي الذي
يرتديه السيد هاوز. كان من شأن الشاب المسكين أن يتلصق
الكيسولة القاتلة بكل براءة... وبعد موته سيتم استعراض حاجياته
والعثور على الرسالة، وسيستنتج الجميع بأنه قتل الكولونيل بروثيرو
ثم انتحر ندماً. يخيل إلي أن السيد هاوز عثر - دون شك - على تلك
الرسالة الليلية بعد تناوله للكيسولة القاتلة تماماً، ولا شك أنها بدت
له - وهو في حالته المضطربة - أمراً عارقاً للطبيعة بأنني بعد موعظة
الكاهن، ولا شك أن ذلك دفعه للاعتراف بالأمر بالشكل الذي فعل.
هتف ميلنشيت: يا إلهي، يا إلهي! أمر غريب جداً! إنني...
إنني لا أصدق كلمة من ذلك.

لم يسبق له أبداً أن قال عبارة أقل إقناعاً من عبارته هذه... ولا
ربب أنها بدت كذلك حتى لمسامعه هو، فقد تابع قائلاً: وهل
تستطيعين تفسير المكالمات الهاتفية الأخرى... التي أجريت مع السيدة
برايس ريدلي من بيت السيد ريدنغ؟

- آه! هذا هو ما أسميته المصادفة. العزيزة غريزلدا هي التي
أجرت تلك المكالمات... بالاتفاق مع السيد دينيس كما أظن. فقد

سمعا الإشاعات التي تروجها السيدة برايس ريدلي حول الكاهن، وفكرنا بهذه الطريقة (الطفولية بعض الشيء) لإسكاتها. وتكمن المصادفة في حقيقة أن المكالمات يُفترض أن تكون قد أجريت تماماً في نفس وقت الطلقة الزائفة في الغابة، وقد أدى ذلك إلى الاعتقاد بأن بين الأمرين علاقة.

الفصل الثلاثون

حدثنا فيها كلانا وهتفنا: فبخ؟ أي فبخ هذا؟

كانت الأنسة ماربل حيلة قليلاً، ولكن بدا واضحاً أن لديها حطة واضحة جاهزة. قالت: ماذا لو تم تحذير السيد ريدنغ هاتفياً؟

ابتسم الكولونيل ميلنشيت وقال: "لقد انكشف كل شيء، اهرب بجلدك!". هذه حيلة قديمة يا آنسة ماربل... رغم أنها كثيراً ما تنجح! ولكني أظن أن ريدنغ في هذه الحالة أكثر حذراً من أن يُمسك بهذه الطريقة.

قالت الأنسة ماربل: ينبغي أن يكون شيء محدد، أدرك ذلك تماماً. أقترح - وهذا مجرد اقتراح - أن يأتيه التحذير من شخص معروف بأرائه غير التقليدية في هذا الشأن. إن أحاديث الدكتور هيدوك - مثلاً - تقنع أي امرئ بأنه ينظر إلى مسألة القتل من زاوية غير عادية. فإذا ما لمَّح الدكتور إلى أن شخصاً - ولنقل السيدة سادلر مثلاً أو أحد أبنائها - صدف وشاهد استبدال علب الكبسولات... عندها إن كان السيد ريدنغ بريئاً فلن يعني له ذلك القول شيئاً، ولكن إن لم يكن بريئاً...

تذكرت فجأة كيف أن كل من تكلم عن تلك الطلقة وصفها بأنها "مختلفة" عن الطلقة العادية. كانوا جميعاً على صواب، ومع ذلك كم هو صعب أن يشرح المرء وجه "الاختلاف" في هذا الأمر. تنحج الكولونيل ميلنشيت ثم قال: إن نظريتك معقولة تماماً يا آنسة ماربل، ولكن اسمحي لي أن أشير إلى أنها تفتقر إلى أي دليل ملموس.

- أعرف. ولكنك ترى أنها صحيحة، أليس كذلك؟

ساد بعض الصمت، ثم قال الكولونيل بتردد: نعم، أراها كذلك. تبا، إنها الطريقة الوحيدة الممكنة لهذه الجريمة. ولكن ليس من دليل... ولا ذرة منه.

تنحجت الأنسة ماربل وقالت: ولذلك فكرتُ بأنه... في مثل هذه الظروف... ربما كان مسموحاً بنصب فخ صغير.

* * *

للمزيد من الكتب والروايات

www.ebooksworld.net

- قد يقدم على تصرف طائش.

- وبهذه الطريقة يوقع نفسه بين أيدينا. نعم، هذا ممكن.
ولكن هل يرضى هيدوك بذلك؟ إذ أن آراءه كما قلت...

قاطعت الأنسة ماربل قائلة: أوه، من الناحية النظرية فقط!
والنظرية مختلفة تماماً عن التطبيق، أليس كذلك؟ ولكن، ها قد جاء
هيدوك، يمكننا أن نسأله.

أظن أن هيدوك اندهش لرؤية الأنسة ماربل معنا... كان يبدو
متعباً منهكاً، وقال: أوشك الرجل أن يموت... كان نصف ميت،
ولكنه سيعيش بإذن الله. إن من واجب الطبيب أن ينقذ مرضاه، وقد
أنقذته، ولكني كنت أتعنى بنفس الوقت ألا أنجح في ذلك.

قال ميلتشيت: ربما غيرت رأيك حين تسمع ما سنخبرك به.

ثم وضع أمامه بإيجاز واقتضاب نظرية الأنسة ماربل منهيأ
حديثه بعرض اقتراحها الأخير. وهنا سنع لنا أن نرى ما عنته الأنسة
ماربل بحديثها عن الفارق بين النظرية والتطبيق، فيعد سماعه للقصة
رأيت أنه يرغب برؤية رأس لورنس على طبق، ويخيل لي أن ما أنار
حنقه لم يكن مقتل الكولونيل بروثيرو، بل الاعتداء على هاووز المسكين.

أخذ يقول: يا للشرير الشقي! إن لذلك المسكين هاووز أمأ وأختاً
أيضاً، وسبب كونهما أمأ وأختاً لقاتل كانت ستلازمهما طوال الحياة،
ناهيك عن عذابهما العقلي. ألم يجد غير هذه الحيلة الخسيسة الجبانة!

إذا أردت أن ترى الغضب الساطع البدائي فانظر إلى رجل شديد
الإنسانية عندما يتور.

قال هيدوك: إن كان هذا صحيحاً فلكم أن تعتمدوا علي. هذا
الرجل لا يستحق الحياة؛ لم يجد إلا شيئاً مثل هاووز لا حول له ولا طول!
يمكن الاعتماد على شفقة هيدوك حتى تحاه كلب أعرج.
كان يرتب التفاصيل بلهفة مع ميلتشيت عندما نهضت الأنسة ماربل،
وألححت على إيصالها إلى البيت.

قالت الأنسة ماربل ونحن نمشي في الشوارع الخالية: إنه
لطف بالغ منك يا سيد كليمنت. يا إلهي، لقد تجاوزت الساعة
الثانية عشرة. أرجو أن يكون ريموند قد نام ولم ينتظر عودتي.

- كان عليه أن يرافقتك.

- لم أشعره بأنني ذاهبة.

ابتسمت فجأة - وأنا أتذكر - التحليل النفسي العميق الذي عرضه
ريموند وست للحرمة. قلت لها: إن تبين أن نظريتك صحيحة - وهو
ما لا أشك به لحظة واحدة - فستكونين قد سجلت نقطة عليه.

ابتسمت الأنسة ماربل أيضاً ابتسامة محبة وقالت: إنني أتذكر
قولاً لعمه مسنة كانت لي اسمها فاني. كنت وقتها في السادسة
عشرة ورأيت قولها سخيفاً جداً.

- نعم، وما هو؟

- كانت تقول دوماً: "يظن الشباب أن المسنين حمقى، ولكن
المسنين يعرفون أن الشباب حمقى!".

* * *

للجميع، ولست أنوي الخوض فيها. سأكتفي بالإشارة إلى أن الكثير من الفضل قد تم الاعتراف به للمفتش سلاك الذي أدى ذكاؤه إلى تقديم المحرمين للعدالة. ومن الطبيعي أن شيئاً لم يُذكر عن دور الأنسة ماربل في القضية، وقد كان من شأنها -هي شخصياً- أن تفرع لفكرة من هذا النوع.

جاءت لتييس لرؤيتي قبل المحاكمة تماماً. دخلتُ تائهة من الباب الزجاجي لمكتبي أشبه بالشبح كعادتها، وأخبرتني -وقتها- أنها كانت مقتنعة طوال الوقت بأن زوجة أبيها كانت شريكة في الجريمة، وقد كان البحث عن القبعة الصفراء مجرد عذر من أجل تفتيش المكتب؛ كان لديها أمل يائس بأن تجد شيئاً أغفلته الشرطة. قالت بصوتها الحالم: أتدري، إنهم لم يكرهوها كما كرهتها.. والكراهية تجعل الأمور أسهل على المرء.

كانت قد رمت قرط السيدة بروثيرو على الأرض بعد أن يشت من العثور على شيء خلال بحثها. قالت: طالما أنني كنت أعرف أنها قد قتلت، فما أهمية ذلك؟ كل الطرق صالحة بنفس الدرجة. فقد قتلته بالفعل.

تهدتُ قليلاً. بعض الأمور التي لن تراها لتييس أبداً إن لديها -في بعض النواحي- عيني ألوان أخلاقياً.

- ما الذي ستفعلينه يا لتييس؟

- عندما... عندما ينتهي الأمر كله سأسافر إلى الخارج.

ترددتُ قليلاً ثم قالت: سأسافر مع أمي.

الفصل الحادي والثلاثون

لم يبق إلا القليل مما يمكن أن يقال، فقد نجحت خطة الأنسة ماربل. لم يكن لورنس ريدنغ بريئاً، وقد جعله ذكر وجود شاهد على استبدال الكبسولات يقوم فعلاً "بعمل طائش". تلك هي عاقبة الضمير المنفل بالآثام.

كان في موقف فريد بالطبع، ويخيل إليّ أن رد فعله الأولي كان أن يطلق ساقيه للريح، ولكن كان عليه أن يفكر بشريكته؛ إذ لا يستطيع المغادرة دون أن يوصل لها خبراً بذلك، ولم يجرؤ على الانتظار حتى الصباح. وهكذا ذهب إلى أولد هول في تلك الليلة... وتبعه اثنان من خيرة رجال ميلنشيث. رمى الحصى على نافذة آن بروثيرو فأيقظها وهمس لها همسة استعجال جعلتها تنزل للحديث معه. لا شك أنهما وجدا الحديث في الخارج أكثر أمناً منه في الداخل... حيث إمكانية استيقاظ لتييس، ولكن ضابطي الشرطة استطاعا سماع الحديث كاملاً. انكشف الأمر: كانت الأنسة ماربل محقة في كل ما قائلته!

وقد أمّحت محاكمة لورنس ريدنغ وآن بروثيرو معروفة

رفعت بصري وقد جفلت.

أومأت برأسها وقالت: ألم تخمن أبداً ذلك؟ السيدة ليسترينج هي أمي. إنها.. إنها مريضة جداً، وستموت عما قريب. كانت تريد رؤيتي، وهكذا جاءت إلى هنا تحت اسم مستعار، وقد ساعدها الدكتور هيدوك. إنه واحد من أصدقائها القدامى... وكان شديد الإعجاب بها ذات يوم... بوسعك أن ترى ذلك! وهو ما يزال كذلك، بمعنى ما. كان الرجال دوماً يفتنون بأمي كما أظن، وهي ما زالت -إلى الآن- باللغة الحسن. على كل حال، فعل الدكتور هيدوك كل ما يستطيع لمساعدتها. لم تأت باسمها الطبيعي بسبب الطريقة المقررة التي تدور بها الأقاويل هنا. ذهبت لرؤية والدي في تلك الليلة، ولتقول له إنها تحتضر وإن بها شوقاً عظيماً لرؤيتي. كان والدي متوحشاً... قال لها إنها قد سبق وتنازلت عن كل حق لها بي، وإني أظنها ميتة... تلك كانت رواية أبي التي أراد لي أن أنشأ عليها، ولكني لم أصدقها يوماً! إن الرجال من طراز والدي لا يرون بوصة واحدة أبعد من أنوفهم!

ولكن أمي ليست ممن يستسلمون. كانت قد رأت أن من النزاهة أن تلجأ لوالدي أولاً، ولكن عندما صدها بكل تلك القسوة أرسلت رسالة لي، وأجريت أنا ترتيباً بحيث أغادر مباراة التنس مبكراً وأقابلها عند نهاية الطريق الترابي في الساعة السادسة والربع... وقد اكتفينا بلقاء عاجل ورتينا موعداً للقاء لاحق، ثم افترقنا قبل السادسة والنصف. وفيما بعد أزعجني احتمال اتهامها بقتل والدي؛ إذ أن لديها -في نهاية المطاف- ما يحملها على هذا الفعل بسبب كراهيتها له، ولذلك شوّهت صورتها تلك في السقيفة لأخفي ملامح

وجهها. كنت أخشى أن يأتي الشرطة ليدسّوا أنوفهم في المنزل فيجدوا الصورة ويميزوا صاحبها. وقد شعر الدكتور هيدوك أيضاً بالرعب... وأظنه ذهب أحياناً إلى حد الاعتقاد بأنها هي التي ارتكبت الجريمة! إن أمي من النوع... اليائس؛ فهي لا تحسب للعواقب حساباً.

سكنت قليلاً ثم قالت: أمر غريب... إنني أشعر معها بالانتماء والتقارب، بينما لم أكن أشعر ذلك مع أبي. أما أمي... حسناً، إنني مسافرة معها على كل حال. وسأظل معها حتى... حتى النهاية.

نهضت فأمسكت بيدها وقلت: ليحفظكما الله. أمل أن تحدي في يوم ما الكثير من السعادة يا ليتيس.

قالت وهي تتكلف التيسم: لا بد أن أجد السعادة، فأنا لم أر منها الكثير حتى الآن، أليس كذلك؟ أوه، لا أظن ذلك مهماً. وداعاً يا سيد كليمنت. لقد كنت دوماً في غاية اللطف معي... أنت غريزدا.

* * *

آه، غريزدا!

لقد اضطررت لأن أعترف لغريزدا بمقدار الانزعاج الرهيب الذي سببته لي الرسالة المغفلة من التوقيع. ضحكت في البداية، ثم أمطرتني بمحاضرة جديفة انتهت بعدها إلى القول: ولكي ساكون باللغة الجدية والوقار والاتزان في المستقبل.

لم أستطع تخيل غريزدا بوقار واتزان!

مضت تقول: أتعلم يا لين، إن عامل استقرار يدخل حياتي هذه الأيام ليعدلّ منها ويثبتها، وهو يدخل حياتك أنت أيضاً، ولعله يكسبك نوعاً من الإحساس بعودة الشباب، أو هذا ما أمله على الأقل! لن تستطيع تسميتي طفلك العزيرة، إذ سيكون لنا طفل خاص بنا. وقد قررت يا لين أن أكون الآن "أمّاً وزوجة" حقيقية كما يقولون في الكتب... ويتبغي أن أصبح ربة بيت جيدة أيضاً. لقد اشترت كتابين عن "إدارة البيت" و"حب الأم"، وإذا لم يجعلني هذان الكتابان مثلاً يُحتذى فلا أدري ما الذي يمكن أن يجعلني كذلك! إنهما كتابان ممتعان جداً، وخاصة الكتاب الخاص بتربية الأطفال.

سألته فجأة: ألم تشتري كتاباً حول "كيف تعاملين زوجك"؟
- لا حاجة لذلك؛ فأنا زوجة ممتازة. إنني أحبك كثيراً، ما الذي تريده أكثر من ذلك؟

- لا شيء!

- أ تستطيع أن تقول لي - مرة واحدة فقط - إنك تحبني بحنون؟
- يا غريزelda! إنني أحبك، وأهواك، وأنا متبّم ومفتون بك..
ماذا أقول سوى ذلك؟

تهدت زوجتي بارتياح، ولكنها ابتعدت عني فجأة وهي تقول:
يا للإزعاج! ها هي الآنسة ماربل قادمة... لا تدعها تشك بشيء مما قلته لك عن الطفل القادم؛ فلا أريد أن يبدأ الجميع بإعطائي مخدات ومساند وتوصيتي برفع قدمي. قل لها إنني ذهبت إلى ملعب الغولف، فذلك سيضلل حاستها السادسة... وهو أمر صحيح فوق

ذلك، لأنني نسيت سترتي الصفراء هناك، وأريد إحضارها.

جاءت الآنسة ماربل إلى الباب الزجاجي وحيثني بشيء من الاعتذار وطلبت غريزelda.

قلت: لقد ذهبت غريزelda إلى ملعب الغولف.

ظهر على وجه الآنسة ماربل تعبير قلقي واهتمام. وقالت: "أوه، ولكن هذا تصرف يقتصر تماماً إلى الحكمة... في هذه الفترة". وبعدها احمرّ وجهها بطريقة لطيفة نسوية قديمة الطراز.

وللتغطية على الاضطراب الذي ساد تلك اللحظة تحدثنا بسرعة عن قضية برونيرو، وعن الدكتور ستون الذي تبين أنه كان لصاً شهيراً يتحلل عدة أسماء مختلفة.

وبالمناسبة فقد تمت تيرة الآنسة كرام من أي نواطير، وقد اعترفت أخيراً بأخذ الحقيقة إلى الغاية، ولكنها كانت تقوم بذلك بكل نية حسنة بعد أن أخبرها الدكتور ستون بأنه يخشى منافسيه من علماء الآثار الذين لا يتورعون عن السرقة في سبيل الوصول إلى هدفهم المتمثل في دحض نظرياته. والظاهر أن هذه القصة التي يصعب هضمها قد انطلت على الفتاة. وهي الآن - وفق ما يقوله أهل القرية - تبحث عن زبون أكثر صدقاً يأخذ شكل عازب في أواسط عمره يحتاج إلى سكرتيرة.

تساءلت في سرّي - فيما كنا نمشي أنا والآنسة ماربل - كيف قدّر لها أن تكشف سرنا العائلي الأخير، ولكن سرعان ما أعطتني الآنسة ماربل نفسها - بشكل ضمني - طرف عيط لفهم ذلك؛ فقد

تمت قاتلة: أرجو ألا ترهق العزيزة غريزدا نفسها.

ثم أضافت بعد فترة صمت متحفظة: لقد كنت في المكينة في
مَش بينهام بالأمس.

يا للمسكينة غريزدا... لقد كان ذلك الكتاب عن "حب الأم"
سبب انكشاف سرها!

قلت فجأة: أتساءل يا آنسة ماربل إن كان بوسع أحد أن
يكشف أمرك إن قُدِّر لك أن ترتكبي جريمة قتل.

قالت الآنسة ماربل مضدومة: يا لهذه الفكرة الفظيعة! أرجو
ألا أستطيع أبداً فعل مثل هذا الأمر.

تمت قاتلاً: ولكن نظراً لما تنطوي عليه الطبيعة البشرية...

تفاعلت الآنسة ماربل مع لعزني بضحكة عجوز رائعة وقالت
وهي تنهض: يا لدعاباتك يا سيد كليمنت!... ولكن هذا طبيعي،
معنوياتك في أحسن حال.

ثم توقفت عند الباب وقالت: أبلغ حبي لغريزدا وقل لها إن
أي سر صغير يكون في حوز أمين لدي.
يا للآنسة ماربل من امرأة عزيزة حقاً...

* * *

للمزيد من الكتب والروايات

www.ebooksworld.net